

جامعة مؤتة

عمادة الدراسات العليا

الخيل في الشعر الجاهلي

إعداد الطالب

حمود بن خلفان الدغيشي

إشراف

الأستاذ الدكتور أنور أبو سويلم

رسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليا
استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجـــــة
الدكتوراه في الأدب قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة مؤتة, 2005

بسم الله الرحمن الرحيم



جامعة مؤتة	MUTAH UNIVERSITY
عمادة الدراسات العليا	Deanship of Graduate Studies

نموذج رقم (14)

إجازة رسالة جامعية

تقرر إجازة الرسالة المقدمة من الطالب حمود بن خلفان الدغيشي الموسومة بـــ:

" الخيل في الشعر الجاهلي "

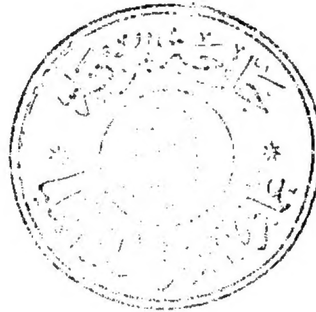
استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في اللغة العربية.

القسم: اللغة العربية.

	التوقيع	التاريخ	
أ.د. أنور أبو سويلم		2005/8/15	مشرفاً ورئيسا
أ.د. ماجد الجعافره		2005/8/15	عضواً
أ.د. سمير الدروبي		2005/8/15	عضواً
د. زايد المقابله		2005/8/15	عضواً

عميد الدراسات العليا

أ.د. أحمد القطامين



مؤته – الكرك – الاردن
الرمز البريدي :61710
تلفون :03/2372380-99
فرعي 5328-5330
فاكس 03/2 375694
البريد الالكتروني
الصفحة الالكترونية

MUTAH-KARAK-JORDAN
Postal Code: 61710
TEL :03/2372380-99
Ext. 5328-5330
FAX:03/ 2375694
e-mail: dgs@mutah.edu.jo sedgs@mutah.edu.jo
http://www.mutah.edu.jo/gradest/derasat.htm

الإهداء

إلـــى تلـــك الـــروح الطاهرة التي حلقت في عنان السماء، وغادرت حلب الشهباء مؤمنة بالبعث واللقاء، إلى شيخي وأستاذي وجيه دهّان رحمه الله.

حمود بن خلفان الدغيشي

الشكر والتقدير

أتوجه بالشكر الجزيل إلى أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور أنور أبو سويلم، مصدر فكرة البحث، على ما قدمه لي، سواء أكان ما يتعلق بالمصادر والمراجع أم بأفكاره التي مهدت الطريق للدراسة، جزاه الله عني كل خير.

حمود بن خلفان الدغيشي

فهرس المحتويات

قائمة الأشكال

الصفحة	عنوان الشكل	رقم الشكل

الملخص

الخيل في الشعر الجاهلي

حمود بن خلفان الدغيشي

جامعة مؤتة، 2005

تـــناقش الدراســـة موضـــوع الخيل في الشعر الجاهلي، في ظل المعتقدات والأساطير العربية السائدة قبل الإسلام، إذ تثبت الدراسة أن العرب كانوا يقدسون الخـــيل قـــبل الإســـلام، وورد أن بعـــض أصنامهم التي تعبدوها، كان على هيئة حصان، مثل "يعوق" و "يعبوب"، بل إن الناذرين كانوا يقدمون لمعبودتهم "الشمس" تماثيل على هيئة فرس. وظل الفرس يحمل في أذهانهم معاني الجنس والخصوبة، فظهر في الشعر الجاهلي مرتبطاً بصورة المرأة، رمز الولادة والخصب والجنس، كمـــا ظهـــر مرتـــبطاً بالماء، أصل الحياة، لاسيما في الصحراء العربية، وظهر مرتبطاً بالنخلة، شعار الخصب عند الجاهليين.

وبالتالـــي حاولت الدراسة أن تحصر معظم الأفكار الميثولوجية عن الخيل من خلال الشعر الجاهلي، وبعض شعر صدر الإسلام عند الشعراء المخضرمين، حتى تؤكد الدراسة تلك الأفكار عند العرب قبل الإسلام.

لـــذا توزعت الدراسة في خمسة فصول، ناقش الفصل الأول صورة الخيل في الحضارات القديمة، ممهداً للنظرة الميثولوجية عند العرب، ومدى تشابه رؤية الأمـــم القديمـــة والعربية الجاهلية في الخيل، ومن ثم ناقش الفصل الثاني صورة الخـــيل فـــي الـــتراث الجاهلي وصدر الإسلام ، وركزت الدراسة على الجانب الميثولوجـــي للخـــيل عـــند العرب في الجاهلية، أما الفصل الثالث، فهو الدراسة الموضوعية، فقد تضمن أربعة أفكار، وهي: الخيل في الحرب، والخيل في الصيد، والخيل في السباق، والخيل في المرعى.

بينما ناقش الفصل الرابع، وهو الدراسة الفنية، ثلاثة أفكار، تتضمن الفكرة الأولـــى الـــبعد التصويري، وناقشت الدراسة فيه الصورة الفنية ومصادرها، من إنسان، وحيوان، ونبات، وجماد.

وتضـــمنت الفكرة الثانية البعد الميثولوجي، فظهرت صورة الخيل والمرآة، وصورة الخيل والماء، وصورة الخيل والنخلة، وصورة الخيل والجن.

وتحدثت الفكرة الثالثة عن البعد الرمزي، وتضمنت الخيل والحرية عند عنترة بن شـــداد العبســـي، وأبـــرزت معانـــاة الشاعر في مجتمعه الذي يهمش دور السود، ويحتقرهم، وقد عبر الشاعر عن هذه المعاناة برموز إنسانية وحيوانية.

والخـــيل والشـــيخوخة عـــند ابن مقبل، الذي أظهر معاناته من تقدم السن، ونفور المجـــتمع مـــنه بسبب الشيخوخة، إذ إن دوره في الحياة أصبح على هامشها، وقد عبر عن هذه المعاناة برموز إنسانية، وحيوانية، وجماد.

وأبـــرزت الأشكال في البعد الرمزي معاناة هذين الشاعرين، وخط سيرهما فـــي الحـــياة. وقـــد نمت الدراسة نتائجها وخلاصة أفكارها من خلال الخاتمة في الفصل الخامس.

Abstract

Horses in the Pre-Islamic poetry

Hmoud bn khalfan al-dgheeshi

Mutah university , 2005

This study is discussing the subject of horses in the pre-Islamic poetry, during the period of the dominated believes and myths that was before the Islam , this study confirmed the Arab hallowing of horses before Islam, there was a mention that some of their idols which they worship were on the horse shape, such as "yaawq" and "yabood", but also the vowing were present to their god " the sun " states on the horse shape . and the horse in their mind includes the meanings of sex and fertility, so it appeared in pre-Islamic poetry in connection with woman picture , which is the symbol of birth, fertility and sex, also it appeared in connection with water , the source of life , especially at the Arabic desert , also it appeared in connection with the palm, the sign of fertility at the pre-Islamic period.

So this study try to surround most mythological ideas about horses through the pre-Islamic poetry, and some of the poetry at the beginning of Islam during poets who live at the paganism of Islam, in order to emphasize on that believes before the Islam.

This study is divided into five chapters, the first chapter discuss the horses shape at the old civilizations, in an introduction to a mythological view at the Arab. and the similarity between ancient and Arabic pre-Islamic nations on the horses. then chapter two discuss the horses shape at the pre-Islamic heritage and at the beginning of Islam. This study focused on the mythological side of horses at Arabic in the period of pre-Islamic. the third chapter, is an objective study which includes four ideas: horses at the war , horses at the hunting, horses at the race , and horses at the pasture.

The fourth chapter discuss the artistically study, through three ideas, the first idea is the pictorial dimension, in which there was a discussion of the artistically picture and its resources, from human, animal, plant, and objects.

The second idea includes the mythological dimension, so the horse and woman picture appeared, horses and water picture, horses and palm picture and horses and jinn pictures .

The third idea discussed the symbolic dimension, and it includes horses and freedom at antara bin shadad alabsee period, and it presents the poet suffering in his society which ignores the black people role. and despise them, the poet expressed this suffering through humanistic and animal symbols.

And the horses and old age at eben moqbel, who resented his suffering from old age, and the society alienation of him as a result of his old age, since his role in life became as a marginal role, he expressed this suffering through humanistic and animal symbols .

The shapes in the symbolic dimension present the suffering of those two poets, and their life style. the study developed its results and its ideas summery in the conclusion in the fifth chapter.

الفصل الأول

الخيل بين الواقع والأسطورة

1.1 المقدمة:

تعد الخيل الركن الأساسي عند العرب في العصر الجاهلي، في حروبهم وغزواتهم، كما هي عند الشعوب من الحضارات القديمة، وتكاد تكون النظرة واحدة عند الأمم جميعها، بما تحمله من رموز متشابهة في حضارتها.

ويحاول البحث مناقشة تلك النظرة والرموز عند الشعوب في الحضارات القديمة بشكل عام، وعند العرب في العصر الجاهلي بشكل خاص، ذلك أن العرب التفتوا إلى ميثولوجيا الخيل، كما هي الحال عند بقية الشعوب في الحضارات الأخرى.

ولقد حدد الباحث الفترة الزمنية للدراسة بالعصر الجاهلي، وشملت الشعراء المخضرمين، ذلك أن الشعراء المخضرمين لم تتغير رؤيتهم للخيل من حيث الألفاظ والمفردات والصور.وذهبت الدراسة لغايات فنية إلى بعض الشعراء في الفترات المتأخرة.

وكان الرجوع إلى المصادر التي تتحدث عن معتقدات الشعوب القديمة فضلاً عن الكتب والدوريات المتعلقة بعلم الآثار من أبرز الصعوبات التي واجهت الدراسة، لبعد هذه العلوم عن المجال الأساسي لهذه الدراسة.

وقد انقسم البحث إلى ثلاثة أبواب، تضمن الباب الأول وهو " الخيل بين الواقع والأسطورة " فصلين، ناقش الفصل الأول منه الخيل في الحضارات القديمة، وتحدث عن رموز الخيل عند الشعوب في الحضارات القديمة، مركزاً على الجانب الميثولوجي ممهداً للنظرة الميثولوجية عند العرب في العصر الجاهلي.

ومن هنا ظهرت فكرة الخيل والسحر، واستخدام الإنسان القديم فكرة السحر لصيد الخيل وامتلاكها، وبرزت فكرة التقديس والتضحية بالخيل، كما اختلطت الخيل بأساطيرهم وخرافاتهم في الخيل البشرية، والخيل المجنحة.وبالمقابل كانت الخيل رموزاً للجنس والخصب، واعتقدوا بقوتها الجنسية، ودورها الإخصابي في توليد الحياة المستمرة، كما رمزت الخيل إلى النار والشمس والموت.

ويناقش الفصل الثاني: الخيل في التراث الجاهلي وصدر الإسلام مؤكداً تقديس الخيل وعبادتها عند العرب، من خلال بعض الروايات والدلائل اللغوية في المعجم العربي والشعر الجاهلي ثم تطرق الفصل إلى رعاية العرب للخيل واهتمامهم بها، حتى جاء الإسلام، وزاد من الاهتمام بها، لأنها أداة رئيسة في نشر الدعوة الإسلامية إلى جانب الحكمة والموعظة الحسنة، واقسم المولى ﷻ بالخيول المغيرة على أعداء الإسلام كما حث الرسول ﷺ على الاهتمام بها، وزاد في أجر الفارس، لما تقوم به الخيل في أرض المعركة، وحث على السباق بها.

أما الباب الثاني، وهو الدراسة الموضوعية، فقد تضمن ثلاثة فصول، يناقش الفصل الأول، الخيل في الحرب، عند العرب في العصر الجاهلي، إذ تظهر الدراسة مدى استعداد الفرسان في الجاهلية للحرب بخيولهم المثالية، التي وصفوها بعناصر القوة والصلابة، كما تظهر كيفية الاستعداد للحرب، وبرزت الخيول المجنبة في الانطلاق نحو الإغارة، وبيات الفرسان ليلة الإغارة، والرواة الذين يقومون بخدمة الخيل، كما تظهر الدراسة صورة المعركة ومعاناة الخيل، وإحجامها في المعركة من السيوف والرماح والسهام، والدماء التي تسيل على نحورها.

ويناقش الفصل الثاني، الخيل في الصيد، إذ كان الصيد في معظمه عند العرب في العصر الجاهلي رياضة يمارسها الملوك والعامة على السواء. ويظهر في هذا الجانب الرياض التي يقطعها الفرسان بخيولهم للبحث عن الطرائد، كما تظهر أنواع الطرائد، وعادات الفرسان في ممارسة هذه الرياضة، وأخيراً يبرز منظر الشواء واحتفالهم بهذه المناسبة.

وفي الفصل الثالث، تتحدث الدراسة عن الخيل في السباق والمرعى، فتبرز الدراسة قواعد هذه الرياضة وشروطها، ورهان العرب في سبقها على الطريقة التي ورد النهي عنها في الإسلام بعد ذلك، وكان العرب يتمادحون ويتفاخرون بحيازة قصب السبق، ويسمون خيول السبق، ويرصدون الجوائز لها، إلا أن هذه الرياضة كانت تؤدي في بعض الأحيان إلى نشوب حروب مستمرة بينهم.

أما الصورة الثانية، فلا نجد فيها مناظر حروب وطعن وقتل ودماء، فكل ما هنالك، خيل آمنه، تعدو في المراعي، وتأكل من أعشابها، وتشرب من مياهها،

وبالتالي تظهر صورة الطبيعة الجميلة وغناء الذباب فيها، دليلاً على المرعى الخصب.

أما الباب الثالث، وهو موضوع الدراسة الفنية، فيتضمن فصلين اثنين، يناقش الفصل الأول البعد التصويري، ويختص بمصادر الصورة الفنية، وتأتي هذه المصادر في شعر الخيل متنوعة في الجانب الإنساني، والحياة اليومية والحيوان والطبيعة.

ويظهر في الجانب الإنساني صور الرجال والنساء، ومنها صورة الأم، والمرأة العاملة، كما تظهر صورة الرجل العامل، والرجل الحبشي والأعجمي، والرجل المجنون، والسكران، والأحول، والجبان، ومن خلال هذه الصور جميعها تتكشف عقلية الشاعر ونفسيته. كما تبرز جوانب كثيرة من الحياة اليومية في المجتمع الجاهلي، في حديث الشعراء عن الخيل، وتتوزع هذه الجوانب في خمس دوائر، منها دائرة الحياة الحربية، ودائرة الحياة المنزلية، ودائرة حياة اللهو واللعب، سواء ما يقوم به الأولاد في لعبهم، أم الرجال في ميسرهم ومشربهم، وتظهر دائرة الماء، ودائرة النار، كما نجد بعض المؤشرات إلى الزراعة والصناعة والتجارة.

أما الحيوان فإن الجاهلي كان ينظر إليه، نظرة يخالطها الخوف من بعضه، والإعجاب ببعضه الأخر، وتتعدد تلك الحيوانات وتتنوع في شعر الخيل، ويبرز الحيوان البري المفترس، كالذئب والنمر، والضبع وغير المفترس كالظبي والثور والنعام، كما تبرز الحيوانات الأليفة:كالإبل والكلاب. إلى جانب ذلك تبرز الطيور الجارحة: كالعقاب والصقر، وغير الجارحة: كالقطا والحمام وغيرها. ومن الزواحف والحشرات تظهر صورة الحية، وأسراب النحل والزنابير والذباب والجراد.

كما نظر الشاعر الجاهلي إلى الحيوان في بيئته وواقعه، نظر إلى الطبيعة كذلك، وضمن ما شاهده تجربته الشعرية فنجده يوظف منها ما هو نام، كالأشجار والنبات والزهور وما هو ميت، كالصخور والرمال والجبال، وما هو خاص بالجو، كالمطر والرعد والبرق، والريح والكواكب.

ويتحدث الفصل الثاني عن البعدين الميثولوجي والرمـزي، ينـاقش البعـد الميثولوجي الفكرة الميثولوجية " الخيل والمرأة" وتُظهر هذه الفكرة العلاقة بين الإلهة "عشتار" في المعتقدات الكنعانية ورمزها الحصان، وبين العلاقة القائمة بين المـرأة في الجاهلية والخيل في ولادة الخصب.

أما فكرة "الخيل والماء" فتظهر الترقب الجماعي لنزول المطر فـي الـشعر الجاهلي، ودلالة أسماء الأفراس عند العرب في الشعر الجاهلي، على تلك العلاقـة الميثولوجية بين الخيل والماء، وارتباط الخيل بدفعات المطر. وتناقش فكرة "الخيـل والنخلة" مدى اشتراك هذين الجنسين في حمل الخصوبة الأنثوية، ويظهر ذلك فـي تشبيهات الشعراء التي تؤكد على صورة الخصوبة في أذهانهم. أما بالنسبة لـصورة "الخيل والجن" فإن الدراسة تتحدث عن اعتقاد العرب في العصر الجـاهلي بـالجن وخضوعهم لهذا الاعتقاد، حتى شبهوا خيولهم السريعة والهوجـاء بـالجن لـسرعة نفاذهم، وقيامهم بالأعمال الخارقة، لاعتقادهم أن الجن تحضر الفرس.

وتناقش الدراسة في البعد الرمزي، قضية "الخيل والحرية" عند عنتـرة بـن شداد العبسي، وقضية " الخيل والشيخوخة" عند ابن مقبل، أما قضية الشاعر عنتره بن شداد فتبرز الدراسة معاناة هذا الشاعر في مجتمعه، والرموز المعبرة عن هـذه القضية.

بينما تتحدث الدراسة عن هاجس الشيخوخة عند الشاعر ابن مقبل، وإحساسه بالعجز عن التفاعل مع الآخرين، مما جعله يعيش حالة اغتراب في مجتمعه.

وبعد، فكان هناك جملة من المصادر والمراجع اعتمدت عليها الدراسة بشكل رئيس، فمن المصادر والمراجع؛ كتاب الأصنام للكلبي، والحيوان للجاحظ، وكتاب الأقـوال الكافية للرسولي، ومن المراجع؛ كتابا دين الإنسان ولغز عشتار للـسواح، وكتابـا الغصن الذهبي والفولكلور في العهد القديم لفريزر، وكتابا المطر في الشعر الجاهلي، ومظاهر من الحضارة والمعتقد في الشعر الجاهلي لأنور أبو سويلم.

1.2 الخيل في الحضارات القديمة:

لقد أثار اكتشاف الفن الباليوليثي (البدائي)، لأول مرة في غرب أوروبا، على صعيد البحث العلمي، جدلا طويلا بين العلماء في أول ظهوره، لمـا تـضمّن مـن

رسومات ونقوشات.[1] وأخضعت هذه الرسومات بعد ذلك العلماء لإعادة تقييم تاريخ العصور الفنية. والخيل أهم هذه المكتشفات الفنية الأثرية، وقد أرخت رسومها ونقوشها المكتشفة كيانها الحقيقي. وليس ذلك فحسب بل إن هذه الرسوم والنقوش الكثيرة المكتشفة في كهوف أوروبا، توحي بأفكار عميقة، ما تزال أرضا خصبة يحاكم عليها كثير من الباحثين دراساتهم، واستنتاجاتهم عن الإنسان البدائي في تلك العصور، كما تتناول دلالات خطيرة تتعلق بأنماط المعيشة البدائية، والممارسات الطقوسية الدينية، والسحرية.

ومن هذه الرسومات اكتشاف تمثال صغير لحصان في "روسيا"[2] وفي كهف لياسكو وجدت صورة لتيس عملاق إلى جانب حصان قزم.[3] وفي "كاب بلانك" أظهرت لوحة قطيعا من الخيول،[4] كما زج ثور بأبعاد صغيرة جدا بين قوائم حصان،[5] وفي كهف "بيج" وجدت صورة حصان منحوتة على صولجان الزعيم[6] ووجد في كهف "بيكارنا" لوحة تمثل صراع الثيران محفورة على ضلع حصان.[7]

ويرى بعضهم أن هذه الكهوف كانت معابد أو كنائس، استخدم الإنسان البدائي فيها إشاراته المقدسة من العالم الحيواني، لا ليعبدها بذاتها بل ليستحضر من خلالها قوة العالم الموازي، وليقيم في هذه المعابد نقاط تواصل مع المجال الآخر من خلال هيئات حيوانية[8] وإذا تجاوزنا الخلاف في بدايات ظهور الخيل، وفي أول من روضها، تصادفنا "آشور" أول مدينة استخدمت سلاح الفرسان، والعربات التي

---

[1] انظر بالتفصيل، الجدل بين العلماء، بان إيلينيك، الفن عند الإنسان البدائي، ترجمة جمال الدين الخضور، ص15-18، دار الحصاد، سورية 1994م.

[2] المصدر السابق، ص26.

[3] نفسه، ص26.

[4] نفسه،ص32.

[5] نفسه،ص29.

[6] بان ايلينيك،ص32.

[7] المصدر السابق،ص42.

[8] فراس السواح، دين الإنسان،ص150، ط3، دار علاء الدين، دمشق 1998م.

تجرها الخيل[1] واستخدم الآشوريون هذا الحيوان في حروبهم، وفي المواكب الملكية، وكانوا مغرمين بصفة خاصة بفرق الجياد السريعة النشطة[2] وقد عرف الآشوريون صناعة السراجة والسكافة، ورفعوا هاتين المهنتين إلى درجة الفن، وظهر ذلك في تجهيز الجياد المقرونة إلى عربات الملوك، وقد أظهرت الرسوم مدى دقة الآشوريين وبراعتهم في تجهيز الخيل.[3] كما أظهرت رسوماتهم مشاهد معركة بالخيول لغرض التأثير على المشاهدين بعظمة الفاتح وعدم جدوى المقاومة، وقد احتوى هذا الجيش على كل العناصر الأساسية لفيالق جيش عصري من خيالة ومشاة ومهندسين وعربات مدرعة.[4] كما كانت الخيول تؤلف أيضا جزءا من الجزية التي يدفعها أفراد الشعب المغلوب.[5]

وقد وجدت الخيل عند البابليين، واستخدموا عربات تجرها أربعة خيول، شاركت في بناء مدينة بابل.[6] كما أن نجاح الحثيين العسكري يرجع إلى استخدامهم الحصان والمركبة كسلاح رئيسي[7].فقد استخدم الحثيون المحدثون العربات الحربية في حروبهم، وظهر هذا خاصة في موقعة "قادش" بسوريا، إذ يعتلي العربة اثنان من المحاربين الحثيين يصوبان سهامهما ضد جيش رمسيس الثاني، وبعد هزيمة

---

[1] إمام عبد الفتاح إمام، معجم ديانات وأساطير العالم، م1، ص128، مكتبة مدبولي، القاهرة.

[2] أندري بارو، بلاد آشور نينوى وبابل، ترجمة، عيسى سلمان، وسليم التكريتي، ص124، دار الرشيد، بغداد 1980م.

[3] أرنست بابلون،، الآثار الشرقية، ترجمة، مارون عيسى الخوري، ص110، ط1، دار جرّوس، دار حكمت شريف، لبنان 1987م.

[4] أندري بارو، ص59.

[5] المصدر السابق، ص124. وكانت الخيل تشكل جزءا من الجزية التي يقررها "تحتمس" على المنطقة المحتلة، كما حدث في جزيرة "أرواد". انظر: فيليب حتي، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة، جواد حداد، وعبد الكريم رافق، ص141، دار الثقافة، بيروت 1982م.

[6] مرتضى الشيخ حسين، لمحة من حياة البابليين وعاداتهم للمؤرخ الإغريقي هيرودوت، ع1، ص114، مجلة آفاق عربية، كانون الثاني، 1989م.

[7] فيليب حتي، ص169.

رمسيس الثاني هرب من سوريا إلى مصر ممتطيا حصانه، وقد رسمت له صورة وهو راكب العجلة الحربية.[1]

وكان للخيل التي تجر العربات دور عظيم وحاسم في غزو الآريين للهند التي يمتلك سكانها الأصليون العجلات الجامدة التي تجرها الثيران، وذلك في الألف الثانية قبل الميلاد.[2]

أما السكوذيون الذين يقيمون على ضفاف البحر الأسود، فقد كانوا يركبون الخيول البرية وهي عارية، كما كانت نساؤهم يركبن الخيل ويصدن ويرمين بالحراب وهن على ظهور الخيل، ويحاربن الأعداء.[3] وسكنت هذه الشعوب في عربات، تقضي معظم وقتها على ظهور الخيل إلى حد أنها كانت تتعثر في المشي، ولا تحسنه إذا تركت ظهور الجياد، ولم يكن الحصان حيوانا للحمل ولا حليفا للحرب فقط، وإنما كان قطب حياتهم الاقتصادية جميعها، وكانت الأفراس تمدهم باللبن ويقدمون من أنواعه المختلفة غذاء لزعمائهم.[4]

ولم يعرف المصريون الخيل إلا في فترة متأخرة على يد الهكسوس الذين غزوها سنة 1730 قبل الميلاد، وقد أطلق قدماء المصريين على هذا الحيوان اسم (الجميل)، وعلى العربة باسم (الملجمة) ولكنهما ظلا يدعيان "سوسيم susim" و"مركبوت merk abot" (أي الخيول والعربات) وقد دخل هذا الحيوان في فن الصور الدينية مع الربات المحاربات اللواتي جئن إلى مصر من كنعان، ولا سيما عشتار (ربة الفرسان). إلا أن ركوب الخيل ترك للكشافين وحاملي الرسالات. وكان الملوك وعظماء النبلاء يركبون عربة خفيفة، ذات عجلتين يسرع بهما حصانان

---

[1] زينب عبد الفتاح صبرة، حرفة السروجية عبر العصور، ع18، ص97، مجلة الفنون الشعبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1987م.

[2] جفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة، إمام عبد الفتاح إمام، ع173، ص109، عالم المعرفة، الكويت 1993م.

[3] محمد جمال صادق أبه زاو، موسوعة تاريخ القفقاس والجركس، ص209-210، منشورات دار علاء الدين، دمشق 1996م.

[4] المصدر السابق، ص210.

فاخران، كما كانت عربة فرعون يسكنها إله في كل جزء من أجزائها، واشتركت الخيول إلى حد ما في ألوهيتها، وأطلق على جميع أزواج خيول الملوك أسماء طنانة، وسميت الخيول التي خدمت (رمسيس) في قادش "الانتصارات في طيبة" و "عسى أن ترضى موت".[1]

لكننا نلاحظ أن ملوك النوبة الذين حكموا السودان، اختلف تقدير الخيل عندهم عن المصريين، فقد أولعوا بالخيل كثيرا لدرجة أنهم بنوا لها المقابر بجانب أهراماتهم.[2]

ومن خلال الكشف عن اسطبلات سليمان عليه السلام، وجد أنها تتسع لأربعمائة وخمسين حصانا، حصل على بعضها من مصر وكيليكية.[3] وكانت "أفاميا" في ظل الإمبراطورية المكدونية عبارة عن خزينة حربية واسطبل تابع للدولة، يضم ثلاثين ألف فرس وثلاثمائة حصان.[4] وظهرت السفن الفنيقية حوالي سنة 1400 قبل الميلاد مرسومة على المباني الأثرية المصرية، وكانت سفنهم ترسل إلى مصر الرقيق والخيول،[5] كما استخدم اليهود الخيل في الحرب والبريد، وقد كتبت رسائل باسم الملك "احشويروش" وختمت بخاتم الملك وأرسلت رسائل بالبريد بوساطة الجياد والبغال.[6] وكان موكب "خسروبرويز" به ثلاثمائة حصان ذوات لجم مرصعة بالجواهر.[7]

أما في الجزيرة العربية فقد أظهرت الرسومات والنقوش الصخرية أشكالا حيوانية كثيرة، كانت الخيل من أهمها، وقد وجدت رسوم في مناطق متفرقة من

---

[1] جورج بوزنر وآخرون، معجم الحضارة المصرية القديمة، ترجمة، أمين سلامة، ص99، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1992م.

[2] المصدر السابق، ص99.

[3] فيليب حتي، ص206.

[4] المصدر السابق، ص262.

[5] فيليب حتي، ص106-107.

[6] العهد القديم، سفر إستير، الإصحاح 8، الآية 10، إعداد زهير حداد، ط2، دار الكتاب المقدس في العالم العربي 1982م.

[7] أحمد كمال الدين حلمي، شاهنامة الفردوسي، ملحمة الفرس الخالدة، م16، ع1، ص110، عالم الفكر، الكويت 1985.

الجزيرة العربية، تعود إلى فترات متعددة، وتظهر هذه الرسوم بعض الخيول المنفردة، وبعض المشاهد القتالية، ومناظر الصيد، وقد عثر على رسوم صخرية تشير إلى معركة تدور بين أشخاص على ظهور الخيل وظهور الجمال، لعلها تعود إلى الحضارة النبطية والصفوية.[1]

وفي منطقة الجوف/ سكاكا، عثر على بعض الأنماط تحتوي أشكالا بشرية ديناميكية تمتطي الخيول، في حالة قتال، أو تمارس الصيد، لعلها تعود إلى العصر الحديث المتأخر،[2] كما تظهر النقوش الثمودية في "جبل ياطب" رسوما تخطيطية للماشية والخيول، منقوشة بطريقة نمطية، وترسم الخيول عادة بمنظورات غير مطابقة للواقع، وبكثير من التفاصيل الواقعية، تعود إلى الفترة الأولى من العهد الثمودي.[3]

ومن المواقع الهامة فترة ما قبل الإسلام ما وجد في "الظباة" وهو عبارة عن رسوم للخيل والجمال والمرأة ذات القناع "الإلهة العزى".

كما عثر في موقع "الغربة" على منظر معركة بين شخصين، أحدهما يحمل قوسا وسهما، والآخر على حصان، يقع هذا بين نهاية العصر البرونزي والعصر الحديدي.

وقد وجد في "دنن" و"قلاته" مناظر معارك بالرماح مع رسوم خيول وجمال وصيد نعام، تعود إلى العصر الحديدي، كما صورت مناظر يظهر فيها صيد النعام على الخيول، وكذلك منظر معركة على الخيول.[4] وظهر في نجران معارك غالبيتها على الخيل.[5]

---

[1] مجيد خان، التركيب والشكل في الرسوم الصخرية في شمال المملكة العربية السعودية، ع11، ق2، ص73، مجلة أطلال، السعودية 1988م.

[2] عبد الرحمن الكباوي وآخرون، تقرير مبدئي عن المرحلة الثانية عن المسح الشامل للنقوش والرسوم الصخرية في المنطقة الشمالية، ق2، ع10، ص106، أطلال، السعودية 1986م.

[3] مجيد خان، ق2، ع11، ص77.

[4] حامد إبراهيم أبو درك، حفرية موقع الصناعية، 134،ع13، ق2، ص50، أطلال، السعودية، 1990م.

[5] ضيف الله مضيف الطلحي، تقير مبدئي عن نتائج حفرية الحجر. ق2، ع14، ص48، أطلال، السعودية 1996م.

ويأتي الحصان بعد الإنسان والمواشي من حيث الأهمية في "جبة" والمواقع الشمالية الشرقية من شبه الجزيرة العربية، إذ صورت الخيول بأعداد كبيرة، وقد نقشت بمنظورات منحرفة وبأنماط طبيعية وشبه طبيعية. [1]

وفي هذا كله ما يدل على أن الخيل عاشت في الجزيرة العربية، عنصراً فعالاً، في كثير من جوانب الحياة، لا سيما في الحرب والصيد، وكانت تكثر عند عرب الجزيرة، وليس أدل من ذلك من تلك الرسومات التي تنتشر في مواقع مختلفة من الجزيرة العربية. [2] ويرى جواد علي أن الخيل لم تكن كثيرة في الحجاز عند ظهور الإسلام.[3] ولعل السبب يرجع إلى فترات الضعف التي مرت بها الجزيرة العربية وتعرضها للغزو والإغارة، وسلب الأموال والمحصولات من خيول وغيرها، كما حدث في حملة "سينا شريب" الأولى ضد " ميردوخ – بلدان"، حيث قام "سينا شريب" بنقل غنائم العرب والكلدانيين والآراميين 208000 نسمة من الكبار والصغار، ذكورا وإناثا، والخيل والبغال والحمير والجمال والماشية والأغنام، دونما حصر، نقل كل هذه الغنائم الضخمة إلى الدولة الآشورية. [4]

1.2.1 الخيل والسحر:-

حاول الإنسان منذ ظهوره على سطح الأرض، أن يجد تفسيرا لما يدور حوله في الطبيعة، وأن يخضع ما حوله لإدراكاته الحسية والعقلية، وحين عجز عن التفسير والانتصار على الطبيعة، ابتكر آلهته، ونسب قوى الطبيعة إليها، فقدم لها القرابين والهدايا؛ ليدفأ برضاها، ويتجنب سخطها. وقبل أن يمتطي صهوة الدين والمعتقد، دخل كهوف السحر، واستأنس بخفافيش الليل، وآمن بتكنولوجيا السحر الذي "يمثل إحدى المراحل الدنيا السابقة – كما يرى أحدهم – من التفكير الإنساني،

---

[1] مجيد خان، ع11، ق2، ص85.

[2] ومن هذه الرسومات أيضا ما وُجد على سفح الجبل في قرية "الفاو" تحوي رسم خيل، ومناظر حروب، ورحلة صيد. انظر: عبد الرحمن الطيب الأنصاري، قرية الفاو صورة مشرقة للحضارة العربية قبل الإسلام في المملكة العربية السعودية، ص24، جامعة الرياض.

[3] المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج7، ص116، ط2،بغداد 1993م.

[4] دانيال بوتس، ثاج في ضوء الأبحاث الحديثة، ع7، ق2، ص72، أطلال، السعودية 1983م.

بل إن السلالات والأجناس البشرية جميعها مرت بتلك المرحلة أو لا تزال تمر بها في تقدمها نحو الدين ثم العلم".[1]

ومنذ الإنسان الأول أظهر الفن البدائي تلك الرسوم واللوحات التي تعطي انطباعا عاما عن تلك الممارسات السحرية التي استخدمها إنسان الباليوليث لإخضاع الطبيعة، وكان السحر التشاكلي وسيلته الرئيسة، لصيد أو امتلاك ما ليس في مقدوره صيده أو امتلاكه، أو الاقتراب منه. فاستدعى أفكاره عن طريق التشابه، اعتقادا منه أن الأشياء المتشابهة متطابقة تماما، وأن الإنسان يستطيع أن يلحق الأذى والدمار والموت بالآخر، حين يلحق الدمار بصورته، فما يلحق الصورة من شر يلحق صاحبها.[2]

ومن هنا استخدم الإنسان الأول هذه الممارسات، وآمن بها واعتقد بها اعتقادا تاما؛ لذا وجد في كهوف "لياسكو" بفرنسا لوحة تعود إلى العهد الباليوليثي، كان قد رسم عليها خيول مصابة بالنبال،[3] كما رسم في كهف " أنجل – سيور – أنجلين" حصان مطارد نقشت في جسده النبال[4] ووجد في "غروت باليتشي" لوحةُ رسمٍ لنقش خيول مثخنة برموز النبال. وهي ترمز إلى المصيدة أو الفخ.[5]
لقد اعتقد إنسان الباليوليث أن رسمه هذا الحيوان داخل الكهوف يجعله تحت سيطرته انطلاقا من مبدأ السحر التشاكلي، القائم على التشبيه.

لكن "السواح" يرى أن هذه الرسومات الحيوانية، هي عبارة عن شارة مقدسة استخدمها إنسان الباليوليث الأعلى في هذه البقع القصية المظلمة، ليستحضر من خلالها قوة العالم الموازي، وتحولت هذه الكهوف – كما يرى- إلى كاتدرائيات

---

[1] فريزر، جيمس، الغصن الذهبي، ترجمة، احمد أبو زيد وآخرون، ج1، ص333، الهيئة المصرية العامة 1971م.

[2] فريزر، الغصن الذهبي، ج1، ص107.

[3] يان إيلينيك، ص173.

[4] المصدر السابق، ص66.

[5] نفسه، ص176-177.

نحتتها الطبيعة في الأعماق، وأقام فيها الإنسان العاقل نقاط تواصل مع المجال الآخر.[1]

وعلى كل حال، فإن القدسية التي حولت هذه الكهوف إلى معابد دينية، وأضرحة مقدسة، لا تحتاج إلى نبال تخترق أجساد الحيوانات، أو رسومات حيوانية تكون شارة مقدسة للتواصل مع العالم الآخر. فهناك كثير من رسوم الخيل، هي رسالة إنسانية خارجية، أراد الإنسان من خلالها أن يتواصل مع عالمه الخارجي، وأن يعبر بها عن مكنوناته الدفينة، مثله مثل الشاعر تماما، ذاك بالرسم، وهذا باللغة. وأما بالنسبة لرسومات الكهوف فإنه يمكننا أن نكرر تساؤل "فريزر" ألا يمكن القول إنه مثلما كان هناك "عصر حجري" للجانب المادي من الثقافة الإنسانية في كل مكان، كان يوجد "عصر سحري" للجانب الفكري من تلك الثقافة في كل مكان أيضا؟[2]

ولم يكن إنسان الباليوليث وحده الذي نقش تلك الرسوم على كهوفه، ونفث فيها من سحره، بل إنه يلاحظ في كثير من جبال الجزيرة العربية وصخورها، هذه النقوش والرسوم التعبيرية، يعود بعضها إلى الفترات الثمودية، ففي منطقة "جبة" بالسعودية وجد ما لا يقل عن اثنين من أفاريز الخيول منحوتين، وتبدو فيهما السهام، وهي تخترق الجسم، مما يوحي بأن الخيول كانت حيوانات برية غير أليفة.[3] فهل يمكن أن تعد هذه الصخور كاتدرائية مقدسة في الجزيرة العربية، تعود – في أغلب الأحوال – إلى العهد الثمودي؟!

واكتشف في "المجمعة" بالسعودية رسوم خيول كثيرة، ومعارك على الخيول بالرماح الطويلة،[4] لعلها تعود إلى الألف الأول قبل الميلاد. كما ظهر في قرية "الفية" في منطقة "أبها" في أساسات مبان ومقابر، رسوم خيول ورماح طويلة، ومناظر

---

[1] دين الإنسان، ص150.

[2] فريزر، الغصن الذهبي، ج1، ص203.

[3] مجيد خان، ع11، ق2، ص85.

[4] عبد الرحمن الكباوي وآخرون، تقرير عن الرسوم والنقوش الصخرية جنوب غرب المملكة (أبها جازان)، ع15، ق2، ص102، أطلال، السعودية 1992م.

معارك على الخيول.[1] ولعل إنسان الجزيرة العربية اعتقد في هذه الرسوم التي على المقابر، ما اعتقده المصريون القدماء أيضا من أن الميت يستطيع أن يحيل هذه الرسوم إلى حقائق بطريق السحر.[2]

أما بالنسبة لمناظر الصيد التي صورها فنان الجزيرة العربية، والتي تحتوي على صيد النعام وغيره،[3] فيفترض أحد الباحثين أن كل صخرة تحتوي على مشهد من مشاهد الصيد، إنما كانت تشير إلى مكان لممارسة هذه الطقوس السحرية التي كانت تقام كنوع من المباريات، وكانت هذه الأماكن – كما يرى – محدودة وتقتصر على مناطق معينة يحددها أو يشرف عليها كاهن أو ساحر من السحرة.[4]
فمع ذلك فإن كثيراً من الرسومات التي تصادفنا في الجزيرة العربية تحوي رسائل اتصال خارجية.

لقد أراد الفنان القديم، أن يعبر كما يعبر الشاعر – ولعله الشاعر نفسه – عن قبيلته ومجتمعه وأسرته ونفسه، أراد أن يبعث برسالة إلى الآخر؛ ليتواصل معه، سواء أكان هذا الآخر إلها يقبع في مخيلته، أم إنسانا مثله، يقاسمه العداوة والكراهية. وهناك نوعان من هذه الرسائل، رسالة تدرك وجهتها من خلال خطوطها المباشرة، ورسالة لا تدرك وجهتها، إنما تفضي بنا إلى الظن بوجود طقس ديني، تمارسه هذه القبيلة أو تلك، من خلال الحركات التعبيرية التي تظهرها بعض حفلات الرقص الجماعية وغيرها.

وكما صور الآشوريون مشاهد الحرب لغرض التأثير في المشاهدين، وخاصة في رسم نهاية الحرب القاسية، رسم عرب الجزيرة تلك المشاهد وصوروها في صخور الجزيرة وجبالها.

---

[1] المصدر السابق، ع15، ص104.

[2] كريستيان ديروش، الفن المصري القديم، ترجمة، محمود خليل النحاس، واحمد رضا، ص147، مصر 1990م.

[3] انظر: حامد إبراهيم أبو درك، ،ع13، ق2، ص50، أطلال، السعودية 1990م. وانظر مجيد خان، ع11، ق2، ص116، أطلال، السعودية 1988م.

[4] عبد الرحمن الكباوي وآخرون، ع10، ق2، ص110.

لقد امتلأت صخور الجزيرة العربية بالرسومات المعبرة عن المعارك والمطاردة، لغرض التأثير في أعدائهم، وقد وجد في "دنن" و "قلاته" مناظر معارك بالرماح، مع رسوم خيول وجمال، تعود إلى فترة العصر الحديدي.[1] كما وجد في منطقة "أبها" في بعض القرى رسوم خيول، عليها أشخاص يمسكون برماح طويلة.[2] بينما تظهر المناظر في "نجران" معارك، غالبيتها على الخيول وبالرماح.[3]

ولعل في هذا ما يدل على أن الفنان في الجزيرة العربية، كان يعتقد بتأثير هذه الرسوم والنقوش على الآخر، سلبيا على العدو، وإيجابيا على أفراد قبيلته.

أما الرسومات البشرية المقنعة بأقنعة حيوانية، فإنما توحي إلى تلك الطقوس التي كان يمارسها سكان الجزيرة العربية، سواء أكان – كما أظن – لاستجلاب المطر والخصب، أم لغيرها من الحاجات الملحة، والتي تتطلب ممارسة هذا النوع من الرقص الجماعي، "ولعل الخيول أصبحت في بعض الفترات حيوانات أسطورية"،[4] تشارك السكان في هذا الطقس الميثولوجي الجماعي، وهي رسالة إلى العالم الآخر، أرادت أن تستنزل القبيلة من خلالها حاجتها الملحة؛ لذا فإن "تلك الرسومات والإشارات الرمزية تشير إلى أن هذا الفنان أراد أن ينقل شيئا، وأراد أن يعبر عن رسالة ما، وأن فنه لم يكن مجرد نقوش أو خربشات على الصخور للتسلية أو المتعة"،[5] كما دلت الرسوم البشرية التي وجدت في منطقة "المليحة" بالجزيرة، والتي تظهر مقنعة في صفوف متشابكة الأيدي في وضعية الرقص، وكذلك نقوش الخيل العديدة في الموقع نفسه، دلّت على أنه ربما كان لهذه الحيوانات صفة دينية أو أسطورية. وأن الرقص الجماعي والأقنعة على الوجوه، يمثل ممارسة للطقوس والشعائر.[6]

---

[1] حامد إبراهيم أبو درك، ع13،ق2، ص50.

[2] عبد الرحمن الكباوي وآخرون، تقرير عن الرسوم والنقوش الصخرية جنوب غرب المملكة (أبها ــ جازان)، ع15، ق2، ص102، أطلال، السعودية 2000م.

[3] ضيف الله الطلحي، ع14، ق2 ص48، أطلال، السعودية 1996م.

[4] مجيد خان، ع11، ق2، ص85.

[5] المصدر السابق، ع11، ق2، ص86.

[6] نفسه، ع11، ق2، ص79.

ومهما يكن من أمر فإن الفنانين في تلك الفترة، لم يكونوا يرسمون صورا بإرادتهم الحرة، بل كانوا يرسمون أشكالا للتعبير عن أشياء، يريدون قولها، أو لتسجيل أحداث عن طريق مخطط يظهر في كل شكل، والذي لابد أن معناه كان معروفا في ذلك المجتمع الذي رسمت فيه تلك الأشكال.[1]

وعلى الرغم من عدم فهم الغاية الأساسية من تلك الرسومات والإشارات، إلا أن انفرادها فيما يتعلق بالحيوانات، يتضمن وجود لغة رمزية، تغيب عنا معظم سماتها الخاصة نظرا لعدم توفر المحتوى اللفظي لتلك الفترة.[2]

وهذا ما يجعل حقيقة تلك النقوش والرسومات مرتبطة بالتنقيبات الأثرية، والاكتشافت الجديدة في المستقبل، والتي ستساهم في فك رموز المحتوى اللفظي لتلك النقوش والرسومات.

2.2.1 الخيل: تقديس وتضحية:

قامت الخيل في حياة كثير من شعوب الحضارات القديمة، بدور بارز، ونظرت تلك الشعوب إليها بعين الإجلال والإكبار، واعتقدوها كائنا مقدسا، يجلب الخير، ويدفع الشر. كما أن بعضهم كان يقدمها قرابين؛ ليرضي روح آلهته.

وقد اختلفت مظاهر التقديس عند الشعوب لاختلاف الثقافات والبيئات، ففي "قادس" إحدى المدن الإسبانية، التي شهدت الحضارة الفنيقية، بنى "القادسيون" الفقراء (الأحصنة) وهو نوع من السفن الصغيرة، زُينت مقدمتها ومؤخرتها برأسَيْ حصان، تعود إلى القرن التاسع ق.م.[3]

وكان من عادة كثير من الشعوب دفن مستلزمات الميت معه في قبره، كأدوات إعداد الطعام وغيرها مما يتعلق بحياته اليومية، التي كان يستخدمها في الحياة الدنيا، اعتقاداً منهم بالبعث.[4]

---

[1] عبد الرحمن الكباوي وآخرون، ع10، ق2، ص109.

[2] مجيد خان، ع11، ق2، ص86.

[3] بولي بروكوفيتش تسيركين، الحضارة الفينيقية في إسبانيا، ترجمة، يونس أبو فاضل، ص83، ط1، جرّوس برس، بيروت 1988م.

[4] انظر: عبد محمد جرو، القبور المكتشفة في آشور، م42، ج1،2، ص46، مجلة سومر، بغداد 1983م. وفيليب حتي، ص134. ونورمان م.هويلن وآخرون، تقرير عن التنقيب في المواقع الآشولية قرب صفّاقة –

وقد كان الهكسوس يدفنون خيولهم في مدافن خاصة، أو يدفنونها مع أصحابها تنويها باعتزازهم بها.[1] وعثر في "أريحا" في أحد القبور على هيكلين لحصانين يرجعان إلى عهد الهكسوس،[2] كما وجد في "تل العجول"، مدافن عمودية ومدافن مستطيلة تحوي هياكل عظمية صغيرة، وعربات مع خيولها.[3]

وفي منطقة "بوهن" بالنوبة العليا، عثر "ولترإيمري" على هياكل خيول، دفنت في مستويات قديمة لأطلال أحد الحصون المصرية هناك، وقد حدد تاريخ هذا المستوى بأيام الدولة الوسطى للهكسوس.[4]

وقد كان ملوك النوبة يعظمون الخيل، ويبنون لها المقابر بجانب أهراماتهم، ومن ذلك أن أحد الملوك أوقف أميراً مصرياً تحدى مملكة النوبة خارج أسوار مدينته، فلما هلكت المدينة جوعا واستسلمت، ذهب الملك إلى اسطبل الخيول، ورآها تموت جوعا، فقال: بحياتي وبحب الشمس لي، وبرجعة الشباب إلى أنفي بالحياة الإلهية، إن تجويع خيولي لأشق على نفسي من جميع أعمالك الشريرة.[5]

وأثبتت التحريات التاريخية أن أجداد الجراكسة من الكيمريين الذين يحكمون منذ 1500 ق.م الشمال القفقاسي، يدفنون كثيراً من الأشياء العائدة للميت، وقد وجد في المقابر الأسلحة والأدوات والأواني، إلى جانب الهياكل العظمية للنساء والرجال والخيل والبقر والغنم. فضلا عن بقايا العربات التي تقاد بستة أزواج من الجياد.[6]

بالدوادمي، ع7، ق2، ص16، أطلال، السعودية 1983م. وخالد عبد العزيز الدايل، دومة الجندل، ع10، ق1، ص92-93، أطلال، السعودية 1986م.

[1] عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم، (مصر والعراق)، ص195، ط4، مكتبة الانجلو المصرية 1984م، نقلا عن: W.F.petrie.Ancient Gaza,1,4,pls.v111-lx,vol.11,4,15,vol.iv,16.

[2] خولة قسوس الحناينة، عصر الهكسوس في الأردن وفلسطين، ص27، مطبعة وزارة السياحة والآثار، دائرة الآثار العامة، 1990م.

[3] المصدر السابق، ص69.

[4] عبد العزيز صالح، (الحاشية)، ص197.

[5] محمد جمال صادق، ص82-83.

[6] جورج بورنز وآخرون، ص100.

كما كان المغول وحتى العصور الإسلامية يدفنون الخيل مع صاحبها، اعتقادا منهم بحاجته إليها في الحياة الثانية.[1]

ومن مظاهر التقديس أيضا عند الجراكسة، أنهم كانوا يضعون اللجام في يد الميت، ويجعلون الجواد يدور حول القبر ثلاث دورات، ثم تقطع الأذن اليمنى للجواد وترمى في القبر.[2]

ومن آثار القرن الأول قبل الميلاد في العصر الحديدي عند الكلتيين، أن الجواد لم يكن مجرد دابة من دواب الحمل أو مطية يستخدمونها في الصيد، بل كان حيوانا مقدسا يرتبط بعدد من الآلهة، ومما يدل على تقديسهم للجياد أنهم كانوا يرسمون صورتها على النقود وعلى جميع أنواع المشغولات المعدنية.[3]

وحين أراد "كيروس" أن يعبر نهر "جينديس" لغزو بابل، جرف التيار أحد أفراسه البيضاء المقدسة، فهدد النهر في ثورة غضبه من ارتكاب النهر لهذا الجرم ضد مقدساته، بأن يجعل مياهه ضحلة، وأمر الجيش بتنفيذ ذلك، وانشغل طوال الصيف عن غزو بابل.[4]

وفي بوذية التبت يوجد لونج رتا (حصان الريح) Lung-rta، على الأعلام وهو يرمز إلى الريح.[5]

كما يظهر في الأساطير اليابانية اسم "جيزو – بوساتو Jizo-Bosatsu"، وهو اسم بوذا المنتظر في اليابان، يساعد الموتى ويحمي النساء والأطفال، وهو المخلص في بوذية الصين، تُظهره الآثار الفنية أحيانا على هيئة إله الحرب ممتطيا صهوة حصان.[6]

---

[1] سعد محمد مسفر الغامدي، مكان ومراسم دفن الخانات عند المغول خارج موطنهم الأصلي، م11، ص300، مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود 1984م.

[2] محمد جمال صادق، ص325.

[3] زينب عبد الفتاح صبرة، ع18، ص96.

[4] فريزر، جيمس، الفلكلور في العهد القديم، ترجمة، نبيلة إبراهيم، ج2، ص245، الهيئة العامة لقصور الثقافة 1998م.

[5] إمام عبد الفتاح إمام، م2، ص347.

[6] المصدر السابق، م2، ص232.

أما "كانزيوس" رأس الحصان Bato- Kanzeon " في البوذية اليابانية، فهو صورة من بوذا المنتظر، صاحب الرحمة الذي يحمي الخيول والمزارع والحيوانات، والمسافرين. ويصورونه عادة وهو يضع تاجا أو قبعة عليها رأس حصان صغير.[1]

كما كان الحصان شعارا للملكية في الهند، كالفيل، وبذلك كان أحيانا موضوع قربان فخري لبوذا.[2]

ومن مظاهر تقديس الخيل أيضا، أن بعض الشعوب كانت تضحي بالخيل، تقربا لآلهتها، أو استرضاء للأرواح الخفية، أو ممارسة لطقس سحري، أو غيرها، ومن ذلك أن إحدى الممارسات الوثنية لدى القبائل الألمانية، ذبح الحيوان قرباناً، وأكل لحومها في الأعياد والمناسبات الدينية، وقد وجدت تذكارات تقديس الخيول على شكل جماجم وأجزاء أخرى من هذه الحيوانات على سقوف المنازل والجلمونات.[3]

وكان على قاسم اليمين في الطقوس الإغريقية أن يقف على جسد الفرس الضحية، فحين كثر خطاب ابنة أحدهم، جعلهم يقسمون اليمين على حمايتها وحماية من تختاره، ولكي يخلع على القسم نوعا من الرهبة، ضحى بفرس وقطعه إلى أجزاء وطلب من جميع الخطّاب أن يقسموا اليمين على أجزاء جسد الفرس.[4] فذبح الحيوان يرمز إلى ذبح الحانث باليمين، أو هو بالأحرى جزء من سحر تقليدي يقصد به إلحاق الموت بالمذنب جزاء جريرته.[5]

---

[1] نفسه، م1، ص181.

[2] فيليب سيرنج، الرموز في الفن، الأديان، الحياة، ترجمة، عبد الهادي عباس، ص59، ط1، دار دمشق للطباعة والنشر 1992م.

[3] انسمنجر، الخيل والفروسية، ترجمة، نجيب توفيق غزال، ج1، ص16، مطبعة جامعة الموصل 1983م.

[4] فريزر، الفلكلور في العهد القديم، ج2، ص16.

[5] المصدر السابق، ج2، ص30.

وكان إذا ولد للهنود "الباتاجونيانيين" طفل، تُذبح بقرة أو فرس وتنتزع منه معدته ثم تُبقر ويُوضع بداخلها الطفل، وهي ما تزال دافئة؛ وذلك لإكساب الطفل بعض الخصائص التي يعتقد أنه يمتلكها.[1]

بل إنه في بعض شعائر الميلاد تحضر القبيلة فرسا وتربط أرجله، ثم يتقدم والد الطفل ويشق الفرس من رقبته إلى أسفل، ثم ينتزع قلب الحيوان وغير ذلك من الأجزاء، ويوضع الطفل في تجويفها؛ اعتقادا منهم أن الطفل سيصبح بكل تأكيد في المستقبل فارسا ماهرا.[2]

وكان من عادة كثير من الشعوب، استرضاء أرواح الأنهار التي تخشى لخطورتها وتقلّبها.. فعندما تجمع الفرس تحت زعامة "اكسيركس" عند نهر "ستريمون" قدم الماجيانيون أفراسا بيضاً ضحية للنهر. ويرى "فريزر" أن الدافع وراء ذلك هو الخوف والفزع من الأنهار التي ينظر إليها إما أنها كائنات مشخصة قوية أو أنها مأوى لأرواح قوية.[3]

وقد عرفت المرحلة الفيدية الهندية ديانات متعددة، وقد تركزت في البدء على الديانات المرتبطة بالطبيعة، كالسماء والشمس والقمر، والنيران، والأرض، والرياح، والمياه. وكانت تقوم أيضا على أساس الذبيحة لا سيما ذبيحة الحيوان.[4]

وكانت الأضاحي عند الهندوس كثيرة ومتنوعة، وأعظمها الأضاحي الملكية، ومنها الإشفاميذا Ashvamedha وهو التضحية، حيث تترك إحدى الخيول المخصصة للتضحية في صحبة مائة من الجياد الأخرى، مع حراس من المحاربين الفرسان، ويترك الجميع يتجولون لمدة عام، ويحاول الأمراء الذين يتم التجوال في مقاطعاتهم الإمساك به أو قتله، وبذلك يعرضون المضحي لمكافأة إلهية سارة، أو

---

[1] نفسه، ج2، ص37.

[2] فريزر، الفلكلور في العهد القديم، ج2، ص37.

[3] المصدر السابق، ج2، ص238.

[4] حسان حلاق، ملامح من تاريخ الحضارات، ص102-103، الدار الجامعية 1986م.

يُرغمون على الخضوع لسيادته العليا، ثم يَضحّي بالجواد في نهاية العام، وتُنقل قوته المدخرة إلى المملكة، وهكذا تضمن صحة المملكة والأسرة الحاكمة وازدهارهما.[1]
أما أريس (المقاتل – الشجاع) Ares أحد آلهة الأولمب الاثني عشر في الأساطير اليونانية، والذي كان يعبد عند الاسبرطيين بصفة خاصة، فتقدم له القرابين والأضاحي، وكان الحصان من بينها.[2]

وفي الأساطير الفنلندية تظهر "لود Lud" أيكة مقدسة تعبد فيها أرواح الأبطال القدامى، وعادة تطلب الروح التي تسكن الأيكة المقدسة التضحية لها بالدماء، ويضحى لها عادة بمهر صغير.[3]

أما في الأساطير السلافية فيوجد "فولسVolos " إله الوحوش الضاربة والقطيع، وظل يعبد في بعض مناطق روسيا حتى القرن التاسع عشر، يذبح له حصان تحت أقدام تمثاله كقربان.[4]

وفي أساطير "سيبيريا" يظهر بطل يدعى "مو– مونتو Mu-Monto" زار أرض الموتى؛ ليسترد حصانا كان قد ضحى به في جنازة والده.[5]

3.2.1 الخيل البشرية:-

نستطيع القول إن الخيل ارتبطت بالإنسان، بأشكال مختلفة، ولقد تجسد هذا الارتباط بدرجة فانتازية وأسطورية، حيث دلت بعض الأشكال في الفن الباليوليثي (البدائي) على وجود أنواع شاذة من المخلوقات التي أخذت صفة الإنسان "فقد ظهر رجال لهم حوافر خيل...وبعضهم على شكل إنسان في مقدمته وعلى شكل حصان في مؤخرته...".[6]

[1] جفري بارندر، ص173.
[2] إمام عبد الفتاح إمام، م1، ص173.
[3] المصدر السابق، م2، ص344.
[4] نفسه، م3، ص417.
[5] نفسه، م2، ص434.

[6] بول فريشاور، الجنس في العالم القديم، ترجمة، فائق دحدوح، ص26، ط1، دار علاء الدين، دمشق 1993م.

وقد ابتكر اليونانيون حيوانا خياليا، هو السنطروس Centaurs، الذي يتكـون من جزء بشري وجزء حصان، الجزء العلوي جسم رجل "من الرأس إلى الخـصر" يتصل بجسم وأربع أرجل لحصان.[1]

وفسروا ذلك، فقالوا: إنه يرمز لتعلق الإنسان بالحصان، وتجاوب هذا حتـى يخيل للناظر أنهما مخلوق واحد، ومعنى آخر جمالي: يرمـز ويـشير إلـى قـوة الحصان.[2]

تقول الأسطورة الإغريقية أن السنطروس هو الذي علم اسكليبوس إله الطـب الطبَّ فنشأ بارعا فيه لدرجة أنه كان قادرا على إحياء الموتى.[3]

ونجد في أساطير اليونان كذلك منطقة البروج (زوديـاك) Zodiac، المـشتقة من الكلمة اليونانية "زوديود" التي تعني "الحيوان الصغير" وهي منطقة متخيلة فـي السماء، تبدو الشمس وهي تجتازها على مدار العام، وتـسمى علامـات الزوديـاك بأسماء الآلهة أو الحيوانات التي يمكن أن يظهر شكلها في السماء، وهي اثنا عـشر برجا، منها، القوس، أو الرامي، نصفه إنسان ونصفه الآخر حيوان، بيده قوس يطلق منه سهامه، وفي بعض الأساطير هو القنطور "خيرون" وقد كان بين بروج الـسماء بناء على طلب ربات الفنون.[4]

وتذكر الأساطير أن السنطروس "خيرون" هذا، ولدت له ابنة تدعى أوكيروييه ocyirho ومعناها التيار الجارف، وقد غضبت منها الآلهة لقدرتها الخارقـة علـى التنبؤ بالمستقبل، فاستحالت في النهاية إلى مهرة.[5]

أما الساتيرس Satyrs فكان مثله مثل السنطروس مزيجا من رجل وحيـوان، الجزء الأعلى من الجسم يتألف من جسم رجل، والجزء الأسفل يتـألف مـن جـسم

---

1 The New Book of Knowledge G7 Grolier Copyright, 2000 By Grolieri P.363 Incorporated registered in U.S Patent Office.

2 سلمان قطاية، بين المرأة والفرس العربية، ص136، مجلة آفاق عربية، شباط 1989م.

3 فراس السوّاح، لغز عشتار، الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسـطورة، ص154، ط1، دار عـلاء الـدين، دمشق 1985م.

4 إمام عبد الفتاح إمام، م3، ص502.

5 المصدر السابق، م3، ص46.

حصان أو عنزة باثنين من الأرجل، ولكن ليس نصف إله demigod؛ ذلك لأن نصف الإله كان أعظم من البشر، وأقل عظمة من الإله.[1]

وتعيش مخلوقات في التلال والغابات، تدعى السيلنون (رجال القمر) Sileni، تذكر الأساطير اليونانية، أن لها آذان وذيول الخيل وأنوفاً مفلطحة.[2]

كما أن وحيد القرن unicorn الذي أظهرته الرسوم الفنية الآشورية كان يحمل جسم فرس وذيلاً أسود، وقرنا وحيدا في وسط الجبهة، زعمت المصادر اليونانية أنه سريع العدو، بالغ الشراسة، وقد صورته الأساطير المصرية رمزاً للخير، وقد استخدم وحيد القرن رمزا للمسيح، وفي الأساطير الصينية كان الحصان أحد الحيوانات الأربعة التي تحمل فألاً حسنا.[3]

ويصادفنا في الأساطير الهندوسية توأم من الآلهة، يدعى أشوينز (الخيل البشرية) Ashwins، وهما شابان رشيقان بشعر ذهبي لامع، يركبان عربة ذهبية تجرها جياد أو طيور، تروي إحدى الراويات أن "سرانيو" Saranyu (سريعة العدو) اتخذت هيئة المهرة، وضاجعها فيفازوات Vivaswat على عجل بعد أن تشكل في صورة حصان، غير أنه أثناء هذه العجلة سقطت حيوانات منوية على الأرض وشمتها "سرانيو" فأنجبت الخيل البشرية.[4]

كما يوجد في الأساطير الهندوسية أيضا حيوان خرافي يدعى تاركشايا Tarkshya، يكون أحيانا طائراً، وأحيانا حصانا.[5]

وفي الأساطير اليونانية أيضاً، يوجد شعب بعين واحدة أشبه "بالبشر- الخَيل" يدعى أريماسبي Arimaspi يعيش هذا الشعب بجوار جدول يجري ذهبا.[6]

أما الإله فيشنو Vishnu في الهند، الذي اتخذ شكلا أرضيا لكي ينقذ العالم – على زعمهم – عندما هددت قوى البشر بتدميره، فإنه يلاحظ في تجسيداته العشرة، أن

[1] The New Book of Knowledge, G7, P.363.

[2] إمام عبد الفتاح إمام، م3، ص254-255.

[3] المصدر السابق، م3، ص357.

[4] نفسه، م1، ص129.

[5] إمام عبد الفتاح، م3، ص301.

[6] المصدر السابق، م1، ص119.

من بينها كالكينKalkin ، الذي يجسد المستقبل، وقد وصف في صورة مختلفة، منها على هيئة إنسان برأس حصان.[1]

كما أظهر الفن الفارسي حيوانا له جسم أسد بـرجلين أماميتين، والقائمان الخلفيان مسلحان بمخالب نسر، وله أذنا بقرة، وقرنا عنزة وعين ووجه ومنقار شاهين، وذنب أسد، وزينت رقبته بعرف حصان، إشارة إلى القوة والقدرة.[2]

4.2.1 الخيل المجنحة:-

أظهرت بعض الشعوب والحضارات هذه الصورة للخيل، وشكلت جزءا من أساطيرها، ومعتقداتها، وبالتالي هي ترسم صورة خيالية فانتازية لهذا الحيوان.

ونذهب إلى الوسط الفينيقي في إسبانية، الذي أظهرت مصنوعاته المكتشفة بعض المشاهد التي عبرت عن هذه الفكرة، حيث يظهر على الأمشاط شخص يلحق بحصان مجنح[3] كما تحتوي كذلك بعض الرسوم على مشهد رجل فينيقي يقتفي أثر حصان مجنح[4] ويصعب الاعتقاد أن ما يفسر هذه المشاهد هو الرغبة في تزيين المشهد وحسب. حيث تحملنا بعض المشاهد على تذكر بعض الأساطير المتعلقة "بملقارت" الإله الذي آمن به بعض القادسيين، ويستدل من قصيدة سيليوس ايتاليك – كما يذكر أحد الباحثين – أن إحدى مآثر هذا الإله كان الصراع مع الجياد.[5]

وعند الحديث عن أثينا، وأساطيرها، تظهر أسطورة "أراخنا"، وتظهر معها محاولة ترويض الحصان المجنح.[6]

وكذلك نجد "بيجاسوس" الحصان المجنح لـ "بليرفون" وهو بطل في الأساطير اليونانية ابن الإله بوزيدون، أخذه الغرور، وأراد أن يرقي إلى السماء بحصانه المجنح "بيجاسوس" غير أن "زيوس" كبير الآلهة أرسل له ذبابة الخيل كي

---

[1] جفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، ص196-197، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة 1996م.

[2] أرنست بابلون، ص142-143.

[3] بولي بركوفيتش تسيركين، ص150-151.

[4] المصدر السابق، ص155.

[5] نفسه، ص155.

[6] خزعل الماجدي، المعتقدات الإغريقية،ص296، ط1، دار الشروق، عمان 2004.

تلدغه فتحطم الحصان، وتحول إلى مجموعة النجوم المعروفة باسمه، أما بليروفون فقد سقط على الأرض ميتا.[1]

وفي الجنوب الغربي من أوربا تُذكر ماري Mari الإلهة الأم العظمى عند سكان جبال البرانس، وهي إلهة السماء عندهم، تصورها الآثار الفنية وهي ترتدي ملابس فخمة وتتحلى بالجواهر، ومسكنها تحت الأرض، لكنها تركب أيضا عربة تجرها أربعة جياد تجوب بها الهواء.[2]

وفي أساطير الملايو هناك حصان سحري يدعى "كودا Kuda" يستطيع السباحة في الماء، والطيران في الهواء على حد سواء.[3]

ويحتفل الهنود الماليزيون سنويا بعيدهم الديني، عيد تابوزام، اعتقادا منهم التقرب من الرب الأكبر "سيفانا تراجا" مانح السلاح والبركة الدائمة. وعلى هذا الأساس يمجدون الإله "مورغلن" حفيد "سيفانا تراجا" ويعتقدون انه اتخذ " الرمح" و"الطاووس" وهو الفرس السريع الذي يحمله على ظهره ليجول به عبر هذا الكون اللانهائي.[4]

وهناك أسطورة إفريقية، تعد من أبرز أساطير الزنوج وأصدقها في تصوير الحياة التي كانوا يعيشونها، وهي أسطورة " الفرس العجوز" الذي استطاع أن ينقذ الأميرة "فتيما" من ملك الثعابين، كما استطاع هذا الفرس الأسطوري أن ينقذ الأميرة من الشريرة "صوما" ويطير بها محلقا في السماء.[5]

وفي الرسومات الإسلامية يظهر البراق في صورة حصان مجنح يجتاب السموات.

5.2.1 الخيل رمز للجنس والخصب:-

رمز الحصان في بعض الحضارات القديمة إلى الجنس والخصب، ومن ذلك أن الحيوان الخرافي الذي يدعى وحيد القرن Unicorn، تصوره الأساطير المسيحية،

---

[1] إمام عبد الفتاح إمام، م1، ص189.3

[2] المصدر السابق، م2، ص384.

[3] نفسه، م2، ص283.

[4] سيد صديق عبد الفتاح، أغرب الأعياد وأعجب الاحتفالات، ص20، ط1، دار الأمين، القاهرة 1994م.

[5] سليمان مظهر، أساطير من الشرق، ص73، ط1، دار الشروق القاهرة 2000م.

بحوافر حادة، يركع تحت قدمي شابة عذراء في إذلال، حتى إنه يمكن الصيادين من الإمساك به، وقد صوره "ليوناردو دافنشي" في إحدى لوحاته على أنه رمز للشهوة.[1]

وكانت عشتار تمثل في المعتقدات الكنعانية الحب الإباحي، ولذلك كان من أهم رموزها العري، حيث يمثل الحصان أحد رموزها المهمة لما يعنيه من القوة والطيش،[2] وقد ظهرت تلبس وهي ثوباً طويلاً شفافاً، تظهر من خلاله تقاطيع جسدها.[3]

ويظهر في ديوان الأساطير صورة الحصان على لسان عشتار حين تخاطب جلجامش وتطلب منه الزواج بها:[4]

سوف أعد لك عربةً من اللازورد والذهب
ذات دواليب من الذهب الخالص
ومماسك أعنتها من العنبر
تجرها خيول أخدرية عالية ومتوثبة
لكي تدخل بها إلى قصرنا

بينما نقرأ المصير المحزن لعشاق عشتار على لسان جلجامش، عندما يرفض عرضها، ويسوغ رفضه بسرد أخبار المصير المحزن الذي أصاب عشاقها،[5] والحصان المشغوف بالمعارك أحببته:(ثم فجأة)

خصصت له السوط ذا الرؤوس
اللاذعة والسيور
وحكمت عليه أن يعدو باستمرار
وألا يشرب الماء إلا بعد تعكيره

---

[1] إمام عبد الفتاح إمام، م3، ص357-359.

[2] خزعل الماجدي، المعتقدات الكنعانية، ص86، ط1، دار الشروق، عمّان 2001م.

[3] المصدر السابق، ص98-99.

[4] قاسم الشواف وأدونيس، ديوان الأساطير، سومر وأكاد وآشور، الكتاب الرابع، ص37، ط1، دار الساقي، بيروت 2001م.

[5] ديوان الأساطير، ص51.

وقد وجدت نقود تدمرية مجردة من الكتابات، تظهر على أحد الوجهين صورة ربة تحمل قرن الخصب، أو الربة "اتار جاتيس تيكه" وعلى القفا، صورة جانبية لحيوان رمزي: كالحصان مثلا.[1]

وسكت نقود دمشقية تمثل صورة نصفية جانبية للإمبراطورة "أوتاسيلا" يحيط بها كتابة اسمها ولقبها.. ويبدو على قفا النقد صورة الحصان "بيجاسوس" يعدو، وفي الأعلى تبدو خمس فتيات حول مذبح. يعلو رأس كل منهن تاج بشكل أنوار المدينة.[2] وفي المعتقدات الإغريقية يظهر لقب "رب الخيول" "هيبيوس" الذي يبدو أنه لصق بـ"بوزيدون" بسبب عبادته في "شاليا" التي كان أهلها مشهورين بتربية الخيول؛ ولذلك صورت إلهة القمح "ديمتر" زوجته الآلهة ذات الطبيعة الترابية، برأس فرس لاقترانها به فقط. وقد كان الحصان يعني فيما يعنيه الخصب والاندفاع حيث يمثل اقتران "بوزيدون" بـ "ديمتر" تغلغل الماء في الأرض، وقد أنجب من ديمتر الحصان الغريب "أريون" وهو بعرف أسود بقدمين أماميتين بشريتين، وهو قادر على الكلام، استخدمه أبوه في جر عربته عبر البحر،[3] وكان لـ"بوزيدون" عدد لا يحصى من المحظيات لم يكن يشبعن نهمه الجارف للنساء.[4]

ويوجد العديد من الينابيع في المعتقدات الإغريقية، مثل "الهيبوكرين" و "الهيليون" الذي نبع بناءً على أمر من "بوزيدون" من ضربة حافر "بيجاسوس" الحصان المجنح الذي يتضمن اسمه نفس الكلمة اليونانية التي تعني النبع، ويضفي ماء هذا النبع في الشراب، الإلهام الشعري، وفي الغسل كان يعيد إنعاش رطوبة سحنة ربات الشعر عندما يكن قد رقصن كثيرا.[5]

---

[1] بشير زهدي، لمحة عن النقود التدمرية المحفوظة في المتحف الوطني بدمشق، م23، ج1،2، ص115، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، دمشق 1973م.

[2] بشير زهدي، لمحة عن النقود الدمشقية ونماذجها في المتحف الوطني، م26، ص86-87، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، دمشق 1976م.

[3] خزعل الماجدي، المعتقدات الإغريقية، ص240.

[4] ثروت عكاشة، الإغريق بين الأسطورة والإبداع، ج15، ص189-191، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1994م.

[5] فيليب سيرنج، ص58.

وتروي الأساطير اليونانية أن جلوكس أو جلوكوز Glaucus = Glaukos والد "بلليروفون" رفض أن يترك إناث الخيل تتناسل؛ مما أغضب الإلهة "أفروديت" إلهة الحب الجنسي، فمست هذه الإناث بضرب من الجنون، فمزقت جلوكس وجعلته أشلاء.[1]

وفي الأساطير الاسكندنافية يظهر الحصان سفادي فير Svadi Fare الذي أغواه إله النار المخادع "لوكي" لممارسة الجنس معه بعد أن تخفى في هيئة مهرة ..؟[2]

وتذكر الأساطير الرومانية الإلهة السلتية "إيبونا" (المهرة العظيمة – إلهة الخيل) Eipona ، والتي ولدت من رجل ضاجع إحدى إناث الخيل، ولذلك أصبحت حامية للبقر، والثيران، والخيل. وكانت إيبونا تعبد في بلاد الغال الرومانية، ومن إسبانيا حتى البلقان، ومن شمال بريطانيا حتى إيطاليا. وكانوا يصورونها في الآثار الفنية وهي تركب حصانا أو تمتطي إناث الخيل.[3]

أما دلويكا Dilwica، فهي إلهة صربية للصيد، يصورونها فتاة شابة تمتطي صهوة جواد سريع، وتصاحبها خيل مطهمة،[4] وارتباط الحصان بالفتاة دلالة على الارتباط الجنسي، ورمزية الخصب.

وفي العهد القديم، يتحدث الرب عن أهوليبة:

"عشقت بني آشور الولاة والشحن الأبطال اللابسين أفخر لباس فرسانا راكبين الخيل كلهم شبان شهوة .."

"ويصف في حديثه بني بابل"

وعشقت معشوقيهم الذين لحمهم كلحم الحمير ومنيهم كمني الخيل[5]

وفي جبل "جانين" في الجزيرة العربية وجدت آثار لنبع ناضب في الأخدود الضيق

---

[1] إمام عبد الفتاح إمام، م2، ص39.

[2] المصدر السابق، م3، ص281.

[3] إمام عبد الفتاح، م1، ص347.

[4] المصدر السابق، م1، ص303.

[5] العهد القديم، سفر حزقيال، الاصحاح23، الاية12.

العميق – يعود إلى العهد الثمودي – تغطيه كتل ضخمة من الصخور رسم عليها العديد من الأشكال الآدمية المقنعة وعلى شكل سلاسل متشابكة الأيدي في وضعية رقص.. وتوحي الأقنعة بأنها وجوه خيل مستطيلة وليس فيها أية ملامح بشرية، أما الراقصون فهم في صفوف تضم 12 إلى 15 راقصا من الجنسين.[1]

وأغلب الظن أن هذه الرقصات الجماعية تعبر عن ممارسات طقوسية، استخدمت الخيل فيها للاستمطار، ولعله نوع من أنواع السحر، يحاول فيه الراقصون جلب المطر من خلال الخيل.

ومما يدل على ذلك أن هناك رسوما بشرية اكتشفت في منطقة "المليحية" في الجزيرة العربية تظهر مقنعة في صفوف متشابكة الأيدي في وضعية الرقص، وتوحي نقوش الخيل في الموقع نفسه الذي تمارس فيه هذه الرقصات، إلى أنه ربما كانت لهذه الحيوانات صفة دينية أو أسطورية وأن الرقص الجماعي والأقنعة على الوجوه يمثل ممارسة للطقوس والشعائر،[2] وأظن ظناً أنها طقوس استمطار.

ومن معتقدات إحدى القرى في الصين، أن أهلها يجتمعون ويلقون فرسا في غدير القرية، ويقفون على أطرافه، كلما أراد الفرس الخروج من الماء منعوه، وما دام الفرس في الماء يأتيهم المطر، فإذا أمطروا قدر كفايتهم وامتلأ الغدير، أخرجوا الفرس وذبحوه على قلة جبل، وتركوه حتى يأكله الطير، فإن لم يفعلوا ذلك في شيء من السنين لم يمطروا.[3]

ويظن بعض عرب فلسطين في القرن الماضي أن الفرس مصدر القوة والخصب، ويمكن أن تنتقل هذه القوة في النساء، فلذا كان من عادة النساء عند بعضهم أن يشربن مما تبقى من ماء شربت منه فرس أصيلة، على زعم أنهن إذا شربن هذا الماء فإنه يختلط بدمائهن، ويمتزج كما يمتزج ماء الرجل، وبالتالي سيحملن بهذه الكيفية أولادا أقوى في عودهم من مهر الفرس نفسها.[4]

---

[1] مجيد خان، ع11، ق2، ص81.

[2] المصدر السابق، ق2، ع11، ص79.

[3] القزويني (زكريا بن محمد بن محمود 682هـ/1283م): آثار البلاد وأخبار العباد، ص54، دار صادر، بيروت.

[4] خليل احمد خليل، مضمون الأسطورة في الفكر العربي، ص21، ط2، دار الطليعة، بيروت 1980م.

6.2.1 الخيل رمز ناري:

هناك بعض الدلائل التي تشير إلى نارية الخيل في بعض القصص والأساطير، بالرغم من ندرتها، "فأوفيد" يروي في كتابه عن مركبة إله الشمس، أنها مركبة نارية، تقودها خيول مجنحة، تنفث اللهب، وهي أربعة خيول، بيروس وإيووس وأيثون وفليجون، تملأ الأجواء بصهيلها، وأنفاسها المشتعلة.[1]

بينما يرى فيليب سيرنج، أن الحصان كان رمزا جهنميا (تحت الأرض) كما هو شمسي، ودليله على ذلك أن الإله بوزيدون قبل أن يصبح إله البحر، كان مروض أحصنته، وكانت له صلات مألوفة مع الحصان، رمز القوة السفلية، قبل أن يتحول هو نفسه إلى فحل خيل ليقترن بـ"ديمتر" الفرس، إلهة القمح، وليكون والد الحصان الشهير "آريون".[2]

ويرتبط إله النار أجني (النار) Agni في الأساطير الهندوسية بالحصان، حيث يصور رجلا أحمر، له ثلاث أرجل، وسبعة أذرع، وعينان سوداوان، يركب دابة تجرها خيول حمراء.[3]

وفي أساطير الديانة البوذية اليابانية إله يعبد على جبل أتاجو في منطقة "ياماشيرو"، يدعى أتاجو – جونجن Atago-Gongen، وهو الإله الذي يرعى النار، ويصور ممتطيا صهوة جواد.[4]

ولا يمكننا أن نصف اللون الأحمر أو الأشقر إلا دليلا على النار، لا سيما في العهد القديم، حين يرد في سفر زكريا:

رأيت في الليل وإذا برجل راكب على فرس أحمر.. وخلفه خيل حمر وشقر وشهب. هؤلاء هم الذين أرسلهم الرب للجولان في الأرض.[5]

---

[1] أوفيد، مسخ الكائنات، ترجمة ثروت عكاشة، الكتاب الثاني، ص52–53، ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1992م.

[2] الرموز في الأديان، ص57.

[3] جفري بارندر، ص118.

[4] إمام عبد الفتاح إمام، م1، ص135.

[5] العهد القديم، سفر زكريا، الاصحاح1، الآيتان 8و10.

والدليل على ذلك أن تلك الصورة النارية للخيل ومركباتها تصادفنا في بعض الأسفار، سواء في العهد القديم أم في العهد الجديد، حيث يروي سفر الملوك الثاني في العهد القديم، قصة صعود إيليا واليشع إلى السماء:

وكان عند إصعاد الرب إيليا في العاصفة إلى السماء أن إيليا واليشع ذهبا من الجلجال وفيما هما يسيران ويتكلمان إذا مركبته من نار وخيل من نار ففصلت بينهما فصعد إيليا في العاصفة إلى السماء.[1]

وفي رؤية يوحنا في العهد الجديد، تظهر صورة الخيول النارية بشكل بارز:

وهكذا رأيت الخيل في الرؤيا والجالسين عليها. لهم دروع نارية وكبريتية ورؤوس الخيل كرؤوس الأسود.

ومن أفواهها يخرج نار ودخان وكبريت.

من هذه الثلاثة قتل ثلث الناس من النار والدخان والكبريت الخارجة من أفواهها.فإن سلطانها هو في أفواهها وفي أذنابها لأن أذنابها شبه الحيات ولها رؤوس وبها تضر.[2]

7.2.1 الخيل رمز شمسي:-

ارتبطت الخيل في أذهان بعض الشعوب بالشمس، لا سيما عند الإغريق والرومان، حيث تتحرك الشمس في مسيرتها اليومية على عربة تجرها أربعة أحصنة.[3] ومن الأساطير اليونانية، تلك الخرافة التي تتحدث عن محاولة تفسير ظاهرة عبور الشمس للسماء كل يوم من الشرق للغرب، ثم عودتها من رحلتها دون أن يراها أحد إلى مقرها لتطلع من جديد، وتعليل ذلك عندهم أنها - أي الشمس- تمتطي عربة تجرها مجموعة من الجياد اللامعة عبر السماء، التي تصوروها كقبة منحنية فوق الأرض المسطحة.[4]

---

[1] العهد الجديد، سفر الملوك الثاني، الاصحاح2، الأيتان 1و11.

[2] العهد الجديد، الاصحاح9، الأيات 17و18و19.

[3] فيليب سيرنج، ص57.

[4] عبد اللطيف احمد علي، التاريخ اليوناني (العصر الهلادي)، ص185، دار النهضة العربية، بيروت.

كما تذكر الأساطير اليونانية لوسفير (حامل الضوء) Luci Fer ابــن جــوبتر وهو نجم الصباح، الذي يعتني بخيول الشمس ومركبتها، فيشد الخيول إلى المركبــة، ويمكن التعرف عليه بخيوله البيضاء في القبة الزرقاء، عندما يعلــن وصــول أمــه "الفجر".[1]

أما أورورايت الفجر Aurura إلهة الفجر المجنحة في الأســاطير الرومانيــة، فهي نفسها الإلهة إيوس Eos تقود عربتها وتشق بها عنان الــسماء قبــل شــروق الشمس، يجرها جوادان هما "الساطع" و "المشرق"، وقبل أن تقوم بجولتها كان عليها أن تفتح أبواب النهار وتشد الخيول إلى الشمس وتسبقها علــى مركبتهــا، وتُــصَوَّر أحيانا على هيئة حورية صغيرة، مكللة بالأزهار على مركبة يجرها الجواد المجــنح بيجاسوس.[2]

ويذكر أوفيد هذه الخيول، قائلاً: "تحت سماء الغرب تقع مراعي خيول مركبة الشمس، التي لم تكن تتغذى بالحشائش وإنما بالأمبروزيا (طعام الآلهة) فيملؤها قــوة وانتعاشا بعد أن تنهكها واجباتها اليومية؛ لكي تستطيع أن تستأنف نشاطها.[3]
وبعد إدخال الحصان إلى مصر أصبحت عربة الفرعون المخصصة للاستعراضات "من الذهب"، أي مطلية بالذهب، ويبدو الملك على هذه العربة "كالشمس".[4]

ويظهر في أساطير الشعوب السلافية في شــرق أوروبــا "الإلـــه العــاطي دازهبوج Dazhbog" إله الشمس، تقول الأسطورة إن هذا الإله كان يعيش في الشرق بأرض الصيف الأزلية في قصر ذهبي يخرج منه كل نهار في عربة تجرها جيــاد بيضاء تنفث لهبا، لها عرف ذهبي.[5]

[1] إمام عبد الفتاح إمام، م2، ص342.

[2] إمام عبد الفتاح، م1، ص151-152.

[3] أوفيد، الكتاب الرابع، ص98.

[4] فيليب سيرنج، ص57.

[5] إمام عبد الفتاح إمام، م1، ص289.

وهناك حصان النهار في الأساطير الاسكندنافية يدعى "سكن فاكسي" Skin-Faxi، ومن اسمه انبثق النور ليشع في السماوات والأرض.[1]

أما سيريا "المشع" Surya فهو إله الشمس في الأساطير الهندوسية، تجر عربته سبعة خيول خضراء، أو حصان واحد له سبعة رؤوس، اسمه ايتاشا Etasha، وتسمى عربته "فيقازوات" وهو اسم آخر للشمس.[2]

وكذلك نجد في العهد القديم ارتباط الخيل بالشمس، حيث يرد في سفر الملوك الثاني:

"وأرسل الملك فجمعوا إليه كل شيوخ يهوذا أورشليم

.. وقرأ في آذانهم كل كلام سفر الشريعة الذي وجد في بيت الرب

.. وأباد الخيل التي أعطاها ملوك يهوذا للشمس..ومركبات الشمس أحرقها بالنار.[3]

8.2.1 الخيل رمز للموت:-

كان الحصان بالنسبة إلى بعض الشعوب رمزا للموت، تخيلوه مدمرا وقاتلا، ورسولا للموت، وصوروه في رسوماتهم ومنحوتاتهم رمزا للهلاك، فقد كان الحصان عند البابليين أحد وسائل الموت التي أوصلت الإله "مردوك" "سيد المصائر وسيد الكون" عندهم، إلى "بيت العبودية"، العالم السفلي، حيث قبره وسجنه الأبدي، وقد اختفت فاعليته في الطبيعة، اعتقاداً منهم بتأثيره وتحكمه فيها: "فارسا جعل حصانه يعدو حتى الجبل".[4]

وقد كان الحثيون ينثرون دم الملك المقتول المضحى به، قبل موعد شق الأرض بالمحاريث .. أما جسد الملك فكانت تأكله الجنّيات، وهن وصيفات الملكة الآلهة القمرية، وهن مرتديات أقنعة من رؤوس الكلاب أو الجياد أو الخنازير.[5]

---

[1] المصدر السابق، م3، ص261.

[2] جفري بارندر، ص118.

[3] سفر الملوك الثاني، الاصحاح23، الآيات 1و2و11.

[4] ديوان الأساطير، الكتاب الرابع، ص213.

[5] شوقي عبد الحكيم، مدخل لدراسة الفلكلور والأساطير العربية، ج1، ص79، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1994م.

وقد ارتبطت الخيل في كثير من الأساطير عند الإغريق بالموت، وغالبا ما يرمز له باللون الأسود ، والأبيض أحيانا، وقد ظهرت على بوابات معبد هرقل في "قادس" مشاهد مرسومة، من بينها الجياد الفراكية، فالأحصنة ترتبط بعالم الآخرة عند اليونانيين والأترورين وفي كل منطقة البحر المتوسط.[1]

وتذكر الأساطير اليونانية هاديس Hades معناها الحرفي: "ما لا يرى" أو " ما خفي على الأبصار" إله العالم السفلي، يركب عربة سوداء تجرها أربعة من الخيول السود أيضا.[2] وكان هاديس هذا يرتبط بالخيول لارتباطها بالموت[3] كما تذكر الأساطير اليونانية "هيبوليتوس" البطل الإغريقي، الذي عبد إلهاً في أماكن عدة، وقد هاجت خيوله حين كان يقود عربته الحربية أثر ثور هائج، فركضت الخيل بعنف من الخوف والفزع، وألقت هيبوليتوس من فوق العربة وداسته بأقدامها حتى مات؛[4] ولذا كان دخول الخيل إلى غيضة أريكيا وهيكلها محظورا لأن هيبوليتوس مات تحت أقدام الخيل.[5]

وفي أسطورة "قوريني" عند اليونان توجد أفراس ديوميدس Diomedes التي لا مثيل لها في القوة والجمال، وكانت تعلف بلحوم البشر، وكان الملك يقدم لها الأجانب الذين يبعث بهم حظهم العاثر إلى مملكته،[6] ولقورينا هذه علاقة بالحصان، لأن أصلها من تراقيا حيث يُعبد الحصان.[7]

أما في الديانة الإسكندنافية، فتصور الآثار الفنية إله العالم السفلي هيروس Heros

---

[1] بولي بروكوفيتش، ص108.

[2] إمام عبد الفتاح إمام، م2، ص72-74.

[3] خزعل الماجدي، المعتقدات الإغريقية، ص243.

[4] فريزر، الغصن الذهبي، ج1، ص81-82.

[5] المصدر السابق، ج1، ص87.

[6] إمام عبد الفتاح إمام، م2، ص131.

[7] خزعل الماجدي، المعتقدات الإغريقية، ص268.

على شكل الفارس أو وسائل الخيل. وتظهر صوره بـــشكل منـــتظم علـــى شـــواهد القبور.[1]

وتظهر الإلهة كلادوتي "رسولة الموت" Kaladuti في الديانـــة البوذيـــة "المهايانـــا" ممتطية صهوة جواد.[2]

وفي اسكتلندا يوجد روح للبحيرات والأنهار يدعي كلبي Kelpie يعمل علـــى إغراق المسافرين، وهو كثيرا ما يظهر على شكل حصان، ويغوي الضحايا بركوبه ثم يجري مسرعا إلى النهر ويغرق من يمتطي ظهره، ومن هنا كانت رؤية "الكلبي" تعني الموت الوشيك عندهم.[3]

أما موريجو Morigo ، فهي إلهة الحرب الرئيسية فـــي أســـاطير الـــسلت، تصورها الآثار الفنية على هيئة امرأة برموش حمراء، ترتدي ثيابا ملطخة بالـــدماء، تركب عربة تجرها جياد حمر.[4]

وفي الأساطير الفارسية يظهر شيطان القحط في صورة جواد أسود.[5]

كما تذكر الأساطير الهندوسية أوكايس أفاس Uccaihsvavas حصان الإله أندرا، إله العاصفة التي تقلع وتدمر، وتسبب الهلاك والموت.[6]

وكذلك مثلت المنية في صورة حصان، ووردت المنية الصائدة فـــي التقاليـــد الجرمنية، وغالبا ما كان الحصان في هذه الرمزية، أسود، وأبيض أحيانـــا. ومنـــذ القرن الثاني ق.م كان يمثل على نقش نذري لـــ" بوليدوكيس" في " يـــروورون" رأس حصان جنائزي، وفي القرن الرابع، كان مألوفا جدا ظهور حصان في منور مفتوح على النقوش الجنائزية.[7]

---

[1] إمام عبد الفتاح إمام، م2، ص143.

[2] المصدر السابق، م2، ص260.

[3] نفسه، م2، ص267.

[4] نفسه، م2، ص430.

[5] نفسه، م3، ص326.

[6] نفسه، م3، ص353

[7] فيليب سيرنج، ص58.

كما كان الحصان أحد الحيوانات المنبئة بالموت، في المأثورات الشعبية للمجتمع المصري، فقد كان للحصان القدرة على رؤية عزرائيل، حيث يسلك سلوكا يدل على رؤيته له، وذلك بأن يدق الأرض بحوافره، ويحدث هرجا في المكان الذي يقف فيه.[1]

9.2.1 نماذج الخيل في الإلياذة:

تروي الأسطورة الإغريقية أن هرقل – الذي ينتمي إلى جيل أسبق وأقدم من أبطال طروادة – ذهب إلى طروادة للحصول على خيول لاؤميدون، وتثبت كل الدراسات الحديثة أن طروادة القديمة فعلا اشتهرت بتربية الخيول. ومن الملاحظ في "الإليادة" أن صفة مروضي الخيول تلصق بالطرواديين دائما جماعة أو فرادى.[2]

ويلاحظ الصورة السحرية للخيل في هذه القطعة: يقول آينياس:

... وبعد ذلك أنجب
دار دانوس ولدا هو الملك إريختونيوس الذي أصبح أغنى
البشر الفانين، فقد كان يملك ثلاثة آلاف فرس ترعى في المروج
وتنعم بصغارها. وبينما هي ترعى شغف بها بورياس حبا
وفي هيئة حصان ذي لبدة قاتمة خالطها وأنجب منها اثنتي
عشر مهرة، تلك التي عندما تطير فوق الأرض المزروعة تقشد
ذؤابات زهور البروق (القرنفل) ولا تكسرها ولا تطيح بها.
وعندما تطير فوق ظهر البحر العريض فإنها تقشد ذؤابة
الموج الهائج ...[3]

ويشاهد حديث الخيل في القطعة التالية:

أخيليوس وهو يقبض على عنان خيوله ذات الحافر الواحد.
.. ثم قفز أخيليوس ليجلس خلفه مستعدا للقتال،

---

[1] سميح عبد الغفار شعلان، الموت في المأثورات الشعبية، ص79، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة 2000م.

[2] هوميروس، الإلياذة، إعداد، احمد عثمان وآخرون، ص26، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 2004م.

[3] هوميروس، الكتاب العشرون، ص652.

يلمع سلاحه كالشمس الساطعة هيبريون، ثم هتق مخاطبا جوادي أبيه:

" أي كسانثوس وباليوس، يا ولدا بودارجي المشهورين، أعيدا من يمتطيكما سالما إلى حشد الدانائيين، بعد أن تضع الحرب أوزارها ولا تتركاه كما تركتما باتروكلوس قتيلا".

عندئذ من تحت النير رد عليه الحصان كسبانثوس لامع الرجلين. إذ فجأة أحنى رأسه، فتدلت كل خصلات شعر العنق من على جانبي النير حتى لا مست الأرض... .[1]

---

[1] هوميروس، الكتاب التاسع عشر، ص640-641.

الفصل الثاني
الخيل في التراث الجاهلي وصدر الإسلام

1.2 الخيل في التراث الجاهلي

العرب أمة حفظ التاريخ لها حضارة واسعة، شملت عاداتها وتقاليدها ومعتقداتها وأساطيرها، وجميع جوانب الحياة الإنسانية. لكن قسما كبيراً من هذه الجوانب- وخاصة المعتقدات والأساطير- ضاعت تحت أطلال الزمن، وقسما آخر لم يروه الرواة لبعد كثير منه عن تعاليم الإسلام وأخلاقياته، وإذ وصل إلينا النزر اليسير منه- نعني المعتقدات والأساطير- فإنه ليس من الصعوبة العسيرة الكشف تحت أنقاض تلك الأطلال عن معتقد أو أسطورة عربية بزغ نجمها في الحياة الجاهلية قبل الإسلام وأفل بعد ظهوره. وهذا بالضرورة يتطلب استمداد المعتقدات والأساطير في الحضارات القديمة الأخرى من العالم، إذ إنه قد ينتقل طقس عقائدي أو أسطوري إلى أمة أخرى محتفظ بكل مقوماته، وقسماته، ولكنه يتخذ اسما آخر، يتناسب ولغة الشعب الذي استعاره.

"ولعل هذه المعتقدات من آثار شعوب متعاقبة قطعتها في مراحل زمنية طويلة، وفي بيئات، وحضارات مختلفة".[1]

ويرى الجوزو أنه "لا يجوز ربط الأسطورة بعقلية ثابتة معينة بمنطقة ما، بل يستحسن نسبتها إلى التراث العالمي الذي تطبعه كل منطقة بطابعها الخاص، دون أن تمحو جوهره وتنسي مصدره".[2]

وقد تحدث نوري القيسي عن الفكرة نفسها، حين قال:" إن التعرف على الحياة الإنسانية في فترتها البدائية.. تتوجب على الدارس استجلاء الأساطير.. للكشف عن أواصر الصلة التي تشد بين موضوعات الأسطورة القديمة وأساطير الشعوب البدائية. لأن أسباب التماثل بين الأمم واضحة من حيث الممارسة، ومتشابهة من حيث الالتزام والاندفاع، دقيقة إلى حد ما من حيث المنابع".[3]

---

[1] عبد الحميد يونس، الأدب الشعبي المقارن، السنة الأولى، ع2، ص14، مجلة المأثورات الشعبية، مصر 1986م.

[2] مصطفى الجوزو، من الأساطير العربية والخرافات، ص13، ط2، دار الطليعة، بيروت 1980م.

[3] البطل في التراث العربي، ص9، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد 1982م.

وبالتالي فإنه لا يمكن أن ننسب أسطورة ما إلى أمة أو شعب معين، فالأساطير تتداخل بين الشعوب وتنسج حكاياتها وأفكارها من خلال تجارب تلك الشعوب، وتتلون هذه الحكايات والأفكار بالمآسي والأحزان والأفراح ، وتختار كل أمة المضمون والبطل بحسب التجربة التي تمر بها، "فتصبغ هذه الأسطورة بصباغ البيئة التي أعيد فيها نسجها، وقد تلبسها ثوبا محليا مميزا، إلا أنه من المستبعد أن تمس مضمونها الأصيل".[1]

إن هناك وحدة حضارية للجزيرة العربية – جنوبها وشمالها – كما كان لها وحدة عرقية لغوية فكرية. ولعل الاعتقاد الديني هو أهم مكون من مكونات الحضارة في شبه الجزيرة العربية. والعرب أمة نسجت أساطيرها وطبعتها بطابعها المادي المحسوس، وأصبحت عقيدة تتمثل في شعائر حياتهم.

ويرى الحجاجي أن الأسطورة ليست خيالا، فهي واقع، وهي عقيدة تتمثل في شعائر معيشة يرتبط بها قصص مقدس، يقوم بعملية توضيح هذه الشعائر وربطها بالاعتقاد. وحين يتصور إنسان ما إن الأسطورة خيال فهو يعني بالدرجة الأولى أنه اتخذ منها موقفا هو الكفر بها ورفضها، وتحويلها إلى مجرد قصة خيالية تستند إلى الوهم، وبذلك تخرج عن دائرة الدين والمعتقد.[2]

وإذا أردنا – كما يرى خان– البحث في التفكير الجاهلي، يجب أن يبنى أساسه لا على التاريخ، بل على الأساطير التي نقلت من جيل إلى جيل... فهي توضح كيف شرع الإنسان في إقامة جسر بينه وبين خالقه، وبينه وبين الموجودات من حوله، مادية أو معنوية.وبالتالي فهي طور من تاريخ أطوار فكرة الإنسان.[3]

---

[1] مصطفى الجوزو، ص13.

[2] احمد شمس الدين الحجاجي، الأسطورة والشعر العربي، المكونات الأولى، م4، ع2، ص42 ، فصول 1984م.

[3] انظر: محمد عبد المعيد خان، الأساطير والخرافات عند العرب، ص15–18، ط4، دار الحداثة، بيروت 1982م.

ولقد اعتقد الجاهلي- حين جهل خفايا الكون وأسراره، وأخذ يتخبط في شرك الظنون- بالأسطورة، وشرع ينظم حياته وفق هذا المعتقد، واعتقد بها اعتقادا تاما يخضع لها في جوانب كثيرة من حياته. وظهرت الأصنام كتمثيل لهذا الخضوع، لجلب المنفعة، ودرء المفسدة، وقامت بدور بارز في الحياة الجاهلية.

والأصنام صانعة المطر، وعصب الحياة، وبها ينتصرون على مخاطر الطبيعة " هذه أصنام نعبدها، فنستمطرها فتمطرنا، ونستنصرها فتنصرنا".[1]

وقد عبد العرب هذه الأصنام، لفائدة يعتقد فيها، وآمنوا بها إيمانا تاما.

وفي الواقع "إن وراء كل صنم من أصنام العرب.. قصة أو أسطورة، ولكن العرب لم يهتموا بحفظ أساطيرهم مثلما اهتموا بعيون شعرهم".[2]

وإذا كانت العرب مرت بالمرحلة الطوطمية في فترة من فتراتها، فإنه لا يلاحظ من خلال ما وصلنا من التراث العربي لفترة ما قبل الإسلام، أن العرب تمتعوا بميزات هذه الطوطمية،إلا أنهم اعتقدوا في الحيوان عقيدة تشبه الطوطمية، وهي عبارة عن تقديس الحيوان.[3] وقد عبد العرب الحيوان وجعلوا لها أصناما، منها "نسر" على صورة الطائر النسر، و"يغوث" على هيئة الأسد، و"يعوق" على صورة الفرس.[4] وعبدوا البهائم والغزلان والجمال... .[5] وبها يفسرون مظاهر الكون، ويعللون، وينظمون حياتهم وفق أفكارهم الأسطورية، بالرغم من أن الأسطورة "لا

---

[1] انظر: الكلبي (هشام بن محمد السائب، 206هـ / 821م): الأصنام، تحقيق احمد زكي، ص8، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة. واليعقوبي (احمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب، 292هـ /904 م): تاريخ اليعقوبي، ج1، ص217، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت 2002م. والسهيلي (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد، 581هـ / 1185م): الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، ج1، ص210، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت 2000م.

[2] صفوت كمال، التصور الأسطوري في التراث الشعري، السنة الأولى، ع4، ص46، مجلة المأثورات الشعبية، مصر 1986م.

[3] انظر: محمد خان، ص92.

[4] انظر: الكلبي، ص7-8. والطبرسي (أبو علي الفضل بن الحسن، القرن السادس): مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق هاشم الرسولي المحلاّتي وفضل الله اليزدي الطباطباني، ج9، ص548، دار المعرفة بيروت.

[5] سيديو، خلاصة تاريخ العرب، ص38، ط2، دار الآثار، بيروت 1400هـ.

نصيب لها من النجاح في إعطاء الإنسان قوة مادية للسيطرة على البيئة. ولكنها مع ذلك تعطيهم وهم القدرة على فهم الكون وأنهم فعلاً يفهمون الكون".[1]

وتمثل الأصنام معبوداتهم الكونية،من شمس ونجوم وغيرها، و "لقد استمدوا هذه الصور من "العالم الميثولوجي" عالم الكواكب على النحو الذي تصوروه وطبعوه في أفهامهم، وما كان يقابله في عالمهم المادي من حيوان ونبات وطير...".[2]

وقد مر معنا أن الإغريق تصوروا الجياد التي تجر عربة الشمس بقبة منحنية، ويذهب بعضهم الى أن برج القوس في المقتقدات الإغريقية هو سنطروس يرمي بقوسه، وهو جزء من فلك البروج.[3]

فأطلق العرب على إحدى النجوم في السماء، ذنب الفرس لشبهه به، كما أطلق على بعض النبات، وهي عبارة عن عشبة تحمد عصارتها، أذناب الخيل للتشبيه.[4]

فاجتمع في ذنب الفرس عالمان، عالم الأنواء وعالم النبات، وكلاهما متصل ومرتبط بالآخر.

"فالنوء يرتبط في عقيدة الجاهليين بالكواكب، وهي التي تنشئ السحاب وتأتي بالمطر".[5] والمطر يحيى الأرض، وينبت النبات ، ويتغذى به الإنسان الحيوان. وقد ذكر زهير بن أبي سلمى، هذا النبت بلفظة "النجم"، يقول:[6]

مكلل، بأصول النجم، تنسجه ريح خريق، لضاحي مائه حبك

ويذكر بشر بن أبي خازم جود "الدلو" و "الشعرى" بالمطر، إذ يقول:[7]

---

1 كلود ليفي شتراوس، الأسطورة والمعنى، ترجمة، صبحي حديد، ص27، ط2، دار الحوار، سورية 1995م.

2 إبراهيم عبد الرحمن، التفسير الأسطوري للشعر الجاهلي، م1، ع3، ص134، فصول 1981م. انظر أرنست بابلون، ص64.

3 انظر: أرنست بابلون، ص64.

4 الزبيدي (محمد مرتضى الحسيني، 1205هـ / 1790م): تاج العروس، ج2، مادة: ذنب، تحقيق، علي هلالي ط2، الكويت 1987م.

5 مصطفى الجوزو، ص28.

6 زهير بن أبي سلمى، شرح شعره، تحقيق، فخر الدين قباوة، ص134، ط1، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

7 بشر بن أبي خازم الاسدي، ديوانه، تحقيق عزة حسن، ص157، ط2، منشورات وزارة الثقافة، دمشق 1972م.

جادت له الدلو والشعرى ونوءهما بكل أسحم داني الودق مرتجف حبك

ويصور أبو دؤاد فرسه، ويشبه بياض جبهته بالشعرى التي جادت في البيت السابق بالمطر، يقول:[1]

ولها قرحة تلألأ كالشعـــــرى أضاءت وغم عنهـــا النجـــوم

أما خفاف بن ندبة، فإنه يجمع الكواكب السماوية في فرسه، حين يشبهه بها، يقول:[2]

ونهب كجماع الثريا حويتـــه غشاشا بمحتات القــوائم خيفـــق

وكان "يعوق" من جملة الأصنام التي عبدها العرب، وهو على هيئة فرس.[3]

ويذكر جواد علي أن "يعوق" لم يكن من الأصنام المهمة بين العـــرب عنـــد ظهور الإسلام، وقد تضاءلت عبادته وانحصرت في قبائل معينة.[4] وقد ذكره أحدهم بقوله:[5]

يريش الله في الدنيا ويبـــري ولا يبـــري يعوق ولا يـــريش

وقد عثر في حفرية "الحجر" بالمملكة العربية السعودية، على رسم الفـــرس، وهو يرمز في ثقافات شمال الجزيرة، إلى المعبود "يعوق" فهـــو يلحـــق بالأعـــداء ويعوقهم. كما أنه يرمز في ثقافات جنوب الجزيرة للمعبودة "اللات"، وهي من أهـــم المعبودات لدى الأنباط، وهي أم الآلهة، ويطلق عليها لفظ "الربة" للدلالة عليها لـــدى الأنباط في الجزيرة العربية.[6] وقد عبدت العرب "اللات" وكان لها سدنة من ثقيـــف، وكانت قريش وجميع العرب تعظمها.[7]

---

[1] أبو دؤاد الإيادي، جارية بن الحجاج، ديوانه، ضمن كتاب دراسات في الأدب العربي، تحقيق: غوستاف فـــون غرنباوم، ترجمة، إحسان عباس وآخرين، ص343، مكتبة الحياة، بيروت 1959م.

[2] خفاف بن ندبة السلمي، شعره، تحقيق، نوري القيسي، ص31، مطبعة المعارف، بغداد 1967م.

[3] انظر: الطبرسي،ج9،ص548.

[4] جواد علي، ج6، ص263.

[5] السهيلي، ج1، ص213.

[6] انظر: محمد إبراهيم وضيف الله الطلحي، حفرية الحجر، ع12، ص28، مجلة الأطلال، السعودية 1989م.

[7] الكلبي، ص16.

وقد ذكرها القرآن الكريم في قوله عز وجل:﴿أفرأيتم اللات والعزى﴾،[1] ولها يقول عمرو بن الجعيد:[2]

فإني وتركي وصل كأس لكالذي تبرأ من لات، وكان يدينهـــــا

ونقل الحموي عن أبي المنذر قوله: .. ولم أسمع همدان سمت به، يعني ما قالوا: عبد يعوق ولا غيرها من العرب، ولم أسمع لها ولا لغيرها شـعرا فيـه.. .[3] ولعل السبب في ذلك كما ذكر جواد علي، أن نجم هذا الصنم قد أفل فـي الفتـرات المتأخرة، على الرغم من أن الرسوم والنقوش الصخرية دلت على عبادته، بل كـان من أهم المعبودات لدى الأنباط،[4] وقد استمد هذا الاسم صورته من عـالم الكواكـب والنجوم كما يبدو، ومن هذه النجوم، "العيوق" وهو نجم أحمر مضيء فـي طـرف المجرة الأيمن، يتلو الثريا، لا يتقدمها ويطلع قبل الجوزاء، سمي بذلك لأنـه يعـوق الدبران عن لقاء الثريا،[5] ذكره أبو ذؤيب الهذلي، بقوله:[6]

فوردن والعيوق مقعد رابىء الـــ ـضرباء فوق النجم لا يتتلـع

ولعل الشمس أبرز المعبودات في الجاهلية، "وعبادة الشمس مـن العبـادات القديمة، فهي أول الأجرام السماوية التي لفتت أنظار البشر إليها لتأثيرها المادي على حياة الإنسان والحيوان والنبات، فألهوها وعبدوها وشيدوا لها المعابد، وقدموا إليهـا القرابين"،[7] وهذا يعود بنا إلى " مصرام" أحد ملوك الفراعنة، الذي بنى للشمس هيكلا

---

[1] سورة النجم، الآية 19.

[2] الكلبي، ص16.

[3] الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، 626هـ /1228): معجم البلدان، تحقيق، فريـد عبـد العزيز الجندي، ج5، ص205، دار الكتب العلمية، بيروت.

[4] انظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج6، ص263 و ص308. وانظر: محمد إبراهيم وضيف الله الطلحي، عدد12، ص28، السعودية 1989م.

[5] التاج، ج26، مادة: عوق، تحقيق، عبد الكريم العزباوي، الكويت 1990م.

[6] السكري (أبو سعيد الحسن بن الحسين، 275هـ /888م): شرح أشعار الهذليين، تحقيق عبد الـستار احمـد فراج، ج1، ص19، دار العروبة، القاهرة.

[7] إبراهيم عبد الرحمن، ص129.

من المرمر وموهه بالذهب، وجعل في وسط الهيكل كالفرس من جوهر أزرق، عليه صورة الشمس من ذهب أحمر"،[1] مما يوحي بارتباط الفرس بالشمس منذ عهد قديم.

وكان للشمس عند العرب صنم، لقوم من عذرة.[2] وقد مثلت "اللات" بقطعة من الشمس، رمز إليها في ثقافة جنوب الجزيرة – كما ذكرنا – بصورة فرس.

والفرس من الحيوانات المقدسة – كما ذكر جواد علي– يقدم لها الناذرون تماثيل مصنوعة على هيئة فرس.[3]

ولعل عقر الخيل على القبور في العصر الجاهلي، استمرار لتلك الممارسة العقائدية، فقد عقرت الخيل على قبر كليب، كما ورد عند أمامة بنت كليب، في قولها:[4]

وعقرت الخيول عليه جهراً فكم من أجرد نهد عقير

ولقد جمع العرب رموزا للشمس، استمدوها من واقعهم المادي المحسوس، تشير الى الخصوبة والجنس، والشروق والنيران وغيرها، تتمثل في الفرس والمرأة والغزالة والنخلة..

وقد رمز للشمس بصفة الشمس "ذات بعدن"، أي البعيدة الممتنعة بضوئها.[5]

وإذا تتبعنا كلمة "شمس" في الشعر الجاهلي، نجد أن كلمة "الشموس"، وهي مشتقة من "الشمس" تطلق على المرأة الممتنعة والفرس المستعصية، كما ورد عند سويد بن كاهل اليشكري، في قوله:[6]

شموس حصان السر، ريا كأنها مربية مما تضمن حائر

وذكر ابن مقبل:[7]

---

[1] المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، 346هـ /957م): أخبار الزمان، ص116، ط1، مطبعة عبد الحميد احمد، مصر 1938م.

[2] اليعقوبي، ج1، ص218.

[3] المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج6، ص323.

[4] تغلب، شعرها في الجاهلية، جمع وتحقيق، ايمن محمد ميدان، ص217، معهد المخطوطات العربية، القاهرة 1995م.

[5] جواد علي، ج6، ص168-169.

[6] سويد بن كاهل اليشكري، ديوانه، تحقيق شاكر العاشور، ص18، ط1، 1972م.

[7] ابن مقبل، تميم بن أبيّ، ديوانه، تحقيق، عزة حسن، ص306، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق 1962م.

في نسوة شمس لا مكره عنــق ولا فواحــش في سر ولا علن

وفي كتب اللغة، تشير لفظة "الشمس" أيــضا إلــى بعــض أدوات التجميــل النسائية: الشمس: ضرب من المشط، كانت النساء في الدهر الأول يتمــشطن بـــه، وهي الشمسة.[1]

وشمس الفرس يشمس شموسا، وشماسا: شرد وجمح، ومنع ظهره من الركوب لشدة شغبه وحدته، فهو لا يستقر.[2]

وذكر أبو زبيد الطائي الفرس الشموس، بقوله:[3]

وجال كأنه فـــــرس صنيع يجــر جــلاله ذيــل شموس

وسموا أفراسهم "بالشموس"، منها فرس للمثنى بن حارثـــة، وفـــرس لعبــد الله بـــن عامر،[4] وفرس ليزيد بن الخذاق العبدي، يقول فيها:[5]

ألا هل أتاها أن شكة حـــازم لدي وأني قد صنعت الشموسا

وقد استعيرت هذه الكلمة للمنعة والشدة، كما عند الشاعر عمرو بن معد يكرب، في قوله:[6]

فلا يغررك ملكــك كــل ملك يصير لــذلة بعـــد الشماس

وشبه الشعراء المرأة بسطعان الشمس، كما عند سويد بن كاهل اليشكري، في قوله:[7]

حـــرة تجلو شتيتـــا واضحـــا كشعاع الشمس في الغيم سطع

---

[1] التاج، ج16، مادة: شمس، تحقيق، محمود محمد الطناحي، ، الكويت 2004م. وانظر: ابن دريد (محمد.بــن الحسن، 321هـــ / 933م): جمهرة اللغة، تحقيق، رمـــزي منيــر البعلبكـــي، ج2، ص833، ط1، دار العلــم للملايين، بيروت 1987م.

[2] التاج، ج16، مادة شمس. وابن دريد، ج2، ص833.

[3] أبو زبيد الطائي، حرملة بن المنذر، شعره، تحقيق، نوري القيسي، ص99، مطبعة المعارف، بغداد 1967م.

[4] الرسولي (علي بن دؤاد بن يوسف بن عمر، 764هـــ / 1362 م): الأقوال الكافية والفــصول الــشافية فـــي الخيل، تحقيق، يحيى وهيب الجبوري، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1987.

[5] أبو عبيدة (معمر بن المثنى التميمي، 209هـــ /824م): كتاب الخيل، تحقيق، محمـــد عبــد القـــادر احمـــد، ص121، ط1، القاهرة 1986م. والضبي (المفضل بن محمد بن يعلى، 178هـــ/ 794م): المفضليات، تحقيـــق، احمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون، ص297، ط8، دار المعارف، القاهرة.

[6] عمرو بن معد يكرب، شعره، تحقيق، مطاع الطرابيشي، ص118، مطبوعات مجمع اللغة العربيـــة، دمـــشق 1974م.

[7] ديوانه، ص23.

ويصور الأفوه الأودي – مشيراً إلى رمزية العلاقة بين الفرس والشمس– خوف الخيل من غروب الشمس، إذ يقول:[1]

حتى إذا غاب قرن الشمس أو كربت   وظن أن سوف يولي بيضه الغسف
شالت ذناباه واهتاجت ضبابته   في قائم لا يريد الدهر ينكشف

ولما كان الغزال رمزا من رموز الشمس، وشبهت الشمس به، فقد شبهت المرأة بالغزال، كما هي الحال عند أبي دؤاد الإيادي، في قوله:[2]

وتراهن في الهوادج كالغز   لان ما إن ينالهن السهام

لذا فقد شبه الفرس بالغزال، كما في شعر سلامة بن جندل، حين وصف سرعة الفرس، بقوله:[3]

ومستوعب في الجري فضل عنانه   كمر الغزال الشادن المتطلق

والصورة نفسها تتكرر عند خفاف بن ندبة، في قوله:[4]

ومد الشمال طعنه في عنانه   وباع كبوع الشادن المتطلق

وكذلك نجد أن "ذكاء" – وهو اسم من أسماء الشمس– قد ورد في اللغة على أنه مشتق من ذكت النار تذكو، وابن الذكاء: الصبح، وذلك يتصورون الصبح ابنا للشمس، وتارة حاجبا لها فقيل: حاجب الشمس.[5]

وقال عدي بن زيد العبادي:[6]

ماذا ترجون إن أودى ربيعكم   بعد الإله ومن أذكى لكم نارا

وورد في حرب داحس والغبراء، تشبيه الخيل المذكيات: "جري المذكيات غلاب".[7]

---

[1] الأفوه الأودي، صلاءة بن عمرو بن مالك، ديوانه، تحقيق، محمد التونجي، ص97، ط1، دار صادر، بيروت 1998م.

[2] ديوانه، ص338.

[3] سلامة بن جندل، ديوانه، تحقيق، فخر الدين قباوة، ص169، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت 1987م.

[4] شعره، ص33.

[5] التاج، ج38، مادة: ذكو، تحقيق، عبد الصبور شاهين، ط1، الكويت 2001م.

[6] عدي بن زيد العبادي، ديوانه، تحقيق، محمد جبار المعيبد، ص53، دار الجمهورية، بغداد 1965م.

[7] انظر المثل في حرب داحس والغبراء: أبو عبيدة: نقائض جرير والفرزدق، وضع حواشيه، خليل عمران المنصور، ج1، ص66، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1998م. والأصفهاني (علي بن الحسين، 356هـ/966م): الأغاني، شرح عبد.أ.علي مهنا، ج17، ص196، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت 1992م.

وقد ورد في الشعر الجاهلي المذكيات للخيل، كما هي الحال عند سلامة بن جندل في قوله:[1]

كأن المذاكي، حين جد جميعنـــا   رعيل وعـــول، خلفهن وعـــول

وهي تطلق على الخيل القرح المسان.

ويقول عمرو بن معد يكرب الزبيدي:[2]

وهز السمهري علـــى المذاكـــي   مجنبتيـــن بالأبطـــال تـــردي

ونجد من أسماء الشمس، أو ما يدل على لونها حين المغيب،" الجونة"، وقـــد وردت هذه الكلمة عند الأجلح الضبابي، في يوم هراميت، وهو يصف فرسه:[3]

يبـــــادر الآثار أن يؤوبـــا   وحاجب الجونــــة أن يغيبـــا

والجون: من ألوان الخيل، كما أطلقوا على أفراسهم اسم "الجـــون"، يقـــول علقمـــة الفحل:[4]

فوالله لولا فارس الجون منهم   لآبوا خزايا والإياب حبيـــب

وقد كنيت به المرأة، وظهرت قرينة للشمس، كما عند القتال الكلابي:[5]

يا بنت جون أبانت بنت شداد؟   نعم لعمري لغور بعد إنجـــاد

لمطلع الشمس ما هذا بمنحـــدر   نحو الربيع ولا هذا بإصعـــاد

والشمس تشير في ألوانها إلى الضياء والـــشقرة والـــصفرة، وفـــي الأفعـــال الظاهرة فيها اللطافة وحب الاشتهار، والقوة والغلبة والحدة، مع ســـرعة الرجـــوع، وهي كلها صفات توصف بها الفرس أيضا.[6]

---

[1] ديوانه، ص191.

[2] شعره، ص81.

[3] محمد جاد المولى وآخرون، أيام العرب في الجاهلية، ص307، دار إحياء التراث العربي.

[4] علقمة الفحل، علقمة بن عبدة بن النعمان، ديوانه، تحقيق، لطفي الصقال، ودرية الخطيب، ص43، دار الكتاب العربي، حلب.

[5] القتال الكلابي، عبادة بن مجيب (انظر الخلاف في اسمه واسم أبيه، مقدمة الديوان، ص12) ديوانه، تحقيـــق، إحسان عباس، ص46، دار الثقافة، بيروت 1961م.

[6] التيفاشي (شرف الدين احمد بن يوسف بن احمد، 651هـــ /1253 م): سرور النفس بمدارك الحواس الخمس، تحقيق، إحسان عباس، ص123، 176، 182، 186، شركة الفجر العربي، بيروت.

وقد عبر عن الشمس بلفظتي "ذات حمم" و "ذات حميم"[1] لشدة ضوئها، وإحراقها.

وقد ورد في تاج العروس "حم التنور حما: سجره وأوقده. وحم الشحمة حما: أذابها وحم الماء: سخنه بالنار".[2]

وفي القرآن الكريم وصف عز وجل أصحاب الشمال يوم القيامة ﴿في سموم وحميم، وظل من يحموم﴾.[3]

وذكر علماء التفسير أن اليحموم: دخان حميم، ودخان شديد السواد يخرج من نار جهنم.[4]

فالشمس لها صفة نارية تلفح الوجوه، وتحرق الأجساد. ونعت الشمس بالحرق يشير إلى خوف الناس من انتقامها منهم إن خالفوا أمرها.[5]

ولما كان الفرس رمزا من رموز هذه الآلهة "شمس" الحارقة أطلقوا على بعض أفراسهم اسم " يحموم" لشدة سواده كالدخان الكثيف وهو فرس للنعمان بن المنذر، أحد ملوك العرب،[6] والعرب قدسوا ملوكهم، ونظروا إليهم نظرة إكبار وتقديس؛ لذا لا نعجب من إطلاق اسم هذا الإله على فرسه، فهو يحمل اسم الآلهة "شمس" وبالتالي هو يحمل هذا الإكبار والتقديس، وقد ذكر لبيد، فرس " اليحموم" في قوله:[7]

والحارثان كلاهما ومحرق والتبعان وفارس اليحموم

وقد استمد الشعراء الجاهليون هذه الرمزية النارية المستمدة من "ذات حميم"، وأخذوا يصورون بها أفراسهم. وكما كانت الخيل ترمز إلى الشمس وإلى النار في الحضارات القديمة فقد برزت عند العرب، بالصورة نفسها.

---

[1] جواد علي، ج6،ص168.

[2] ج32، مادة: حمم، تحقيق عبد الكريم العزباوي، الكويت 2000م.

[3] سورة الواقعة، الأيتان 42،43.

[4] الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير، 310هـ /922م): تفسير الطبري، م11، ص646، دار الكتب العلمية، بيروت.

[5] جواد علي، ج6، ص168.

[6] انظر: الرسولي، ص334.

[7] لبيد بن ربيعة العامري، ديوانه، تحقيق، إحسان عباس، ص108، ط2، الكويت 1984م.

"فالشعر يعود إلى الرموز الجماعية العميقة التي تمد تعبيـرات فنيـة ثقافيـة متعددة بمادة تكوينها، وتلك الرموز أو النماذج الأصلية، وإن لم تكن قد عبرت عـن نفسها في الأسطورة عند العرب، فقد وجدت في الشعر متنفسها".[1] كما نجد عند دريد بن الصمة، الذي يشبه جري فرسه بسرعة التهام الحريق ما حولها:[2]

لها حضر كيف الحريق وعقبها   كجم الخسيف بعد معمعة الورد

وعند الأفوه الأودي:[3]

إن يجل مهري فيكم جولـة   فعليـه الكـر فيكم والغـوار
كشهاب القـذف يرميكـم بـه   فارس فـي كفه للحـرب نـار

ويصور طفيل الغنوي، عرف الخيل ولجامه، بالنار الملتهبة:[4]

كـأن على أعرافه ولجامـه   سنـا ضرم من عرفج يتلهـب

بل إن أوس بن حجر، يجعل ناصية الخيل أقوى لهبا واشتعالا من النار، حين يشبهها بناصية الحصان:[5]

حتى يلف نخيلهم وزروعهـم   لهب كناصية الحصان الأشقـر

2.2 الخيل والعرب في الجاهلية:-

لعل أمة من الأمم لم تعن بالخيل مثلما عنى العرب بها، ولم يقـدس فـارس – كالعربي– فرسه، ولعل هذا القول يخلو من أية مبالغة، إذا نحن تتبعنـا صـورة الخيل عند العرب في العصر الجاهلي، وما من صورة نبدأ بها – في رسم العلاقـة

[1] ريتا عوض، بنية القصيدة الجاهلية، الصورة الشعرية لدى امـرئ القـيس، ص178، ط1، دار الآداب، بيروت 1999م.

[2] دريد بن الصمة، دريد بن معاوية بن بكر بن علقمة، ديوانه، تحقيق، محمـد خيـر البقـاعي، ص57، دار قتيبة.

[3] ديوانه، ص75.

[4] الطفيل الغنوي، طفيل بن عوف بن ضبيس، ديوانه، تحقيق، محمد عبد القادر احمد، ص45، ط1، دار الكتاب الجديد، 1968م.

[5] أوس بن حجر، ديوانه، تحقيق، محمد يوسف نجم، ص48 دار صادر، بيروت.

الحميمة بين الفارس العربي وفرسه – أقوى من الصورة التي رسمها خالد بن جعفر، يحدد فيها – باختصار – منزلة "حذفة"، فرسه منه، يقول:[1]

أريغوني إراغتكم فإني "وحذفة" كالشجا تحت الوريد

ويقول طفيل الغنوي:[2]

إني وإن قل مالي لا يفارقني مثل النعامة في أوصالها طول

فضلا عن أن الخيل، المال والسلاح والدرع الحامي حمى القبيلة، فقد استخدمت الخيل أيضا وسيلة من وسائل الاتصال، إذ استخدم العرب في بردهم البراذين، وقد ذكرت خيل البريد عند بعض الشعراء، ومثال ذلك ما نجده عند امرىء القيس، حين يقول:[3]

على كل مقصوص الذنابى معاود بريد السرى بالليل من خيل بربرا

إذا زانه من جانبيه كليهما مشى الهربذى في كفه ثم فرفرا

ونجد ذلك أيضا عند ابن مقبل، في قوله:[4]

بكلّ أشق مقصوص الذنابى بشكّيّات فارس قد شجينا

وقد فخرت القبائل العربية بفرسانها، وكثرة الفرسان في القبيلة دلالة على عظمتها وقوتها نظرا لغلاء ثمن الفرس، ولأهميته في تطوير الحرب وتوجيهها. وإنهائها في صالح من له أكبر عدد من الفرسان.[5]

ولعلنا لا نعجب من أمة، صنعت تاريخها على ظهور الخيل، وداست بحوافرها من حاول النيل من كرامتها، أن يصادفنا قول أحدهم:"نحن أمة أساوِرنا سيوفنا، ومعاقلنا خيولنا".[6]

---

[1] ابن جزي (عبد الله بن محمد، ق8هـ): كتاب الخيل، مطلع اليمن والإقبال في انتقاء كتاب الاحتفال، تحقيق، محمد العربي الخطّابي، ص110، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1986م.

[2] ديوانه، ص312.

[3] امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، ديوانه، تحقيق، أنور أبو سويلم، ومحمد الشوابكة، م2، ص429، ط1، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين 2000م.

[4] ديوانه، ص312.

[5] جواد علي، ج5، ص387.

[6] ابن سعيد (أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك، 685هـ /1286 م): نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، تحقيق، نصرت عبد الرحمن، ج1، ص84، مكتبة الأقصى، عمّان 1982م.

ويقول المزرد بن ضرار الذبياني:[1]

خروج أضاميم وأحصن معقل إذا لم تكن إلا الجيـاد معاقلُ

وكانت الشقراء فرس الأسيد بن حناءة اليربوعي، وكان – كما يـروى – لا يظله إلا ظلها، وكان لا يؤويه بيت شاتيا ولا صائفا وإنما بيته القفر وظله الشقراء.[2]

فقد "كانت ثروة العربي هي شهرته وعائلته وحصانه وأسـلحته".[3] والـشهرة والعائلة، تُفقدان إذا ما صانهما المرء بحصانه وأسلحته؛ لذا نجد الـشاعر العربـي يخاطب قومه ويدعوهم إلى الاهتمام بالخيل، يقول:[4]

بني عامر إن الخيول وقايـة لأنفسكم والموت وقت مؤجـل

أهينوا لها ما تكرمون وباشروا صيانتها والصون للخيل أجمل

متى تكرموها تكرمون نفوسكم إذا ثار من وقع السنابك قسطل

لماذا هذه الدعوة من شاعر بني عامر؟

إن الغزو عنصر رئيسي للبقاء في دائرة الحياة الجاهلية، كما هو الدفاع عـن النفس، ولعل الغزو والهجوم وسيلتان للنجاة من العدو المتـربص المباغـت فجـأة، وتأكيد قوة القبيلة، وإذا لم تغز تُغزى، وإذا لم تَظلم تُظلم، وهذا منطق الحياة الجاهلية عبّر عنه زهير بن أبي سلمى، بقوله:[5]

ومن لا يذد، عن حوضه، بسلاحه يُهدم، ومن لا يظلم الناس يُظلم

فضلا عن أنهما مصدر الرزق الرئيس الذي يفتخر به الإنسان الجاهلي، وكل ذلـك والخيل وسيلة أساسية، لجلب الغنى والثروة، يقول سلامة بن جندل:[6]

كم من فقير بإذن الله قد جبرت وذي غنى بوأته دار محروب

---

[1] المفضليات، ص95.

[2] ابن جزي، ص125.

[3] واصف بطرس غالي، تقاليد الفروسية عند العرب، ص50، ط2، دار المعارف، القاهرة.

[4] الختلي (محمد بن يعقوب، ق3هـ): عون أهل الجهاد من الأمراء والأجناد، تحقيق، عارف احمد عبد الغنـي، ص39، دار كنان، سورية 1996م.

[5] شعره، ص35.

[6] ديوانه، ص107.

والعرب تحتفل بنتاج الخيل، فكان لا يهنئون إلا بغلام يولد، أو شاعر ينبغ فيهم، أو فرس تنتج.[1] تقول الخرنق:[2]

من غير فحش يكون بهم في منتج المهرات والمهر

كما أنهم يتفاخرون في مربطها، تقول الخرنق:[3]

وتفاخروا في غير مجهلة في مربط المهرات والمهر

والجاهلي لا يريد أن يدخر شيئا سوى الفرس والرمح وسلاح الحرب فقط، أما المال فإنه يذهب، يقول حاتم الطائي ردا على لوم زوجته، بسبب إنفاق ماله:[4]

يقولون لي: أهلكت مالك فاقتصد وما كنت، لولا ما يقولون،سيدا

سأذخر من مالي دلاصا وسابحا وأسمر خطيا وعضبا مهندا

وذلك يكفيني من المال كله مصونا، إذا ما كان عندي متلدا

ويقول طفيل الغنوي:[5]

إني وإن قل مالي لا يفارقني مثل النعامة في أوصالها طول

وقد تحدث الشعراء عن اهتمامهم بالخيل وإيثارها بالطعام دون العيال، ولعله لا نبالغ إذا قلنا إنه لم تكن هناك أمة، أجاعت أولادها في سبيل إطعام خيلها كما فعلت العرب، وقد روي أن دريد بن الصمة قال لأبي النضر:" قد رأيت منكم خصالا لم أرها من غيركم، رأيت أبنيتكم متفرقة، ونتاج خيلكم قليلا، وسرحكم يجيء معتما، وصبيانكم يتضاوغون جوعا من غير جوع.قال أجل: أما أبنيتنا فمن غيرتنا على النساء، وأما قلة نتاج خيلنا فنتاج هوازن يكفينا، وأما بكاء صبياننا، فإنا نبدأ بالخيل قبل العيال".[6]

---

[1] ابن رشيق القيرواني (أبو علي الحسن بن رشيق الأزدي، 456هـ/1063م): العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1، ص65، دار الجيل، بيروت.

[2] الخرنق بنت بدر بن هفّان، ديوانها، تحقيق، حسين نصار، ص31، دار الكتب المصرية، القاهرة 1996م.

[3] المصدر السابق، ص32.

[4] حاتم بن عبد الله الطائي، ديوانه، تحقيق، عادل سليمان جمال، ص231، مطبعة المدني، القاهرة.

[5] ديوانه، ص57.

[6] الجزائري، محمد بن عبد القادر الحسني، نخبة عقد الأجياد في الصافنات الجياد، ص18، ط2، دار الفكر، دمشق 1985م.

وكما قال عبيدة بن ربيعة ردا على من أراد أن يشتري فرسه، سكاب:[1]

أبيت اللعن إن سكاب علق   نفيس لا يعـار ولايبـاع

مفداة، مكرمة، علينـــا   يجوع لها العيال ولا تجاع

فإذا كان الشاعر الجاهلي أجاع عياله لأجل أن تشبع الخيل، فكيف له أن يفرط فيها؟!

ويذكر زيد الخيل الطائي، أنه يسهر على فرسه "الهطال" أيام الشتاء، ويؤثره على أهله وولده، يقول:[2]

أسويه بمكنف إذ شتـــونا   وأؤثره على جـل العيـال

ويقول الجاحظ في معرض حديثه عن العلم وإيثاره الكتب: "... حتى يـؤثر اتخـاذ الكتب إيثار الأعرابي فرسه باللبن على عياله، وحتى يؤمل في العلـم مـا يؤمـل الأعرابي في فرسه"[3]

ولذا فإنهم كانوا يضربون المثل بـ "خاصي خصاف"، الرجل الذي خـصى فرسـه "خصاف" حين طلبه منه بعض الملوك للفحلة، فضرب به المثل في الجـرأة علـى الملوك.[4]

وكان العرب يسقون الخيل اللبن في الصيف، ويربطونها بفناء البيت، لتكون قريبـة منهم، ويدفئونها في الشتاء، يقول عنترة في فرسه "جروة":[5]

ومن يك سائلا عني فإني   وجروة لا يرود ولا تعار

مقربة الشتاء ولا تراهـا   وراء الحي يتبعها المهار

لها بالصيف أصيرة وحل   ونيب من كرائمها غزار

---

[1] بنو تميم، شعرهم في العصر الجاهلي، جمع وتحقيق، عبد الحميد محمود المعيني، ص395، منشورات نادي القصيم الأدبي، السعودية 1982م. وانظر: عمرو بن قميئة بن سعد بن مالك، ديوانه، تحقيق، حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، القاهرة 1997م.

[2] ديوانه، ص89.

[3] الحيوان، ج1، ص55.

[4] الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمود بن إسماعيل، 429هـ /1037 م): ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، ص358، دار المعارف، مصر.

[5] عنترة بن شداد العبسي، ديوانه، تحقيق، محمد سعيد مولوي، ص309، المكتب الإسلامي، مصر.

والفرس وفي لصاحبه حين تتأزم الأمور، وتحيط به الشدائد، فيقيه في وهج الحروب، من الرماح والسيوف والسهام، ولذا فإن عنترة لا ينسى هذا الإحسان، فيجازيه بالدفء في الشتاء، وباللبن عندما يعز على الرعاء، يقول:[1]

جزى الله الأغر جزاء صدق   إذا ما أوقدت نار الحروب
يقيني بالجبين ومنكبيه   وأنصره بمطرد الكعوب
وأدفئه إذا هبت شمالا   بليلا حرجفا بعد الجنوب
أراه أهل ذاك حين يسعى   رعاء الحي في طلب الحلوب

ولا يانف العربي من خدمة خيله، ورعايتها والاهتمام بها، وقد قيل في الحكم المعدودة: خمسةٌ لا يستحى من خدمتهم: السلطان، والعالم، والوالد، والضيف، والفرس.[2]

ويذكر أبو زبيد الطائي خيولهم، وسقيها اللبن الضياح الذي يكثر الماء فيه،[3] وهو ما يجعلها قوية، تغزو وتحارب دون أن تكلّ، يقول:[4]

كل عام يلثمن قوما بكف الدهر   حمقا وأخذ حي حريد
جازعات إليهم خشع الأو   داة تسقى قوتا ضياح المديد

أما طعام الخيل، فكان الشعير والبقل، كما قال العباس بن مرداس:[5]

بنو عوف تميح بهم جياد   أهين لها الفصافص والشعير

ويذكر الأعشى الخيل التي تعلف وتطعم الشعير، وتجلل بالرداء ويهتم الرواة بها، يقول مادحا هوذة بن علي الحنفي:[6]

جيادك في الصيف في نعمة   تصان الجلال وتعطى الشعيرا
ينازعن أرسانهن الروا   ة شعثا إذا ما علون الثغورا

---

[1] ديوانه، ص 321.

[2] ابن جزي، ص214.

[3] انظر: ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، 711هـ/ 1311م، لسان العرب، م2، مادة: ضيح، دار صادر، بيروت.

[4] شعره، ص50.

[5] العباس بن مرداس السلمي، ديوانه، تحقيق، يحيى الجبوري، ص70، مؤسسة الرسالة، بيروت.

[6] الأعشى الكبير، ميمون بن قيس، ديوانه، تحقيق، محمد حسين، ص99، مكتبة الآداب، مصر.

وكان عدي بن زيد يسقي فرسه اللبن، ويجلله بالرداء، يقول:[1]

كربيب البيت يفري جله طاعة العض وتسحير اللبن

وإذا كان اللبن أصلح للخيل عند الغارة، فإن البعض كان يسقيها المديد، وهو دقيق الماء،[2] عندما يعز اللبن، لكن ذلك يضر الخيل في المعركة، يقول حسان بن ثابت يعذر أيمن بن عبيد عن تخلفه عن خيبر، وقد سقى فرسه المديد:[3]

والمرء لم يجبن ولكن مهره أضر به شرب المديد المخمر

فلولا الذي قد كان من شأن مهره لقاتل فيها فارسا غير أعسر

ولكنه قد صده فعل مهره وما كان منه عنده غير أيسر

وكانت العرب لا تثق بأحد في خيلها إلا بأولادها ونسائها، لذا تظهر النساء في أشعارهم يطعمن الخيل، كما هي الحال عند أبي زبيد الطائي:[4]

تقوت أفراسهم نساؤهم يزجون أجمالهم مع الغلس

والخيل لا يصلح اللحم لها طعاما، كما قال الجاحظ،[5] ولذا كانت العرب تطعم الخيل اللحم الميبس إذا عز الشجر، يقول النمر بن تولب:[6]

نطعمها اللحم إذا عز الشجر والخيل في أطعامها اللحم عسر

وكما تجلل الخيل في الشتاء، تجلل في الصيف أيضاً برداء يقيها شدة الحر، يقول النابغة الذبياني:[7]

يغير على العدو بكل طرف وسلهبة تجلل في السهام

ويتحدث الأعشى عن النعمان بن المنذر مادحا إياه، مصوراً رعايته لخيله، واهتمامه بها في الطعام والكساء، يقول:[8]

---

[1] ديوانه، ص174.

[2] انظر: لسان العرب، م3، مادة: مدد.

[3] حسان بن ثابت الأنصاري، ديوانه، تحقيق، سيد حنفي حسنين، ص267، دار المعارف، مصر.

[4] شعره، ص104.

[5] الحيوان، ج7، ص145.

[6] النمر بن تولب بن زهير، شعره، تحقيق، نوري القيسي، ص69، مطبعة المعارف، بغداد.

[7] النابغة الذبياني، زياد بن معاوية بن ضباب، ديوانه، تحقيق، محمد الطاهر ابن عاشور، ص238، الشركة التونسية للتوزيع 1976م.

[8] ديوانه، ص219.

ويأمر لليحموم كـل عشيـة بقت وتعليق وقد كـاد يسنـق
يعالى عليه الجل كـل عشية ويرفع نقلا بالضحـى ويعرق

وبالمقابل فإن عنترة بن شداد يهجو من يجوع خيله ويؤثر نفسه بالشبع، فيقول:[1]

أبنـي زبيبـة مـا لمهـركم متخددا وبطـونكـم عجـر
ألكـم بآلاء الـوشـيـج إذا مـرَّ الشيـاه بوقعـه خبـر
إذ لا تـزال لكـم مغرغـرة تغلي وأعلـى لـونها صهر

وكثيرا ما تظهر صورة الزوجة العاذلة، تلوم زوجها الفارس على إيثـاره الخيـل بالطعام، واهتمامه الشديد بها، على الرغم من أن الخيل حامية الـشرف، وصـائنة العرض، يقول الأعرج المعنى:[2]

أرى أم سهل ما تـزال تفجـع تلوم وما أدري على ما توجـع
تلوم على أن أعطي الورد لقحة وما تستوي والورد ساعة أفزع
إذا هي قامت حاسـرا مشمعلة نخيب الفؤاد رأسها مـا يقنـع
وقمـت إليـه باللجـام ميسرا هنالك يجزيني الذي كنت أصنع

ويقول عنترة بن شداد، مخاطبا زوجته، وكانت تلومه في إيثار فرسه:[3]

لا تذكري مهري وما أطعمتـه فيكون جلدك مثل جلد الأجرب
إن الغبوق له وأنـت مسـوءة فتأوهي ما شئـت ثم تحـوبي

ولعلهم بسبب الخوف على الخيل من الحسد وغيره، قد أطلقوا على الفـرس الكريمة شوهاء على جهة التطير لها،[4] بل إنهم كانوا يعلقون التميمة علـى الخيْـل خوفا من العين والحسد، ويصور ذلك الشعراء الجاهليون، قال خفاف بن ندبة:[5]

يعقد في الجيـد عليـه الرقى من خيفـة الأنفس والحاسـد

---

[1] ديوانه، ص315 – 316.
[2] ابن جزي، ص120 – 121.
[3] ديوانه، ص272.
[4] الجاحظ، الحيوان، ج6، ص213.
[5] شعره، ص45.

ونجد ابن مقبل يصرح بأن خيله لم تقلد عليها التمائم من داء ولا ربو، إنما قلدت للحسن خوفا عليها من العين، يقول:[1]

غوج اللبان ولم تعقد تمائمه معرى القلادة من ربو ولا بهر

وحين تُحفى الخيل، وتعرّى من سروجها،يكون إيذاناً بعلّة أو داهية ما لحقت بفارسها، يقول النابغة في مرض النعمان بن المنذر:[2]

وردت مطايا الراغبين وعريت جيادك لا تحفي لها الدهر حافرا

وحين تعثر الخيل، يسقط الفارس ميتا، تقول دختنوس بنت لقيط:[3]

عثر الأغر بخير خنـ ـدفَ كهلها وشبابها

عبث الأغر به وكل منية لكتابها

وعندما سقطا صخر ميتا، استراحت فرسه "طلقة"، تقول الخنساء راثية أخاها:[4]

فقد فقدتك طلقة فاستراحت فليت الخيل فارسها يراها

والخيل عظيمة كفارسها، تُخلد أفعالها بعد موتها، ومن ذلك أن الفرس "ذات النشوع" حين ضربت برأسها وماتت، سمي ذلك المكان الذي ماتت فيه بـ "هبير الفرس".[5]

وحين يسقط الفرس، لا نجد إلا الفارس باكيا عليه، يسترجع أيامه معه، وذكرياته، يقول السليك بن السلكة يرثي فرسه النحام:[6]

كأن قوائم النحام لما تحمل صحبتي أصلا محار

على قرماء عالية شواه كأن بياض غرته خمار

وما يدريك ما فقري إليه إذا ما القوم ولوا أو أغاروا

ويحضر فوق جهد الحضر نصا يصيدك قافلا والمخ رار

---

[1] ديوانه، ص100.

[2] ديوانه، ص116.

[3] بنو تميم، شعرهم، ص334.

[4] الخنساء، تماضر بنت عمرو بن الحارث السلمية، ديوانها، تحقيق، أنور أبو سويلم، ص289، ط1، دار عمّار، الأردن 1988م.

[5] ابن جزي، ص123.

[6] المبرّد (أبو العباس محمد بن يزيد 286هـ /899م): الكامل في اللغة والأدب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج3، ص53، دار الفكر العربي، القاهرة 1997م.

إن الدور العظيم الذي كانت تقوم به الخيل في حياة الجاهلي، جعل العرب يهتمون بأنسابها ويتتبعونه، ويفتخرون بذلك، كما افتخروا بأنسابهم، وكانوا يعتقدون في نسب الخيل الرفيع، الشرف والقوة والغلبة في الحرب، لذا كثيرا ما نجد الشعراء يذكرون هذه الأنساب ويفتخرون بها، يقول خفاف بن ندبة السلمي، يفتخر بفرسه:[1]

وعته جواد لا يباع جنينها   بمنسوبة أعراقه غير محمق

إن أم هذه الفرس من كرائم الخيل، ومن نسب أصيل، كما يقول الشاعر، ويفتخر العباس بن مرداس، بما صار إليه من نسل هذه الفرس، يقول:[2]

أبوها "للضبيب" أو افتلتها   ذوات السن من آل الصيود

أما عدي بن زيد العبادي، فهو يفتخر بفرسه من نسل "يعبوب" ومن "آل سحم"، يقول:[3]

ولقد أغدو ويغدو صحبتي   بكميت كعكاضي الأدم
فضل الخيل بعرق صالح   بين يعبوب ومن آل سحم
فتنامت أفحل نجب به   فهو كالتمثال جياش هزم

ونجد أصداء هذا الفخر بالنسب الرفيع للخيل، عند طفيل الغنوي، حين يذكر بنات "الغراب " و "الوجيه" و "لاحق" و "أعوج"، يقول:[4]

جلبنا من الأعراف أعراف غمرة   وأعراف لبنى الخيل يا بعد مجلب
بنات الغراب والوجيه ولاحق   وأعوج تنمي نسبة المتنسب
ورادا وحوا مشرفا حجباتها   بنات حصان قد تعولم منجب

أما الأعشى فإنه يخص بالسرعة إلى القتال والنجدة، الأفراس المنسوبة إلى "آل الصريح" و "أعوج"، ويهدد الحارث بن وعلة بها، يقول:[5]

ويمنعه يوم الصياح مصونة   سراع إلى الداعي تثوب وتركب
عناجيج من آل الصريح وأعوج   مغاوير فيها للأريب معقب

---

[1] شعره، ص34.
[2] ديوانه، ص64.
[3] ديوانه، ص64.
[4] ديوانه، ص22-23.
[5] ديوانه، ص203.

ويمدح النابغة الذبياني قبيلته بني ذبيان، ويتحدث عن فرسانها الذين يحمون القبيلة بخيولهم الأصيلة ، التي تنتمي في نسبها إلى "آل الوجيه" و "لاحق" يقول:[1]

ليهنأ بني ذبيان أن بلادهم خلت لهم من كل مولى وتابع
سوى أسد يحمونها كل شارق بألفي كمي ذي سلاح ودارع
قعوداً على آل الوجيه ولاحق يقيمون حولياتها بالمقارع

ومن هنا نشأت لفظة "المقرف" و "الهجين" من الخيل، فقد ذكر الزبيدي في تاجه أن "المقرف" من الفرس وغيره: ما يداني الهجنة أي الذي أمه عربية لا أبوه؛ لأن الإقراف إنما هو من قبل الفحل، والهجنة من قبل الأم.[2]

ويقول الأعشى:[3]

كل عام يمدني بجموم عند وضع العنان أو بنجيب
قافل جرشع تراه كتيس الـ ـربل لا مقرف ولا مخشوب

وقد استعار الشعراء هاتين اللفظتين، للطعن في أنساب الخصوم، والنيل منهم، قال حسان بن ثابت يهجو أبا سفيان بن الحارث:[4]

ولست بذي دين ولا ذي أمانة ولست بحر من لؤي ولا كعب
ولكن هجين ذو دناه لمقرف مجاجة ملح غير صاف ولا عذب

وقال يهجو الحارث بن هشام بن المغيرة:[5]

وورثت والدك الخيانة والخنا واللؤم عند تذاكر الأحساب
وأبان لؤمك أن أمك لم تكن إلا لشر مقارف الأعراب

وحين يتحدث المرء عن أصله، فإنه يشبه به أصالة الخيل الكريمة، وتشير حميدة بنت النعمان بن بشير إلى هذه الفكرة، فتقول:[6]

وما أنا إلا مهرة عربية سليلة أفراس تحللها نغل

---

[1] ديوانه، ص171. وانظر بنو تميم، شعرهم، ص451. وعمرو بن كلثوم التغلبي، ديوانه، تحقيق، إيميل بديع يعقوب، ص86، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت 1991م.

[2] التاج، ج24، مادة: قرف، تحقيق، مصطفى حجازي، الكويت 1987م.

[3] ديوانه، ص335.

[4] ديوانه، ص111.

[5] ديوانه، ص176.

[6] الجزائري، ص43.

فإن نتجت مهــراً فللــه درهــا وإن يك أقرافا فما أنجب الفحل

لذا فإن الشعراء الجاهلين حين افتخروا بنسب الخيل، استعاروا هــذا النــسب والنجابة فيها للافتخار بالقبائل، ويشبهون القبيلة الحرة الــشريفة بــالفرس النجيبــة، ونرى ذلك حين يهجو حسان بن ثابت رجال مزينة، يقول:[1]

رجــال تهلك الحسنـــات فيهم يرون التيس كالفــرس النجيب

وقال يهجو أحدهم أيضا:[2]

تــرى التيس عندهــم كالجــواد بــل التيس وسطهـــم أنجب

وصهيل الفرس دليل على أصالة النسب ورفعته، قال حسان بن ثابت يهجو بني أسد ويمدح نسب قريش:[3]

تمنـــى أن تكــون إلى قريش شبيه البغل شبــه بالصهيــل

وكما استعاروا صهيل الخيل للنسب الرفيع، استعاروا نواصي الخيل للعزة والرفعة، وقد قيل: العز في نواصي الخيل، والذل في أذناب البقر. وأورد الثعالبي:[4]

فاتنا عز نواصي الخيل فلـــ ـــيبقَ فينـــا ذل أذناب البقــر

واشتقوا من ناصية الخيل، مقدمة لكل شيء، فحسان بن ثابت يجعــل لأيــام اللهــو ناصية، يقول:[5]

وانتصبنا نواصي اللهو يوما وبعثنـــا جناتنـــا يجتنــونا

واستعاروا من غرة الحصان البيضاء، المجد والانتصار، فعمرو بن كلثــوم يــذكّر عمرو بن هند بوقائعهم المشهورة:[6]

وأيام لنا غـــــر طــوال عصينا الملك فيهــا أن ندينا

---

[1] ديوانه، ص296.
[2] المصدر السابق، ص371.
[3] ديوانه، ص255.
[4] ثمار القلوب، ص357.
[5] ديوانه، ص282.
[6] ديوانه، ص71.

كما يشبه السموءل في قصيدته وقائعهم بالغرر والحجول التي تبرز في جباه الخيول وأرجلها، دليلا على معرفة الجميع ببلائهم في هذه الوقائع، وحسن آثـارهم عند النهوض لها، يقول:[1]

وأيامنا مشهورة في عدونـا لها غرر معلومـة وحجـول

وأخذوا كلمة "حجل" من الخيل، واستعاروها لخلخال المرأة تلبسه برجلهـا، يقـول الأفوه الأودي:[2]

نقاتل أقواما فنسبي نساءهم ولم يرّ ذو عز لنسوتنا حجلا

كما أنهم يضربون مثلا للشاب الذي يمعن في التصابي والخلاعة بـ"طلق الجمـوح" تشبيها بالفرس الجموح إذا عدا في حاجة لم ينهنهه شيء.[3]

ومن مذاهبهم أن الرجل إذا خرج من بلده إلى آخر، فلا ينبغي له أن يلتفت فإنـه إذا التفت عاد، فلذلك لا يلتفت إلا العاشق الذي يريد العود.[4]

وقد طلق أحدهم امرأته، فتلفتت إليه، فقال مشبها نفسه بـالفرس الجمـوح الـذي لا يتوقف عن اندفاعه، إذا اندفع، وانطلاقه إذا انطلق:[5]

تلفتت ترجو رجعـة بعد فرقة وهيهات مما ترتجي أم مازن

ألم تعلمي أني جمـوح عنانه إذا كان من أهواه غير ملاين

وحين يطلق الجاهلي زوجته، فإنه يخلعها كما يخلع اللجام من الفرس ، يقول القتـال الكلابي، حين طلق امرأته:[6]

خلعت عذارها ولهيت عنهـا كما خلع العذار من الجـواد

وكانوا إذا أرادوا التمثيل بالقوة والثقة، صوروهما بالمهر الأرن:

---

[1] المرزوقي (أبو علي احمد بن محمد بن الحسن، 421هـ /1030 م): شرح ديوان الحماسـة، تحقيـق، عبـد السلام هارون وأحمد أمين، ج1، ص121، ط1، دار الجيل، بيروت 1991م.

[2] ديوانه، ص100.

[3] الثعالبي، ص358.

[4] النويري (شهاب الدين بن احمد بن عبد الوهاب، 733هـ /1332 م): نهاية الأرب فـي فنـون الأدب، ج2، ص326، دار الكتب، مصر.

[5] المصدر السابق، ج2، ص328.

[6] ديوانه، ص47.

يقول زيد مخاطبا نعيما: " امـض لـشأنك نعـيم، فقـد والله أخيـت لـك أخيـة لا يقطعها المهر الأرن ".[1]

والموت عند طرفة بن العبد يربط الناس بحبل، في يد الفارس، يُطَوّلُ لـه ويُثنـى، فالإنسان وإن طول له في أجله، فهو مربوط بحبل الموت، لا محالة، يقول:[2]

لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى   لكا لطول المرْخى وثنياه باليد

ولعل الجاحظ عبّر عن العلاقة الحميمة بين العربـي وفرسـه ، إذ يقـول: "..ولعمري إنا نفهم عن الفرس كثيراً من إرادته وحوائجه وقصوده، كما نفهـم إرادة الصبي في مهده، ونعلم – وهو من جليل العلم – أن بكاءه يدل على خلاف ما يـدل عليه ضحكه، وحمحمة الفرس عند رؤية "المخلاة"، على خـلاف مـا يـدل عليـه حمحمته عند رؤية الحجر.[3]

ويعبّر ابو دؤاد الايادي عن حب العربي لفرسه ، بقوله:[4]

علق الخيل حب قلبي وليـدا   وإذا نـاب عندي الأكثـار
علقت همتي بهن فما يمـــ   ـــنع منـي الأعنة الأقتـار
جنة لي في كل يوم رهـان   جمعت في رهانهـا الأعشار
وانجراري بهن نحو عدوي   وارتحالي البـلاد والتسيـارُ

3.2 الخيل في صدر الإسلام:

لم يقلل الإسلام من الاهتمام بالخيل والعناية بها، بل على العكس تماماً، فقد أولاها العناية الكبيرة، والأهمية العظيمة. ولم تكن الخيل في هذه الفترة مطابقة تَماماً للخيل في العصر الجاهلي، حيث ذلك الغبار الذي تثيره. فقد كانت خيل الجاهلية أكثر ما تثير غبار الثأر والانتقام، وغبار العصبية القبلية الذي يتساقط خلفه الفرسان والمقاتلون. ولم يكن هناك نظام ديني يوقف نزف الدماء، التي تراق في ساحة

---

[1] الأصفهاني، ج2، ص119.

[2] طرفة بن العبد البكري، ديوانه، تحقيق، درية الخطيب، ولطفي الصقال، ص37، مطبوعـات مجمـع اللغـة العربية، دمشق 1975م.

[3] الحيوان، ج1، ص32.

[4] ديوانه، ص317.

المعركة، إلا بعض الحكماء، ذوى العقل الحكيم، بعد أن يلفّ لهيب القتال الرجال والنساء والزرع والماء.

ولعل تلك الصورة الثأرية، حاربها الإسلام، وجعل غبار الخيل تُثار لمقصد عظيم، وأصبح دور الخيل في الفترة الإسلامية عظيماً، يتجسّد في نشر الدعوة الإسلامية، ومحاربة أعدائها، والقضاء على الوثنية، والبغي، والفساد، وجمع الناس تحت راية واحدة.

ولقد زاد من أهمية الخيل شرفاً وقدراً، أن ذكرها الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم، وأقسم بها، في قوله جلّ شأنه:

﴿والعاديات ضبحا، فالموريات قدحا، فالمغيرات صبحا، فأثرن به نقعا، فوسطن به جمعا﴾ [1]

إن في قسم الله سبحانه وتعالى بالخيل، حثاً للمسلمين على القتال، وإعداد العدّة والتسلح لردع أعداء الله، و " إن ذكر الخيل وضبحها، وقدحها ونقعها، إنما هو كناية عن إعداد العدّة لصيانة الحقّ والدفاع عن أهله، وكنّى سبحانه بالخيل عن القدرة لأنها كانت آنذاك من أبرز مظاهرها".[2]

وقد أخرج بعضهم عن ابن عباس، أن الرسول (ﷺ)، قال: ﴿العاديات﴾ تعدل نصف القرآن.[3]

وفي هذا ما يدلّ على مدى أهمية الخيل، وتكريم المولى عز وجلّ لها.

وإذ الخيل أحد أبرز وسائل القتال، وأدواته في ذلك العصر، حثّ المولى عزّ وجلّ المسلمين على الاستعداد لمواجهة خطر الأعداء بها، يقول جلّ شأنه:

﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوّ الله وعدوّكم﴾[4]

---

[1] سورة العاديات،الآيات 1- 5

[2] محمد جواد مغنية،التفسير الكاشف، م7،ص600،دار العلم للملايين، بيروت

[3] السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر،911هـ /1505م)،الدر المنثور في تفسير المأثور،ج6، ص651،دار الكتب العلمية،بيروت.

[4] سورة الأنفال، الآية 60.

كما جعل المولى عزّ وجلّ الخيل، زينةً يفتتن الناس بها، كما يفتتنون بالنساء، وجعلها من شهوات الدنيا التي يتمتع بها الإنسان، وقرنها بحبّ النساء، والبنين، والقناطير المقنطرة، والذهب والفضّة، يقول جلّ شأنه:

﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة﴾[1]

ولمنزلة الخيل العظيمة، فقد قدمها المولى عز وجل في قوله: ﴿ والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة﴾[2]

وفي قوله: ﴿وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب﴾[3]

ويعلل الجاحظ تلك المنزلة المتقدمة ، بقوله " ولما أن كان الفرس عليه تقاتل الأنبياء وأتباع الأنبياء، ملوك الكفار وأتباع ملوك الكفار، حتى يقمع الله الباطل ويظهر الحق، فلذلك قدمناه على، جميع البهائم والسباع، وإنما نقدمه على الوجه الذي قدمه الله فيه "[4]

لذا فقد أضيفت الخيل إلي الخالق عز وجل، في كلامهم "خيل الله"، ويرى الثعالبي: أن الله لا يضاف إليه إلا العظيم من جميع الأشياء من الخير والشر.[5]

وكان الرسول (ﷺ) من أكثر الناس اهتماما بالخيل؛ لمعرفته بمكانتها ودورها في الحياة العسكرية، وإسهامها في نشر الدعوة الإسلامية.

وقد ورد في الأثر النبوي، ما يدل على المكانة العظيمة التي تبوأتها الخيل في صدر الإسلام. ولقد جاء في الحديث النبوي الشريف، ما يشير إلى أن الخيل، فضلاً عن كونها مصدراً من مصادر النفع في زمن السلم وزمن الحرب على

---

[1] سورة آل عمران، الآية 14

[2] سورة النحل، الآية 8

[3] سورة الحشر الآية 6

[4] الحيوان، ج7، ص145

[5] ثمار القلوب، ص133

السواء، لتبدو في نظر الإسلام وكأنها التميمة، فهي في الدنيا فأل حسن، وللآخرة عربون الرحمة الإلهية وتأمين النعيم الأبدي.[1]

ومن ذلك ما قاله الرسول (ﷺ):

" الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة"[2]

كما تحدث عليه الصلاة والسلام عن أجر المؤمن الذي يحتبس فرساً في سبيل الله، بقوله:

" من احتبس فرساً في سبيل الله إيماناً بالله وتصديقاً بوعده، فإن شِبَعَهُ ورِيَّهُ ورَوْثَهُ وبَوْلَهُ في ميزانه يوم القيامة"[3]

ويفرّق الرسول (ﷺ) في حديثه الشريف، بين خيل الأجر، وخيل الستر، وخيل الوزر، بقوله:-

"الخيل لثلاثة، لرجل أجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر، فأما الذي هي له أجر فرجلٌ ربطها في سبيل الله فأطال في مرج أو روضةٌ فما أصابت في طيلها ذلك في المرج أو الروضة، كانت له حسنات ولو أنها قطعت طيلها فاستَنَّتْ شرفاً أو شرفين، كانت آثارها حسنات له، ولو أنها مرّت بنهر فشربت منه ولم يرد أن تسقي، كان ذلك حسنات، فهي له أجر، ورجل ربطها تغنيا وتعففا ولم ينس حقّ الله عزّ وجلّ في رقابها ولا ظهورها، فهي لذلك ستر، ورجل ربطها فخرًا ورياءً ونواءً لأهل الإسلام، فهي على ذلك وِزْر"[4]

وكما جعل المولى عزّ وجلّ الخيل، زينة ومتاع الدنيا، فقد ورد عن النبي (ﷺ) قوله:

---

[1] واصف بطرس غالي، ص187

[2] البخاري (محمد بن إسماعيل ، 256هـ /869م): صحيح البخاري، ج11، ص137، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

[3] البخاري، ج11، ص137 ، والنسائي (أحمد بن علي،303هـ /915م): سنن النسائي،ج5،ص221، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

[4] السيوطي، تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك ،ج1،ص3، دار الكتب العلمية، بيروت. وانظر: البخاري ج11،ص641. النسائي، ج5، ص235- 236.

"... وليس اللَّهُو إلا في ثلاثةٍ، تأديبِ الرجل فرسه، وملاعبتهِ امرأتَهُ، ورَميهِ بقوسهِ ونَبْلِه...".[1]

وكان الرسول (ﷺ) من أرحم الناس بالخيل، وأشدّهم عنايةً بها، وقد روي أنه كان يمسح وجه فرسه بردائه، فسئل عن ذلك. فقال: إني عوتبت الليلة في الخيل.[2]

وقد كره الرسول (ﷺ) جزّ نواصي الخيل وأذنابها، كما كان يصنع أهل الجاهليـــة، وقد ورد عنه: البركة في نواصي الخيل.[3]

وكذلك نهى عليه الصلاة والسلام عن تلك السنّة المتبّعة في الجاهلية في حـــروبهم، بقوله:

" لا تقصّوا نواصي الخيل ولا معارِفَها ولا أذنابَها، فإنّ أذنابها مـــذابُّها، ومعارِفَهـــا دِفاؤها، ونواصِيَها معقودٌ فيها الخير"[4]

واقترنت الخيل في بعض الراويات الإسلامية، بالسحابة التي تُمطر الخيـــر والنـــور والنصر، ومن ذلك ما ذكره السيوطي في مولد النبي (ﷺ) أنه أقبلت سحابة، يـــسمع منها صهيل الخيل وخفقان الأجنحة فغيب عني....[5]

ويذكر في غزوة بدر أنه ". أقبلت سحابة، فلما دنت من الجبل ســـمعنا فيهـــا حمحمة الخيل، وسمعنا فيها فارساً، يقول: اقدم حيزوم "[6] وهو فرس جبريل عليـــه السلام.[7]

ومهما يكن منَ أمر، فقد كانت الخيل على الرغم من أهميتها العظيمـــة فـــي الحياة العسكرية، ومساهمتها الكبيرة في نشر الدعوة الإسلامية، فإنها لم تكن منتشرة بشكل كبير في الحجاز أبّان ظهور الإسلام.[1]

---

[1] النسائي،ج5،ص223.

[2] البخاري،ج11،ص146- 147 والنسائي،ج5، ص225-226، والسيوطي، تنوير الحوالك، ج1، ص23.

[3] النسائي، ج5، ص221.

[4] أبو داود (سليمان بن الاشعث السجستاني،275هـ/888م): ســنن أبــي داود، كتــاب الجهــاد، رقــم الحديث2542.

[5] السيوطي، كفاية الطلب اللبيــب فــي خــصائص الحبيــب،ج1، ص81- 83، ط1، دار الكتــب العلميــة، بيروت 1985م.

[6] المصدر السابق، ج1، ص330.

[7] الرسولي، ص335.

وما ورد عن عدد الأفراس التي شاركت في المعارك الإسلامية، يدلّ على ذلك، حيث ورد أن عدد الأفراس التي غزت معَ الرسول (ﷺ) في يوم بدر، ثلاثة أفراس، وهي بَعْزَجة للمقْداد، واليَعْبُوب للزُبير، وفرسٌ لمرثَدَ الغنوي، ولم يكن لهم يومئذ خيلٌ إلا هذه.[2]

وفي المقابَل كان مع قريش مائتا فرس قد جنبوها.[3]

وفي غزوة ذي قَرَد، كان عدد أفراس المسلمين، ستّة أفراس، وهي بَعْزَجة للمقْداد، وذي اَللمة فرس عُكاشة بن محْصن، وحَزْوة فرس أبي قتادة، ولمّاع فرس عبّاد بن بشر، ومَسْنون فرس أسُيَد بن ظُهير، وجُلْوة فرس أبي عيّاش.[4]

ولعل ّالخيل من الغنائم العظيمة التي يغنمها المسلمون، في غزواتهم وحروبهم، لتكون السند القوي لجيش المسلمين، والدرع الحصين، وبها تقلب موازين المعركة. ولقد كانت غنيمة المسلمين في يوم بني قريظة، ثمانية وثلاثين فرساً.[5] وفي يوم فتح مكة، كانت أربعمائة فرس.[6]

ولأهمية الخيل ودورها في الحرب، أخرج الرسول (ﷺ) من الغنيمة للفارس ثلاثة أسهم، للفرس سهمين، ولفارسه سهما، كما حدث في يوم بني قريظة،[7] وجعل في خيبر سهمين للفرس وسهماً للراجل.[8]

ويعلل الجاحظ تلك القسمة، بقوله:" ونحن لا نشك أن للفرس تحت الفارس غناءً في الحرب لا يشبهه غناء، ولذلك فُضّل في القَسْم. وإنما ذلك بتصريف راكبه له وقتاله عليه."[1]

---

[1] جواد علي، ج 7، ص116.

[2] اليعقوبي، ج2، ص30، والسهيلي، ج5، ص167.

[3] الكلاعي (أبو الربيع سليمان بن موسى، 634هـ/1236م): الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، تحقيق، محمد كمال الدين عز الدين علي، ج2، ص68- 69، ط1، عالم الكتب، بيروت 1997م.

[4] السهيلي،ج7، ص8.

[5] اليعقوبي، ج2، ص 34. و الكلاعي،ج2، ص 138- 139.

[6] اليعقوبي، ج2، ص 40.

[7] المصدر السابق، ج2، ص 34. و الكلاعي،ج2، ص 138- 139.

[8] الكلاعي، ج2، ص 198.

أما أفراس الرسول (ﷺ)، فقد اختلفت بعض المصادر في عـددها، وروي أن المتفق عليها سبعة أفراس، منها فرس السكب، سمّي بالسكب لخفته، وفرسٌ أشـهب يدعى المرتجز، لحسن صهيله وغنّته، واللحيف الذي يلحف الأرض بذيله الطويـل، واللزاز والظرب اللذان لا نظير لهما في العاديات ولا مثيل، والورد الذي أنعم بـه على عمر – رضي الله عنه – وسبحة التي سابق بها.[2]

وكان الرسول (ﷺ) دقيقاً في اختيار الخيل، عالماً بها، وبـصفاتها وشـياتها، يبـذل الأموال لأجل شرائها، وتجهيز عدّة الحرب لجيش المسلمين.

يروى أن الرسول (ﷺ) اشترى فرسه المرتجز من خُزَيْمة بن سَوا، بمـائتي ناقـة، ليس فيها حدّاء ولازبّاء ولاذات عور.[3]

وفي المقابل لم ينس الرسول (ﷺ) الخيل في الحياة اليومية، وأجرى السباق بين خيل المسلمين، وحثّ على ذلك، وورد عنه (ﷺ) قوله:

" لا سبق إلا في خف أو حافِر "[4]

كما ورد أنه سابق بين الخيل التي قد أضمُرِتْ من الحَفْياء، وكان أمـدها ثنيَّـة الوداع، وسابق بين الخيل التي لم تُضمَّرْ من الثنيَّة إلى مسجد بني زريْق.[5]

وشارك الرسول (ﷺ) المسلمين في سباق الخيل بأفراسه، وقد أجرى الخيل يوماً، فجاء فرس له أدهم سابقًا، وأشرف على الناس، فقالوا: الأدهم، الأدهم، فجثا رسـول الله (ﷺ) على ركبتيه، ومرّ الفرس وقد انتشر ذنبه وكـان معقـودًا، فقـال رسـول الله (ﷺ): إنه لبحر. فقال عمر: كذب الحطيئة، حيث يقول:[6]

---

[1] الحيوان، ج7، ص144.

[2] ابن حبيب (الحسن بـن عمـر 779هـ/ 1377م): المقتفـى مـن سـيرة المصطفى،تحقيق،مـصطفى الذهبي،ج1،ص118، ط 1،دار الحديث القاهرة 1996م،وأنظر: الخطيب (أبو العباس احمد بن أحمد 810 هـ/ 1407م): وسيلة الإسـلام بـالنبي (ص)،تحقيق،سـليمان الـصيد،ج1،ص120 – 121، ط 1، دار الغـرب الإسلامي،بيروت 1984م.

[3] الشمشاطي، ص 132.

[4] النسائي، ج5، ص221.

[5] البخاري، ج11،ص146 –147، والنسائي، ج5، ص225–226.

[6] الأصفهاني، ج2، ص169، والرسولي، ص205. والحطيئة، جرول بن أوس، ديوانه، تحقيق نعمـان محمـد أمين طه، ص336، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة 1987م.

وإن جيـــاد الخيـــل لا تستفزّنا   ولا جاعلاتُ الرَّيطْ فوق المعاصم

وكان عليه الصلاة والسلام يشرف على السباق بنفسه، ويقسم الجوائز على المتسابقين، فقد سابق بين الخيل على حُلَل أتته من اليمن، وأعطي السابق ثلاث حلل، والمصلِّي حلتين، والثالث حّلة، والرابع دينارًا، والخامس درهماً... وقال: بارك الله فيك، وفي كلكم، وفي السابق وفي الفِسْكل.[1]

ولقد كان من عادة العرب قبل الإسلام في السباق، أن يعطي الرجل فرسه رجلاً غيره يركبه في الغاية، فإذا قرب من آخرها تعقبه وأجلب عليه، وصاح خلفه يستحثه بذلك، ليزداد خوفاً من أن يسبق، وهو ما يسمى بالجلب.[2]

كما كان من عادتهم في السباق أيضاً، أن يجنب فرسًا آخر غير فرسه الذي راهن عليه، فإذا رآه فتر وأعيا، ركب المجنوب.[3]

وقد نهى الرسول (ﷺ) عن الجلب والجنب، بقوله:

" لاجَلبَ ولا جَنَبَ ولا شغارَ في الإسلام..."[4]

أما المراهنة التي أجازها الإسلام في السباق، فهي أن يراهن الرجل صاحبه بشيء مسمًّى، على أنه إذا سبق أخذ رهنه ولم يأخذ من المسبوق شيئًا، وإن سبقه صاحبه أخذ الرهن، أما إذا جعل كل واحد منهما رهنًا، أيهما سبق أخذ الرهنين، فهذا هو القمار المنهي عنه.[5]

وعفى الرسول (ﷺ) عن زكاة الخيل، في قوله:

" قد عفوتُ عن الخيل والرقيق فها توا صدقة الرِّقة من كلِّ أربعين درْهَما دِرْهَمًا، وليس في تسعين ومائة شيء، فإذا بلغت مائتين ففيها خمسة دراهم".[6]

---

[1] الرسولي، ص209.

[2] الرسولي، ص209.

[3] المصدر السابق، ص210.

[4] النسائي، ج5، ص227- 228.

[5] الرسولي، ص112 .

[6] أبو داود، سننه، كتاب الزكاة، رقم الحديث 1574.

لكن الخيل تبلغ ثمناً باهظاً عند بعضهم، فتتوجب الزكاة عليها، فورد أن عبد الرحمن بن أمية أشترى من أهل اليمن فرساً بمائة قلوص، فندم البائع فلحق بعمر – رضي الله عنه –، فعندما علم عمر بالقصة، قال: إن الخيل لتبلغ هذا عندكم ؟! فقرر على كل فرس ديناراً زكاة.[1]

وكان عمر قد اشترى فرساً لمجاشع بن مسعود السُّلَمي، من نسل الغبراء بعشرة آلاف درهم.[2]

ولا عجب أن يقوم الصحابة –رضوان الله عليهم– بالعناية بالخيل والاهتمام بها، أن يقتني من تيسّر له المال الخيل، على الرغم من ثمنها الباهظ، كما فعل عبد الرحمن بن عوف الذي اشترى من عثمان بن عفان فرساً بأربعين ألف درهم.[3]

واقتدى عمر بن الخطاب بالرسول (ﷺ) في سباق الخيل، وحث ولاة الأمصار عليه، روي أنه بعث إلى أبي موسى الأشعري، وهو على البصرة: أن مُرْ مَنْ قِبَلك من المهاجرين والتابعين، فليضمِّروا الخيل، واجعل لهم سَبَقًا، فإن رسول الله (ﷺ) قد سبق، ففعل أبو موسى ذلك.[4]

وكان عمر بن الخطاب يهتمّ بأنساب الخيل، وعتقها وهجينها، ويروى أنه شكّ في العتاق والهُجن، فدعا سلمان بن ربيعة الباهلي فأخبره، فدعا سلمانُ بطست من الماء فوُضع بالأرض، ثم قدَّم إليه الخيل فرساً فرساً، فما ثنى سنبكه وشرب هجَّنه، وما شرب ولم يَثْنِ عربه.[5] وورد عن علي بن أبي طالب، قوله: الخيل المطلب والهرب.[6] وقال ابن عباس:[7]

---

[1] الموسوعة الفقهية، ج23، ص262، ط2 طباعة ذات السلاسل، الكويت 1992م.

[2] ابن سعيد، ج2، ص806.

[3] البيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، 458هـ / 1065م): السُّنن الكبرى، تحقيق، محمد عبدالقادر عطا، ج 5، ص439 ، دار الكتب العلمية، بيروت.

[4] الرسولي، ص205.

[5] ابن عبد ربه (أحمد بن محمد، 328هـ/ 939م): العقد الفريد، ج1، ص137، دار إحياء التراث العربي بيروت 1989م.

[6] القرطبي (يوسف بن عبدالله بن محمد، 463هـ / 1070م): بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس، تحقيق، محمد مرسى الخولي، ق 2، ص 68، دار الكتب العلمية، بيروت.

[7] المصدر السابق، ق2، ص 69.

أحبوا الخيل واصطبروا عليها   فإن العز فيها والجـــمالا
إذا ما الخيل ضيعها رجـــال   ربطناها فشاركت العــيالا
نقاسمها المعيشـــة كل يـــوم   ونكسوها البراقع والجـــلالا

ولعل الخيل في شعر صدر الإسلام، من أكثر أدوات الحرب حضوراً، في المعارك الإسلامية، وهي التي شرّفها الله وكرّمها نبيّه. فتجد الشعراء يذكرونها في الحرب والمفاخرات، فارتبطت في هذا العهد بالدين الإسلامي وبالرسول (ﷺ)، لكن بعض الصفات التي كانت تحملها الخيل، وبعض الصور الفنية، ظلت كما هي، لأن غالبية شعراء هذا العهد، هم إرث الفترة الجاهلية، فظلت ألفاظ "العناجيج" و"طمِرّة" و"السابح" عالقة في أذهان هؤلاء الشعراء، لم تتغير بتغيرّ العهد، لأنها لا تتعارض والدين الجديد، وكذلك فإن كثيراً من الألفاظ العربية الجاهلية، ظلّت حيَّةً في الضمير العربي، حتى عهود لاحقة، وظلّ الشعراء ينهلون منها في أشعارهم.

وكان حسان بن ثابت أكثر الشعراء بروزًا، وهو الشاعر الفحـل فـي الفتـرة الجاهلية وشاعر الرسول (ﷺ) في صدر الإسلام، وكان لشعره وقع عظيم على أعـداء الدعوة الإسلامية، وهو إذ يفتخر بنصر قومه للنبي (ﷺ) يتحدث عن خيل الأنـصار التي تصرع الفرسان في ساحة المعركة، يقول:[1]

الله أكـــرمنـــا بنصر نبيـــّـهِ   وبنا أقام دعائـم الإســـلام
مــازال وقـــع سيوفنا ورماحنا   في كلِّ يـوم تجـــالد وترامي
حتى تركنا الأرض سهلاً حَزْنُهـا   منظومـــة من خيلنـا بنظـام .

وفي المقابل كان العباس بن مرداس، فارس بني سـليم وشـاعرها فـي الجاهليـة والإسلام، يفتخر بالوفاء بالعهد، يقول:[2]

إنّا وفَـــينا بالذي عاهدْتَـــنا   والخيلُ تُقْدَعُ بالكُمـاة وتُضْرَسُ

وقال حسان مفاخراً بالدين الجديد، وبرسوله، مجيباً وفد تميم:[3]

فإن كنتم جئتم لحقن دمائكـــم   وأموالكم أن تقسموا في المقاسـم
تجعلـوا لله ندا وأسلـــموا   ولا تلبسوا زيا كزي الأعاجـــم

---

[1] ديوانه، ص 143.
[2] ديوانه، ص 88 .
[3] ديوانه، ص 237.

وإلا أبـــحناكم وسقنا نَســـاءكم بصُمِّ القنا والمُقرِبـــات الصلادِمِ

ويتحدث حسّانَ عن أعداء الدين الذين يفرّون من أرض المعركة، بأفراســهم السريعة، وهو في هذا يمدح الفرس، ويهجو الفارس. وفي يوم بدر يتوجه بخطابــه إلى، الحارث بن هشام، الذي ترك أصحابه في المعركة، ونجــا بفرســه الـسريع، يقول:[1]

ترك الأحبــــة أن يُقاتل دونهم ونجا برأس طِمرَّةٍ ولِجـــــامِ

تَذَرُ العناجيجَ الجيـــادَ بقَفـرَةٍ مَــرَّ الدَّمُوكِ بمُحْصَدٍ ورجـــامِ

وقال يهجو أميه بن خلف، ويتحدث عن فرار أحدهم من المعركة بفرسه السريع:[2]

قتلـــنا أُميًّا يوم بَدْرٍ عَـــــنْوَةً وبعُدًا له من هالك لم يُوسَّـــــدَ

وفَرحكيمٌ خـــشيةً من رمـــاحنا على ســـابحٍ غَرْبٍ بعيدِ التَّرددِ

فكيف رأيتُم يوم بدرٍ ضرابَنـــا وأقدامَنَا والخيـــلُ لم تتـــبَّدِ

وفي يوم الخندق يقول حسان لعمرو بن ود:[3]

ولقد وجدت سيـوفنا مشهورةً ولقد وجـــــدت جيادنا لم تقصر

وفي غزوة بني قريظة يمدح حسّان الرسول (ﷺ)، ويذكر الخيل التي يجنبهــا فــي الحرب، ويقودها فرسان المسلمين إلى المعركة، يقول:[4]

لـــه خيـلٌ مجّنبةٌ تَعَـــادَي بفُرسانٍ عليـــــها كالصــــقورِ

ويفخر العَبّاس بن مرداس ببلاء قومه، بني سليم، في يوم حُنين، قائلاً:[5]

قومٌ هُمُ نصروا الرحمنَ واتَّبعوا دينَ الرســول وأَمْرُ الناسُ مُشْتَجِرُ

لا يغرسون فسيلَ النخل وَسْطَهُمُ ولا تخاورُ في مشتاهمُ الـــــبقَرُ

إلا سوابح كالعقُـــبانِ مُقَــرَبَةً في دارةٍ حولها الأخطارُ والعَكَرُ

ويقول كذلك في اليوم نَفسه، مصوِّرًا معاناة الخيل في المعركة:[6]

---

[1] ديوانه، ص108.

[2] ديوانه، ص199.

[3] المصدر السابق، ص306.

[4] نفسه، ص245.

[5] ديوانه، ص73.

[6] ديوانه، ص 98.

إمَّا تَرَيْ يا أُمَّ فَرْوَةَ خَيْلَــنا   منها مُعَطَّلَةٌ تُـقادُ وظُـلَّعُ
أوْهَى مقارعةُ الأعادي أدمها   فــيها نوافذُ من جـراحٍ تَنْبَعُ
زُرْنا غداتئذ هوازنَ بالقــنا   والخيلُ يَغْمُرُها عَجَـاجُ يَسْطَعُ

وقال كعب بن زهير يوم فتح مكة، وفي غزوة حنين والطائف:[1]

ترى الجُرْدَ الجيادَ تلوحُ فيهم   بأرمــاح مُقَـوَّمةِ الثَّـقافِ

وتبرز في هذه الفترة أسماء بعض الأفراس، التي كان لها دور بارز في جيش المسلمين وخاضت الحروب ضد أعداء الإسلام، ومن هذه الأفراس " الهَرِم" فرس أبي زرعة، عامر بن كعب، شهد عليه أحدًا، وقال فيه يومئذ:[2]

أنا أبو زَرْعَةَ! يعْدو بي الهَرِم   يحمــي الذِّمارَ خَزْرَجِيٌّ من جُشَمْ

و"الجَنَاح " فرس المقنع بن عمرو التميمي، وفد على رسول الله (ﷺ) بصدقة قومه، وكان قد شهد القادسية على فرسه، وهو القائل يومئذ:[3] ٦٢٢٣٧٦

ولما رأيت الخيلَ زيِّلَ بَيْنَـها   طِعَـانٌ ونشَّابٌ صَرَفْتُ جَنَاح
فطاعَنْتُ حتى أنزل اللهُ نَصْـرَه   وَوَدَّ جَنَاحٌ لو قضــى فأراحا

و" البلقاء" فرس سعد بن أبي وقاص، ركبها أبو محجن الثقفي يوم القادسية.[4]

وبالمقابل كان هناك " مِحَاج" فرس مالك بن عوف النصري، رئيس هوازن يوم حنين وهو القائل يومئذ:[5]

أقْدِمْ مِحَاجُ إنَّهُ يَوْمٌ نُــكُرْ   مِثْلي على مثلكَ يحـمي ويَـكُرّ

وكان عمرو بن عبد ودّ، يُقال له فارس يَلْيَل، ويليل اسم فرسه، وفيه قال مُسابعُ بن عُبد مناف الجُمحّي يرثيه:[6]

نفسى الفداءُ لفارسٍ من غالبٍ   لاقى حمامَ المــوتِ لم يتخلخلِ
أعني الذي قطع المِدادَ بمُهْرةٍ   طلباً لـثَأرِ معاشٍ لَم يـُخْـذلِ

---

[1] شرح ديوانه، ص 246، ط3، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة 2002م.
[2] الرسولي، ص290.
[3] المصدر السابق، ص 298.
[4] الرسولي، ص291
[5] المصدر السابق، ص331.
[6] ابن جُزي، ص 118. المِداد: المسافة الممتدة.

عَمْرو بن وُدٍّ كان أوّل فارسٍ جزع المداد وكان فــارس يَـلْيَلِ

ولما كثرت الفتوحات الإسلامية، وغصّتْ خزانة الإسلام بالغنائم، انتشرت الخيل في الأمصار، وكثرت عند الناس، وأصبح ثمنها بخساً، ويكفي أن نذكر ما قاله الجاحظ في ذلك:

" لو أردنا أن نحقّقَ الخبر بأن برذونًا أو فرساً بيع بخمسمائة دينار، لما قدرْنا عليــه إلا في حديث السَّمَر".[1]

وعلى الرغم من أن الرسول (ﷺ) أذن في لحوم الخيل يوم خيبر،[2] إلا أن أكلها لــم ينتشر، وذلك لأن في أكلها تقليل آلة الجهاد.[3]

لكنّ الحالة الاقتصادية التي كانت عليها البلاد الإسلامية، جعلت مــن لحــوم الخيل سوقاً رائجة، يرتادها الناس، ويحدّث الجاحظ بــذلك، قــائلاً: " فأمّــا لحــوم البراذين فقد كثرُ علينا وفينا، حتى أنِسْنَا به. وزعم بعضهم أنه لم يأكلْ أطيــب مــن رأس بِرْذَونٍ وسُرَّته. فأمّا السُّرَّةُ والمعْرَفة، وهي موضع العرف من الرأس، فــإنهم يزاحمون بها الجِداءَ والدَّجاج. ويقدِّمون الأسرامَ المحشوّة.[4]

---

[1] الحيوان، ج3، ص 212.

[2] أبو داود، كتاب الأطعمة، باب في أكل لحوم الخيل، الحديثان، 3788 و3789.

[3] انظر رأي الحنفية، الموسوعة الفقهية، ج5، ص139، ط4، دار الصفوة، مصر 1993م.

[4] الحيوان، ج4، ص45.

الفصل الثالث

الدراسة الموضوعية

1.3 الخيل في الحرب:

لم تكن الخيل كثيرة في الجزيرة العربية، فهي باهظة الثمن، وتحتاج إلى مال كثير أيضا للإنفاق عليها، ورعايتها والاهتمام بها، ولما كانت الخيل عنصراً حاسماً في الحروب، فقد كان ميزان النصر والهزيمة بكثرة ما تملك تلك القبيلة من خيول، "فظهور الخيل وترويضها لخدمة الإنسان كان من العوامل الحاسمة في سير التاريخ؛ لأن قيام كثير من الممالك القديمة كان رهنا بمدى اقتناء الخيول السريعة، أو بمدى معرفتها لوسائل استخدامها".[1]

لذا فإن الأعشى حين يمدح بكرا ووائل، يمدحهم بأنهم أصحاب الخيل، يقول:[2]

أهل القباب الحمر والـ ... نعم المؤبل والقنابل

كم فيهم من شطبة ... ومقلص نهد المراكل

ضخم الجزارة سابح ... عبل يضمر بالأصائل

وهم على جرد معا ... وير عليهن الرحائل

شعث يبارين الأسنة ... كالنعامات الجوافل

يخرجن من خلل ... الغبار عوابساً لحق الأياطل

كم قد تركن مجدلا ... من بين منقصف وجافل

والمتتبع لأيام العرب في الجاهلية ووقائعهم، يجد أن عدد الأفراس المستخدمة في تلك الأيام والوقائع قليل جدا، مع ما يطلقه الشعراء، في وصف خيول القبيلة، بل إن بعض الوقائع لا تتعدى بضع فرسان، يغيرون فجأة ثم يولون فارين، يصورهم الشاعر جيشا عظيما، يقتل الرجال، ويسوق النساء.

---

[1] نور القيسي، الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص11، ط2، مكتبة النهضة العربية، بيروت 1984م.

[2] ديوانه، ص349. القنابل: جمع قنبلة، وهي الجماعة من الخيل. الأياطل: جمع أيطل وهو الخاصرة.

وعلى كل حال فإن الشعراء الجاهليين كثيراً ما يصورون تلك الخيول المقربة من خيامهم، ويفتخرون بها، وفي الوقت نفسه يخوفون بها أعداءهم، يقول الأعشى:[1]

وترى الجياد الجرد حول بيوتنا موقوفة وترى الوشيج مسندا

ويفتخر الأخنس بن شهاب بكثرة خيولهم، المقربة، يقول:[2]

ترى رائدات الخيل حول بيوتنا كمعزى الحجاز أعجزتها الزرائب

أما حسان بن ثابت فإنه يدافع عن الرسول(ص) ويفاخر وفد تميم، ويهدد الوفد بالخيول المربوطة حول بيوتهم، يقول:[3]

وإلا أبحناكم وسقنا نساءكم بصم القنا والمقربات الصلادم

والجاهلي يعد الفروسية من الخصال الحميدة التي يجب أن يتمتع، ويدافع بها عن كرامته وعرضه وأخلاقه، بل هي عنده دفاع عن شرف الآخرين وكرامتهم، وبها يتبوأ المكانة الاجتماعية في قبيلته؛ لهذا كله نرى الشاعر دائما ما يفتخر بفروسيته، يقول طرفة:[4]

وكري إذا نادى المضاف محنبا كسيد الغضا، نبهته، المتورد

والخيل تمنع وتحمي الضيف أيضا، يقول الأعشى:[5]

ويمنعه يوم الصياح مصونة سراع إلى الداعي تثوب وتركب

وتهب لنصرة المستغيث، يقول طرفة:[6]

قدما تنضو إلى الداعي إذا خلل الداعي بدعوى ثم عم

وبناء المجد، وطلب الثأر، يتطلبان وسيلة لتحقيقهما، والخيل أفضل وسيلة لتحقيق ذلك، يقول خفاف بن ندبة:[7]

---

[1] ديوانه، ص233.

[2] تغلب، شعرها في الجاهلية، تحقيق، أيمن محمد ميدان، ص122، معهد المخطوطات العربية، القاهرة 1995م.

[3] ديوانه، ص237.

[4] ديوانه، ص33.

[5] ديوانه، ص203.

[6] ديوانه، ص114.

[7] شعره، ص64.

وقفت له "علوى" وقد خام صحبتي　　لأبنـــي مجــدا أو لأثار هالكــا

وكان من مذاهب بعضهم أنهم يعقرون خيولهم ويكسرون سيوفهم، إذا وجدوا في أنفسهم الذل، ولم يجدوا من يقودهم لأخذ ثأرهم، كما حدث مع قبيلة تغلب حــين قتل سيدها كليب،[1] قالت أمامة بنت كليب تخاطب عمها المهلهل ليثأر من قاتل أخيه، بعدما رأت تخاذله عن ذلك:[2]

وعقرت الخيول عليه جهرا　　فكم من أجرد نهــد عقيــر

ولعل الخيل من أكثر أدوات الحرب بروزا، في الشعر الجاهلي، على الــرغم من ندرتها عند القبائل العربية، فقد ظلت العنصر الفعال في تحديد مصير المعركة. وقد أدرك العرب هذا، فحصنوا خيامهم وعيالهم بنواصي الخيل، وقد قال أحدهم: إن أبي أوصى بثلث ماله في الحصون. فقيل له: اذهب فاشتر به خيلا. فقال: إنه إنمـا ذكر الحصون! قال: أما سمعت قول الأسعر الجعفي: [3]

ولقد علمت على تجنبي الردى　　أن الحصون الخيل لا مدر القرى

ويصور الشعراء – عادة – خيلهم بجميع الإمكانيات الفعالة لخوض الحرب، كأنموذج مثال لما يجب أن تكون عليه الخيل في الحرب، ومن هؤلاء المــزرد بــن ضرار الذبياني، يصور خيله في عشرين بيتا، منها:[4]

وعندي إذا الحرب العوان تلقحت　　وأبدت هواديها الخطوب الزلازل
طوال القرا قد كاد يذهب كاهــلا　　جواد المدى والعقب والخلق كامل
متى ير مركــوبا يقل باز قانص　　وفي مشيه عنــد القيــاد تســاتل
تقول إذا أبصرتــه وهــو صائم　　خباء على نشــز أو السيد مــاثل
يرى طامح العينين يرنو كأنــه　　مؤانس ذعر فهــو بالأذن فــاتل
وقلقلته حتــى كــأن ضلوعــه　　سفيف حصيــر فرجتــه الروامل
له طحر عوج كــأن مضيغهــا　　قداح براها صانــع الكــف نابل

---

[1] محمد جاد المولى وآخرون، ص150.

[2] تغلب، شعرها، ص217. تذهب الدراسة إلى أن هذه الفكرة، هي ممارسة ميثولوجية. انظر: الفصل الثاني من الباب الأول، ص67.

[3] الجاحظ، الحيوان، ج1، ص345.

[4] المفضليات، ص95-96.

وصم الحوامي ما يبالي إذا جرى أوعث نقا عنت له أم جنادل

يرسم الشاعر صورة الخيل المثال للحرب، فلا بد أن تكون طويلة الظهر، عريضة الكاهل، تجري بسرعة كأنها في حلبة السباق، ثم يشبهها بصقر الصيد الذي تعود وتمرس على هذا النوع من الصيد، فتجده نشطا، سريعا في انقضاضه، إذا ما هوى على فريسته، وكذلك فإنها – إذ رأيتها قائمة – مرتفعة ارتفاع الخباء القائم على أعمدته، أو كالذئب الذي يستعد في نهوضه للهجوم على الفريسة، ومن ثم يصف الشاعر عيني الفرس وأذنيها، أي أنه يتحدث عن الرؤية والاستماع، فعينا الفرس شبيهتان بهذا الطامح الذي يرنو ببصره إلى الأعلى، ويستمع إلى شيء يحذره، دليلا على تفطنه وانتباهه. وقد أكثر الشاعر من دفع هذه الخيل في الحروب، حتى غدت ضلوعها كالحصير الذي نسجته النساء. فتراها ضامرة، تدوس بحوافرها الصلبة السهل من الأرض والوعر.

أما عنترة بن شداد، فإنه يرسم لحصانه صورةً مثالاً من الطبيعة والإنسان، يقول:[1]

ولرب مشعلة وزعت رعالها بمقلص نهد المراكل هيكل

سلس المعذر لاحق أقرابه متقلب عبثا بفأس المسحل

نهد القطاة كأنها من صخرة ملساء يغشاها المسيل بمحفل

وكأن هاديه إذا استقبلته جذع أذل وكان غير مذلل

وكأن مخرج روحه في وجهه سربان كانا مولجين لجيأل

وكأن متنيه إذا جردته ونزعت عنه الجل متنا أيل

وله حوافر موثق تركيبها صم النسور كأنها من جندل

وله عسيب ذو سبيب سابغ مثل الرداء على الغني المفضل

سلس العنان إلى القتال فعينه قبلاء شاخصة كعين الأحول

وكأن مشيته إذا نهنهته بالنكل مشية شارب مستعجل

فعليه أقتحم الهياج تقحما فيها وأنقض انقضاض الأجدل

---

[1] ديوانه، ص259-262.

فكما كان يصور الفنانون الآشوريون خيولهم أمام المشاهدين للتأثير عليهم بعظمة الفاتح، يفعل عنترة الفعل نفسه، فيستخدم شعره، للتأثير على الأعداء بعظمة خيله وقوتها، إذ لا جدوى من مقاومة فارس يمتلك ناصية خيل كهذه.

لقد تجهز عنترة للحرب بخيل، يلين عنانها عند الكر، تنشط ساعة الحرب، مقعد مردفها صلب، أملس كالصخرة يجري عليها الماء، طويلة العنق، سابغة العرف والناصية وكأن منخريها من سعتهما حجرا ضبع، وظهرها حين تنزع عنه الرداء، كظهر الناقة في استوائه وامتلائه، وحوافرها صلبة كالحجارة، وذنبها طويل الشعر، كرداء الغني في سبوغه وكماله، وهي فضلا عن هذا، لينة العطف إن عطفتها، ازورت عيناها لعزة نفسها ونشاطها، وترى مشيتها حين تزجرها كمشية السكران يضطرب يمينا وشمالا لنشاطها وتبخترها.

وكانوا يستحبون فحول الخيل في الصفوف والحصون والسير والعسكر ولما ظهر من أمور الحرب.[1] ونرى الأعشى يمدح هوذة بن علي الحنفي، قائلا:[2]

وأعددت للحرب أوزارها　　　رماحا طوالا وخيلا ذكورا

فالممدوح يستخدم فحول الخيل للحرب، إلا أن بعضهم كان لا يقاتل إلا على أنثى، ذلك لأنها أقل صهيلا من الفحل،[3] لذا نجد أكثر خيولهم من الإناث، كـ "ثادق" و "المجنحة" و "فياض" و "العرادة" و "النعامة" وغيرها من الخيول،[4] وكانوا إذا ما انطلقوا إلى الغارة جنبوا خيولهم وأراحوها، حتى إذا وصلوا قرب أرض المعركة، واستعدوا لها ركبوا خيولهم، يقول حسان بن ثابت:[5]

له خيل مجنبة تعادى　　　بفرسان عليها كالصقور

ويقول عامر بن الطفيل:[6]

---

[1] جواد علي، ج5، ص446.

[2] ديوانه، ص99.

[3] جواد علي، ج5، ص446.

[4] انظر: الرسولي، ص313 و ص329 و ص328 و ص327 و ص307.

[5] ديوانه، ص245.

[6] عامر بن الطفيل، ديوانه، تحقيق: أنور أبو سويلم، ص226، ط1، دار الجيل، بيروت 1996م.

مجنبة قد لاحها الغزو بعدما تباري مراخيها الوشيك المقوما

ويصور النابغة الإبل التي يقرن بها الخيل محملة بالناس والسلاح، والدروع، يقول:[1]

مقرنة بالعيـس والأدم كالقطا عليها الخبور محقبات المراجل

وكل صمـوت نثلـة تبعيـة ونسج سليـم كل قضـاء ذائل

كما يصور الأعشى تلك الجمال التي تحمل الدروع والأسلحة، عند الإغارة أو السير الى الحرب، يقول:[2]

ودروع من نسج داوود في الحر ب وسـوق يحملن فوق الجمال

ويتحدث الأعشى عن بياتهم ليلة الإغارة، وعن الرواة الذين يقومون علـى عنايـة الخيل، والإبل المحملة بالعتاد:[3]

وتقواده الخيـل حتـى يطو ل كـر الـرواة وإيغـالها

إذا أدلجـوا ليلـة والـركا ب خوص تخضخض أشوالها

وإذا ما انطلقت خيولهم نحو المعركة صوروا سـرعتها ونـشاطها، يقـول طفيـل الغنوي:[4]

كأن سـدا قطـن النـوادف خلفها إذا استودعتـه كل قـاع ومذنـب

إذا هبطـت سهـلا كـأن غبـاره بجانبه الأقصـى دواخـن تنضب

وهصن الحصى حتى كأن رضاضه ذرى بـرد مـن وابـل متحلـب

يبـادرن بالفـرسـان كـل ثنيـة جنوحا كفـراط القطا المتسـرب

إذا انصرفت مـن عنـة بعـد عنة وجـرس على آثارها كالمـؤلب

تصانع أيديهـا السريـح كـأنهـا كلاب جميع غرة الصيف مهرب

فالشاعر يصور سرعة خيله ونشاطها، وما تثيره من غبار في مسيرها نحـو المعركة، وقوة حوافرها التي تحطم الحصى في طريقها، كما يصور سـيرها فـي

---

[1] ديوانه، ص200- 201.

[2] ديوانه، ص11.

[3] المصدر السابق، ص167، وانظر الخيل المجنبة: زهير بن أبي سلمى، شرح شعره، ص121، وحسان بن ثابت، ديوانه، ص245. والنابغة الذبياني، ديوانه، ص51 و ص199.

[4] ديوانه، 25-27.

سفوح الجبال، تحمل الفرسان، وتعطف بهم في ساحة المعركة كأنها كلاب صيد هاربة.

ويصور بشر بن أبي خازم سرعة الخيل المغيرة في بيت واحد، قائلا:[1]

على شعث تخب على وجاها   كما خبت مجوعة ضراء

والكلب المجوع المعتاد على الصيد، هو أسرع كلاب الصيد وأشرسها.

ومن سرعة الخيل أن المهار والأفلاء لا تتمكن من متابعة أمهاتها، قال الأفوه الأودي:[2]

نحن قدنا الخيل حتى انقطعت   شدن الأفلاء عنها والمهار

أما العباس بن مرداس، فيصور الغبار الذي تثيره في طريقها نحو المعركة، يقول:[3]

زرنا غداتئذ هوازن بالقنا   والخيل يغمرها عجاج يسطع

وكذلك يصور الجيش ببحر، أمواجه من الخيل، تثير الغبار خلفها، يقول:[4]

وسرنا كموج البحر تطمو سيوله   بخيل تراها في العجاجة تمزع

والخيل تشعر بالغارة قبيل وقوعها، وتحذر صاحبها بصهيلها.[5]

وفي المقابل نجدهم يخصون الخيل بقلة صهيلها ليلة البيات، إذا أكمنوا الكمناء أو كانوا هرابا.[6]

ومن عادتهم أنهم يسقون الخيل قبل الغارة بعض الشرب، ويراق ما بقي من الماء. ليقاتل المقاتلون على ماء العدو.[7]

ويذكر الأعشى هذه العادة الحربية، بقوله:[8]

حتى إذا لمع الدليل بثوبه   سقيت وصب رواتها أشوالها

---

[1] ديوانه، ص6.

[2] ديوانه، ص77.

[3] ديوانه، ص 100.

[4] ديوانه، ص101.

[5] أنظر: محمد جاد المولى وآخرون، ص238.

[6] الجاحظ، الحيوان، ج1، ص132.

[7] انظر: جاد المولى وآخرون، ص238.

[8] ديوانه، ص31.

وكثرة الماء يضر بالخيل في الحرب، ولا تستطيع العدو بسرعتها المعتادة.

وفي أيام العرب يروى أن الكلحبة اليربوعي، قد سقى فرسه "العرادة" ملء الحوض ماء، وحين جاء النذير، لم يستطع اللحاق بخصمه، فقال في ذلك معتذرا:[1]

فإن تنج منها حزيم بن طـارق   فقد تركت ما خلـف ظهرك بلقعا
ونادى منادي الحي: أن قد أتيتم   وقد شربت ماء المـزادة أجمعـا
وقلت لكأس: ألجميهـا فإنمـا   نزلنا الكثيـب مـن زرود لنفزعا
فأدرك إبقاء العـرادة ظلعهـا   وقد جعلتنـي من حزيمة إصبعا

وكانت غارتهم صباحا، يداهمون بها أعداءهم، والعرب تقول إذا نذرت بغارة من الخيل تفجؤهم صباحا: يا صباحاه: ينذرون الحي أجمع بالنداء العالي. ويـسمون يوم الغارة يوم الصباح، لأنهم أكثر ما يغيرون عند الصباح،[2] والناس نيـام، يقـول عمرو بن كلثوم:[3]

صبحناهن عن عرض تميما   وأتلف ركضنـا جمـع الرباب
فأفنينـا جموعـهـم بثـأج   وكـرت بالغنـائـم والنهـاب
فكم عفرن من وجه كريـم   غـداة لقيتهـم والنقـع كـاب

ويقول في تصبيحهم العدو بالخيل المغيرة:[4]

صبحناهن حـراب بن قيس   وجعدة من بني كعب بن عمرو

وفي قصيدة أخرى يشير إلى الغارة الصباحية، بقوله:[5]

صبحناهن يوم الأتم شعثا   فراسا والقبائـل من غفار

بينما نجد النابغة الذبياني يصف هذه الغارة الشعواء، فيقول:[6]

وغـارة ذات أظفـار ململمـة   شعواء تعتسف الصحراء والأكما
خيل صيـام وخيل غير صائمة   تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما

---

[1] المفضليات، ص31-32. انظر: القصة: محمد جاد المولى وآخرون، ص182-183.

[2] التاج، ج6، مادة صبح، تحقيق حسين نصار، الكويت 1994م.

[3] ديوانه، ص27.

[4] المصدر السابق، ص45.

[5] نفسه، ص48.

[6] ديوانه، ص222-223.

قود براها قياد الشعث فانهدمت   تنكى دوابــرها محــذوة خدمــا

أقدمتها ونواصي الخيل شاجبة   جرداء عجلزة أرمي بهــا قدمــا

كما نجد الغارة الصباحية عند الأفوه الأودي أيضا، يقول:[1]

هم صبحوا أهل الطفاف وسربة   بشعث عليها المصلتون المغاور

ومن عادة بعضهم قبل الحرب أن يجزّ ناصية فرسه، ويهلب ذنبها؛ طلبا للثأر كما حدث مع الحارث بن عباد مع فرسه النعامة يوم تحلاق اللمم، حين جز ناصـية فرسه.[2]

فلما بلغ المهلهل فعل الحارث، دعا بفرسه المشهر وفعل بــه مـا فعلــه الحــارث بالنعامة.[3]

أما صورة الخيل في المعركة فقد برزت كثيرا عند شعراء الجاهلية، لا سيما وهم يمضون بخيلهم يشقون غبار المعركة، وتسيل دماء الأعداء على نحورها، يقول عنترة:[4]

ولقيت في قبل الهجيــر كتيبــة   فطعنــت أول فــارس أولاهــــا

وضربت قرني كبشهـــا فتجدلا   وحملت مهري وسطها فمضـــاها

حتى رأيت الخيل بعــد سوادها   حمر الجلود خضبن من جرحاها

والخيل أهم من الرمح والسيف في القتال، يضرب بها الفارس أعداءه في المعركــة، يقول نعيم بن عتاب:[5]

وما زلت أرميهم بثغرة نحره   وفارسه حتى ثأرت ابن واقد

ويصور بشر بن أبي خازم الخيول المقاتلة في المعركة، حتــى نهايتهــا، ومنظــر الصرعى الذين تطوف بهم هذه الخيول، يقول:[1]

---

[1] ديوانه، ص80. وانظر: عامر بن الطفيل، ديوانه، ص306. والأعشى، ديوانه، ص261. والمهلهل (عدي بن الربيعة بن الحارث): ديوانه، تحقيق أنطوان محسن القوال، ص92، ط1، دار الجيل، بيــروت 1995م. وزيــد الخيل، زيد بن المهلهل بن يزيد الطائي، ديوانه، تحقيق نوري القيسي، ص53 وص96، مطبعة النعمان، العراق.

[2] انظر: محمد جاد المولى وآخرون، ص35.

[3] الجزائري، نخبة عقد الأجياد، ص35.

[4] ديوانه، ص306-307.

[5] بنو تميم، شعرهم، ص235.

غدون عليهم بالطعن شزرا   إلى أن ما بدت ذات الشعاع

فكم غادرن من كاب صريع   تطيف بشلوه عرج الضباع

والصورة نفسها تتكرر، صورة الخيل التي تصبح مقاتلة، تردس الأعداء، حتى تمتلئ أرض المعركة جثث الأعداء، فتأكل السباع منها، يقول دريد بن الصمة:[2]

ردسناهم بالخيل حتى تملأت   عوافي الضباع والذئاب السواغب

وليس ذلك فحسب، بل إن الخيل تصبح رمزا للموت، كما كانت رمزا له عند بعض الأمم في الحضارات القديمة، ويكفينا تتبع بعض الأبيات الشعرية التي تصور الخيل، بهذه الرمزية، إلا أنه ليس معنى ذلك أن من تطأهم الخيل، هم أحياء في الحقيقة، فالشعر الجاهلي يتحدث عن الصرعى والقتلى الذين تطأهم الخيل بحوافرها، ولربما كان في الصريع رمق من الحياة، فتجهز عليه الخيل، ولكن ذلك لا يحدث إلا في اشتداد المعركة وارتفاع غبارها، فلا تميز في هذا المأزق الشديد بين الحي والميت، ونجد العباس بن مرداس يصرح بذلك عندما يعلن أن فرسه يوطىء بها من يريد ومن لا يريد، يقول:[3]

فأوطئ من تريد بني سليم   بكلكلها ومن ليست تريد

أما السفاح بن خالد، فهو يصور هذه الخيل التي تطأ الأعداء وتعثر في دمائهم، يقول:[4]

يعثرن في علق النجيع وتارة   وسط العجاج يطأن من صرعاها

أما عنترة بن شداد فهو لا يصور فرسه يعثر في الغبار بالقتلى، وإنما يعثر في دماء القتلى التي ارتوت الأرض منها، يقول:[5]

يعثرن في نقع النجيع جوافلا   ويطأن من حمي الوغى صرعاها

---

[1] ديوانه، ص111.

[2] ديوانه، ص29.

[3] ديوانه، ص53.

[4] الشمشاطي(أبو الحسن علي بن محمد بن المطهر العدوي(380هـ/ 990م): الأنوار ومحاسن الأشعار، تحقيق صالح مهدي العزاوي، ص117، ط2، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد 1987م.

[5] ديوانه، ص307.

بل إن المهلهل تنتعل فرسه دماء الأعداء في ساحة المعركة، من كثرة القتلى، يقول:[1]

لم أرم عرصة الكتيبة حتى   انتعل الورد من دماء نعالا

وهكذا يصرح بعضهم بأنه قد عود فرسه على إبطاء القتلى في ساحة المعركة، كما يقول زيد الخيل:[2]

عودوه كالذي عودته   دلج الليل وإيطاء القتيل

بل إن بعضهم لا يغادر عرصات العدو، حتى يبيل خيله فيها، والبول تعبير رمزي عن احتقار العدو وإهانته، دليلا على استقرارها في أرض العدو دون أن ينازعها أحد، أو يتجرأ على إخافتها؛ لعزها وكثرتها، يقول عامر بن الطفيل:[3]

نحن قدنا الجياد حتى أبلنا   ها بثهلان عنوة فاستقرت

ويقول في قصيدة أخرى:[4]

ولقد أبلت الخيل في عرصاتكم   وسط الديار بكل خرق محرب

ولكن الخيل مثلها مثل الفارس، قد تحجم في المعركة، لشدة هول الحرب، وما تشاهده من لظى نيرانها، فتوصف بأنها شكسة القياد.

وربما قتلت الفرسان بالحران مرة، وبالإقدام مرة، وبسوء الطاعة وشدة الجزع، وربما شب الفرس بفارسه حتى يلقيه بين الحوافر والسيوف، للسهم يصيبه والحجر يقع به.[5]

وترد عند دريد بن الصمة صورة هذه الخيل، بقوله:[6]

أعاذل عدتي بدني ورمحي   وكل مقلص شكس القياد

---

[1] ديوانه، ص66.

[2] ديوانه، ص94.

[3] ديوانه، ص162.

[4] المصدر السابق، ص194.

[5] الجاحظ، الحيوان، ج7، ص183.

[6] ديوانه، ص60.

وكثيرا ما نجد عند الشعراء وصف الخيول السواهم في الحرب، والعابسات الوجوه، يقول العباس بن مرداس:[1]

سواهم كالقـــداح مسومـــات   وكمتا لونها كالورس صاف

أما عنترة فيصور الخيول السواهم داخل المعركة، ملاحظا ما تعانيـــه الخيـــل مـــن خلال وجهها، يقول:[2]

والخيل ساهمة الوجوه كأنما   تسقى فوارسها نقيع الحنظل

بل إن الخيل تقشعر، إذا حمي وطيس المعركة، وترعد كما يرعـــد الإنـــسان، مـــن خطب ما ترى، يقول سيار بن قصير الطائي:[3]

ولاحقـــة الآطال أسنـــدت صفهـــا   إلى صف أخرى من عدى فاقشعرت

أما زيد الخيل فقد عوّد فرسه على الحرب، وهذه العادة – بطبيعة الحال – تجعله لا يخاف، ولا يحجم، ويقول:[4]

أبت عادة للورد أن يكره الوغى   وحاجة رمحي في نمير وعامر

ولعل هذا الإحجام أحيانا من الخيل، هو الذي يجعل الفـــارس يزجرهـــا فـــي المعركة، ويحدثها حديث الصاحب لصاحبه، فالمعركة تعنـــي الحيـــاة أو المـــوت، والصاحب يعرف مواقف الشدة، والفرس تعرف أصالتها وقيمتها حين تحمر السماء بنيران الحرب، وتبرق بسيوفها، ولا يجد الفارس بدا من زجر خيله، وحثهـــا علـــى الإقدام، وكما قال الأخنس بن شهاب التغلبي لفرسه "زيم":[5]

هذا أوان الشد فاشتدي زيم

ويصف الأعشى الخيول التي تتقدم مسرعة نحو المعركة، بعد سماعها الزجر مـــن فرسانها، يقول:[6]

---

[1] ديوانه، ص117.

[2] ديوانه، ص252.

[3] حماسة المرزوقي، ج1، ص164. وانظر: المهلهل، ديوانه، ص51. والأعشى، ديوانه، ص303و ص349. وعامر بن الطفيل، ديوانه، ص303 وص305 وص390. وبنو تميم،شعرهم، ص426.

[4] ديوانه، ص67.

[5] تغلب، شعرها، ص128.

[6] ديوانه، ص79.

إذا ما سمعن الزجر يممن مقدما   عليها أســود الزارتين الضراغم

وحديث الفارس مع خيله يكثر في المعركة، يحثها على الإقدام وعدم الإحجام، يقول الأعشى:[1]

وتسمع فيها هبي واقدمي   ومرسون خيل وأعطالها

والخيل تعرف حديث الفارس، وتفهم لغة الزجر والحث، حــين تــشتجر الرمــاح، ويحمى وطيس المعركة، يقول المخبل السعدي:[2]

وإنا أناس تعرف الخيل زجرنا   إذا مطرت سحب الصوارم بالدم

وتحت هطول الدماء، تشتد معاناة الخيل، ويصور الشعراء الجاهليون، معاناة الخيــل وهي تنتعل الدماء، وتعثر بالقنا المتكسر، يقول عامر بن الطفيل:[3]

نحمي حمانا إذا ما الخيل شمصها   حــر الأسنــة والرمــاح تختلــف

ويقول عنترة:[4]

فيها الكماة بنو الكماة كأنهــم   والخيل تعثر في الوغى بقناها

والصورة نفسها متكررة عند المهلهل، إذ يقول:[5]

ولقد سبقت سراتهم في مأزق   والخيل تعثر في القنا وتعبس

بل إن زيد الخيل يصر على إقدام فرسه، بالرغم من الرماح التي تختــرق صـــدره، يقول: [6]

إذا شك أطراف العوالي لبانــه   أقدمه حتى يرى الموت أسودا

وليس أدل من هذه المعاناة، إلا تلك الدماء التي تخضب بها الخيــل وكأنهــا قــلادة طوقها بها فارسها من دماء الأعداء، يقول عنترة:[7]

أكر عليهم مهري كليمــا   قلائـــده سبــائب كالقــرام

---

[1] المصدر السابق، ص167.

[2] بنو تميم، شعرهم، ص125.

[3] ديوانه، ص375.

[4] ديوانه، ص304.

[5] ديوانه، ص47.

[6] ديوانه، ص44.

[7] ديوانه، ص244.

كأن دفوف مرجع مرفقيه   توارثهــا منــازيع السهام

ويذكر عمرو بن كلثوم هذه الخيول التي تدمى كلاها، من دماء الأعداء، فيقول:[1]

نقود الخيل دامية كلاهــا   إلى الأعداء لاحقة بطونا

وقد تُطعن الخيل في إحدى رجليها فتنخذل؛ ليتمكن من صاحبها، وفي يوم "طخفــة" ضرب طارق بن ديسق فرس قابوس فعقره وأسره، وفي هذا يقول متمم بن نويرة:[2]

ونحــن عقرنــا مهر قابوس بعدما   رأى القوم منه الموت والخيل تلحب

وقد تُستلب من فارسها، كما حدث مع زيد الخيل.[3]

ولكنها وكما قال عمرو بن الأهتم:[4]

معودات جراحات الخدود إذا   كان اللقاء وطعنا في مآقيها

حتى تراها أسابي الدماء بها   كأنما كسيت حبرا هواديهــا

وكم من خيل أنجت صاحبها، بعد أن كاد يقع في أيدي الأعداء، حــين لحــق بقبيلته الهزيمة، ففر من فر، وقتل من قتل، وقــد نجــا "الحــوفزان" علــى فرســه "الزعفران" في يوم "جدود"،[5] ونجا قعنب بن الحارث في يوم المروت على الفــرس البيضاء،[6] وأفلت إياس بن قبيصة، في يوم ذي قار بفرسه "الحمامة".[7]

ويعدون الفرار من المعركة خزيا وعارا، يذكّرون به أعداءهم، ويهجونهم به، ونجد زيد الخيل يخاطب بني عامر، ويعير أحد فرسانهم بالفرار والنجاء بفرسه: [8]

ونجاك يا ابن العامرية سابح   شديد النسا والقصرتيــن نجيب

إذا قلت قد أدركت فابسط عنانه   تجــرد سيــد اسلمتــه غيــوب

---

[1] ديوانه، ص84. وانظر: النابغة الذبياني، ديوانه، ص47. وسلامة بن جندل، ديوانه، ص191. وعنترة بن شداد، ديوانه، ص307.

[2] ابو عبيدة، النقائض، ج1، ص54-55. ومحمد جاد المولى وآ خرون، ص97.

[3] انظر: ديوانه، ص93.

[4] بنو تميم، شعرهم، ص174.

[5] انظر: محمد جاد المولى وآخرون، ص179.

[6] انظر: المصدر السابق، ص375.

[7] الأصفهاني، ج24، ص70. وانظر: محمد جاد المولى وآخرون، ص33.

[8] ديوانه، ص31-32.

وما زال زيد الخيل يذكرهذا الفرس الذي نجى صاحبه، ولـم يـستطع الـشاعر أن يدركه، يقول:[1]

لـو لـم يفتنـي العامـري لنالـه بـوادر تغشى من عروق نواعر
أعلقـم لا تكفـر جـوادك بعدمـا نجا بك من بين المنايا الحواضر
ونجاك يوم الروع إذ حضر الوغى مسـح كفتخـاء الجناحين كاسر

ونجت الخيل "شتير بن خالد"، من عامر بن الطفيل، ويفتخر ابـن الطفيـل بـذلك، قائلاً:[2]

تركـت صريعا بالعراء مجدلا ضبيعة إذ نجى شتير بن خالد
طمر، وزيد الخيل قد نال طعنة إذ المرء زيد جائر غير قاصد

وفي المقابل ينجو عامر بن الطفيل بفرسه "قرزل" في يوم ذي نجب،[3] ويعيـره أوس بن حجر بذلك، ويمدح فرسه "قرزل"، قائلا:[4]

والله لـولا قرزل إذ نجا لكان مثوى خدك الأخرما
نجـاك جياش هزيم كما أحميت وسط الوبر لميسما

ويخاطب عمرو بن الأسود خصمه، بعد أن نجا به المهر، وأنقذه من الموت، يقول:[5]

نجاك مهر ابني حـلام منهـم حتى اتقيت الموت بابني حذيم
فنجوت من أرماحهم من بعد ما جاشت إليك النفس عند المأزم

وهكذا كانت صورة الخيل في الحرب، تخوض غمـار المعركـة، وتواجـه الموت، فتطأ القتلى، وتنجي الفرسان، فتخلد في أشعار العرب، كأي فرد في القبيلة، له دوره البارز في رفع المستوى العسكري والاقتصادي لقبيلته.

2.3 الخيل في الصيد:

عرف الإنسان الحيوان وروضه، حاول أن يسخره في شتى جوانب حياته، لا سيما الخيل منها التي ساهمت في كثيـر مـن الجوانـب العـسكرية والاقتـصادية

---

[1] ديوانه، ص68.
[2] ديوانه، ص277-278.
[3] محمد جاد المولى وآخرون، ص366.
[4] ديوانه، ص113-114.
[5] بنو تميم، شعرهم، ص426-427.

والاجتماعية في الحضارات القديمة والمتأخرة، وظهرت الخيل عند الإنسان وسيلة من وسائل الصيد، التي يدفع بها الإنسان القديم جوعه وفاقته، وأظهرت الرسوم الفنية القديمة، كثيرا من مناظر الصيد.

واستخدم " خسرو برويز" الحصان في الصيد بالسهول لأنه يمكنه اللحاق بالحيوانات، وكان الصيد، يميل نحو الأبهة والعظمة ومقصورا على الملوك والعظماء. كما كانت أماكن الصيد آنذاك محدودة، والحاضرون يركبون الخيل ويشغلون بالصيد والشراب.... .[1]

وفي الجزيرة العربية[2] "كان الصيد لهوا محببا لنفوس الصفويين من مطاردة غزال أو بقر الوحش وغيرها، وهناك حجر محفوظ في متحف اللوفر يمثل صيد أسد: يرى فيه الحيوان، يطارده رجال، يسيرون على الأقدام، وقد تسلحوا بالأقواس والتروس المستديرة، ورجال يركبون الخيل يهزون الرماح بأيديهم"[3]

ولعل هذه الطريقة من الصيد مرت بمراحل قبل أن نشاهد الصيد على ظهور الخيل، أي قبل استئناس الخيل وترويضها، حتى "وصلت عند العرب في العصر الجاهلي إلى قدر كبير من التفصيل والتفنن".[4]

ولم يكن الصيد عند العرب لدفع الجوع والفاقة دائماً، وإنما كان رياضة يمارسها الملوك والعامة، وبلغ من شغف بعض ملوكهم بها، أنه خرج يوماً يتصيد فرأى جماعة من حمر الوحش فشد عليها، وانفرد منها حمار فتبعه، وأقسم ألا يأكل شيئا قبل كبده، وكاد يموت من الجوع، حتى أدرك الحمار، ثم شوي على النار، فأطعم من كبده وهي حارة، فمات.[5]

---

[1] احمد كمال الدين حلمي، م16، ع1، ص111.

[2] انظر ممارسة الصيد في الجزيرة العربية، ما عثر في منطقة الجوف / سكاكا: عبد الرحمن الكباوي وآخرون، ع10، ق2، ص106، أطلال، السعودية 1986م. وحامد إبراهيم ابو درك،ع13، ق2، ص50، أطلال، السعودية1990م.

[3] رينه ديسُو، العرب في سوريا قبل الإسلام، ترجمة، عبد الحميد الدواخلي، ص108، لجنة التأليف والترجمة والنشر 1959م.

[4] لطفي عبد الوهاب يحيى، العرب في العصور القديمة، مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص15، ط2، دار المعرفة الجامعية، مصر 1979م.

[5] محمد جاد المولى وآخرون، ص46.

وكان امرؤ القيس – وهو ابن الملوك – إذا صادف غديرا أو روضة أو موضع صيد أقام فذبح لمن معه في كل يوم، وخرج إلى الصيد فتصيد، ثم عاد فأكل وأكلوا معه، وشرب الخمر وسقاهم، وغنتهم قيانه.[1]

بيد أن بعض العرب كان يتخذ من الصيد وسيلة لسد جوعه وكسب معاشه، حيث لا قدرة له على الغزو والنهب والسلب بحد السيف، ويصور الحطيئة بعض هؤلاء حين نزل عندهم ضيف، فلم يجدوا ما يطعمونه، سوى أن يقتنصوا له حمار الوحش، لينقذوا أنفسهم من العار الذي سيلحقهم فيما إذا بات ضيفهم جائعا، ولم يجد ما يستضاف به، ويتحدث الحطيئة عن هذه الأسرة الفقيرة، التي ظهر البؤس بمحياها، وسكن الجوع بطنها، فصور الشاعر قلق رب الأسرة، دليلا على الاهتمام بالضيف ورعايته، ويدور هذا الحوار بينه وبين ابنه، يقول:[2]

وطاوى ثلاث، عاصب البطن مرمل   بتيهاء لم يعرف بها ساكن رسما
أخي جفوة من الإنس وحشة   يرى البؤس فيها من شراسته نعمى
وأفرد في شعب عجوزا إزاءها   ثلاثة أشباح تخالهم بهما
رأى شبحا وسط الظلام فراعه   فلما بدا ضيفا، تسور واهتما
فقال ابنه، لما رآه بحيرة   أيا أبت اذبحني! ويسر له طعما
ولا تعتذر بالعدم عل الذي طرا   يظن لنا مالاً فيوسعنا ذما
فروى قليلا، ثم أحجم برهة   وإن هو لم يذبح فتاه فقد هما

وجاء ما يبدد حيرته، وينقذه من مصيبته، فإذا بحمار وحشي يعرض عليه، مكتنز اللحم، فرماه، فاصطاده وذبحه، ويسر لضيفه ولنفسه وأسرته الطعام، يقول:[3]

فبينا هما عنت على البعد عانة   قد انتظمت من خلف مسحلها نظما
عطاشا تريد الماء فانساب نحوها   على أنه منها إلى دمها أظما
فأمهلها حتى تروت عطاشها   فأرسل فيها من كنانته سهما
فخرت نحوص ذات جحش سمينة   قد اكتنزت لحما وقد طبقت شحما
فيباشره إذ جرها نحو قومه   ويا بشرهم لما رأو كلمها يدمى

---

[1] محمد جاد المولى، ص116.
[2] الحطيئة، ديوانه، ص337.
[3] المصدر السابق، ص338.

فباتوا كراما قد قضوا حق ضيفهم   فلم يغرموا غرما، وقد غنموا غنما

وبات أبوهم من بشاشته أبا   لضيفهم والأم من بشرها أما

غير أن عرب الجاهلية يأنفون من حرفة الصيد هذه، ويرون فيها الخنوع والذلة، لأن محترفيها لا يستطيعون أن يركبوا ظهور الخيل للغزو أو أن يمسكوا السيوف ليسدوا بها باب الفقر، بينما يرى أحدهم أن الصيد عند العرب وسيلة من وسائل العيش.. إذ إن غذاءه كان مرهوناً بمقدار ما يصيد ويأسر، فكان زاده الوحيد.[1]

وعلى كل حال فقد كان للعرب عادات وطقوس في ممارسة الصيد، منها أنهم " كانوا إذا أرسلوا الخيل للصيد، فسبق واحد منها، خضبوا صدره بدم الصيد علامة له".[2]

وأما شعراؤهم في الجاهلية فكان من عادتهم أنهم إذا أرادوا وصف الصيد، قدموا وصفا للطبيعة أو الروضة التي أصابها الغيث، كما عند زهير بن أبي سلمى:[3]

وغيث من الوسمي، حو تلاعه   أجابت روابيه، النجاء هواطله

ويصف ابن مقبل المكان بالصورة نفسها، عندما أصابه الغيث، والغيث كثيرا ما يجذب الوحش، والشاعر يتجول في هذا المكان بحصانه القوي الجسيم المشرف، يقول:[4]

وغيث تبطنت الندى في تلاعه   بمضطلع التعداء نهد مراكله

ويصف امرؤ القيس المكان المعشب الذي ارتفع نبته، حتى بلغ نواصي الوحوش، وتسمع صوت الرعد فيه، وقد كسيت الأرض – من أثر جريان المياه – شتى ألوان الزهور، يقول:[5]

---

[1] أمين ساعاتي، الرياضة عند العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، ص70، ط1، مطبوعات تهامة، جدة 1982م.

[2] ابن سعيد، ج2، ص790.

[3] شرح شعره، ص103. وحوّ: تضربُ إلى السواد من شدة خضرة نباتها. والنجاء: نعت الروابي، وهي جمع نَجْوَة. والنجوة: المكان المرتفع الذي تظن أنه نجاؤك.

[4] ديوانه، ص246.

[5] ديوانه، م2، ص686.

وغيث مرته الريح فاعتم نبته بهيٌّ تناصيه الوحوش قد أثمرا

إذا رجفت فيه رجا مرجحنة تبعج بالرعـــد الحبيُّ مسيـــرا

كأن الولايا نشرت في تلاعه وأعلاق تجار إذا اليوم أظهرا

ويتحدث ابن مقبل عن المكان الذي قاد فيه فرسه للصيد، يبغي قطيعـــا مـــن حمار الوحش، وقد شاهد حمار الوحش يضرب بحافره في شجرة صغيرة من نبات الربيع وقد لصق بشفته اخضرار العشب، وهو مكان بعيد مرتفع النبت، لم تطأه قدم إنسان قط، حتى إن فؤاد المرء ليفزع من اجتماع أصوات الذباب فيه، وشاهد فجـــأة ظليماً، والفراشات على سيقان الزهور، يقول:[1]

قد قدت للوحش أبغي بعض غرتها حتى نبذت بعيـــر العانـــة النعر

والعير ينفح في المكنان قـــد كتنت منه جحافله، والعضـــرس الثجر

بعـــازب النبت، يرتاع الفؤاد لـــه رأد النهار، لأصوات مـــن النعر

فيه من الأخرج المـــرتاع قرقـــرة هدر الديافي وسط الهجمة البحـــر

والأزرق الأصفر السربال منتصب قيدِ العصا فوق ذيال من الزهر

ويتكرر المنظر نفسه عند ابن مقبل في قصيدة أخرى، حين يصف الوادي الذي دخله، وقد هطل عليه المطر الشديد، وأزهار الخزامى تفترش أرضـــه، وأصـــوات الذباب يملأ أرجاء المكان، وقد دخل هذا المكان بفرس نشيط، طويل الخـــد، يبتغـــي صيد حمار الوحش، يقول:[2]

وغيث تبطنـــت قريانـــــه إذا رفه الوبـــل عنـــه دجـــن

وقوف به تحـــت أظلالـــه كهول الخزامى وقوف الظعن

---

[1] ديوانه، ص94-95. النعر: الذي آذته النُّعَرَة، وهي ذباب ضخم ازرق العين اخضر، يلسع ذات الحـــوافر. وينفخ: يضرب فيها بحافره. والمكنان: شجرة خضراء صغيرة من نبات الربيع. وكنت جحافله: إذا أكل العيـــر العشب فلصق بها اثر خضرته، ولزج فتلبد. والعضرس: نبات فيه رخاوة، لونه إلى السواد. والثجر المتفرقـــة: واحدتها ثجرة. الأخرج: الظليم الذي فيه بياض وسواد. والقرقرة: الهدير. والديافي: الجمل الضخم الجليـــل، أو المنسوب إلى دياف، وهي قرية بالشام تنسب إليها بخائب الإبل. والبُحُر: الغزار.

[2] المصدر السابق، ص289-291. القريان: جمع قَري، وهو مجرى الماء في الروض. رفّه: كفّ عنه. المعن: الذي يعترض على كل شيء. والمغن: الذي يفتَنّ في كل شيء. والصريت: الواسع الـــشدقين. ومـــستوزيا: أي مشرفا منتصبا متهيئا للوثوب والنفور. والشكير: الشعر الضعيف على جحافله.

كـأن صـواهـل ذبانـه قبيل الصباح صهيل الحصن
بنهد المراكـل ذي ميـعة أزال العثـار معـن مفـن
هريت قصير عذار اللجام أسيل طويل عذار الرسـن
ذعـرت به العير مستوزيا شكير جحافلـه قـد كتـن

ويصف الأسود بن يعفر هذا المكان البعيد، الذي تتاذره النـاس، ذا السيول الصغيرة، من أثر ما أمطر السحاب ليلا، فكساه لونا أخضر، وقد غدا الشاعر بفرسه لهذا المكان، يقول:[1]

ولقد غـدوت لعازب متنـاذر أحوى المذانـب مؤنق الرواد
جادت سواريـه وآزر نبتـه نفأ مـن الصفـراء والزبـاد
بالجو فالأموات حول مغامـر فبضـارج فقصيمـة الطُّـراد
بمشمر عند جهيـز شـده قيد الأوابـد والـرهان جـواد

وكما كانت الإغارة في الغزو صباحا، كانت كذلك الإغـارة علـى الصيد صباحا، وبين الصباحين أو الإغارتين، فكرة مشتركة، وهي فكرة القتل أو المـوت، بيد أنها في الثانية تشير إلى الحيوان، وهي فن من الرياضـة أتقنـه العـرب فـي الجاهلية، وصوره الشعراء الجاهليون في قصائدهم،بل يفتخر بعضهم بحصانه الذي يصيد الوحش، يقول عباد بن شداد:[2]

وقد أفيء بأثواب الرئيس وقـد أغدو على سلهب للوحش صياد

وهم يتحدثون عن رحلتهم في الصباح الباكر إلى مواضع الصيد، فنجد زهيـر بن أبي سلمى يشد رحاله في الصباح الباكر إلى موضع الصيد بحـصان ضـخم، مشدود العضلات ليس برهل، وهو طويل الخد، خال من العيوب، يقول:[3]

صبحت بممسود النواشر، سابح ممر، أسيل الخد، نهد مـراكله
أمين شظاه، لم يخرق صفاقـه بمنقبـه ولـم تقطـع أباجلـه

---

[1] الأسود بن يعفر، ديوانه، تحقيق، نوري القيسي، ص30-31، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد. المتناذر: الـذي تتاذره الناس لخوفه. المذانب: السيول الصغيرة. والسواري: جمع سارية، وهي السحابة تمطر ليلا. والنفأ القطع من النبات المتعرج. والصفراء والزباد: ضربان من العشب.

[2] بنو تميم، شعرهم، ص243. السلهب: الفرس الطويلة.

[3] شرح شعره، ص104. ممسود: شديد الفتل. ولم يُخرق صفاقه، أي: ليس به داء.

ويتحدث خفاف بن ندبة عن حصانه الذي يصيد حمار الوحش فجراً، يقول:[1]

يصيـــدك العيــر برف الندا   يحفــر فــي مبتكــر الراعــد

بينما نرى امرأ القيس يتحدث عن حصانه الصلب التام، الذي يكر به، ليصطاد ثورا مخطط القوائم، يقول:[2]

وصلـــب تميم يبهر اللبد جــوزه   إذا ما تمطى في الحزام تبتــرا

ذعرت به يوما فأصبحت قانصا   مع الصبح موشي القوائم مقفرا

أما أبو دؤاد، فإنه خرج وأصحابه للصيد بعد أن بدأت الشمس تنــسج أول خيوطهــا على الأرض، بحصان مضمر، يقول:[3]

فلمـــا أضــاءت لنا ســدفة   ولاح من الصبح خيط أنارا

غدونا به كسوار الهلـــوك   مضطمراً حالباه اضطمارا

وكثيرا ما صور الشعراء خيولهم قبل المطــاردة، وتحــدثوا عــن صــفاتها الجسمانية، وقوتها الفائقة التي تمكنها من اللحاق بالطريدة، بل إن ابن مقبل يــصف صاحبه بحدة النشاط والسرعة التي تجعله إذا اتبع طريدة بادرها ومنعهــا مــن أن تؤوب إلى ملجئها الذي خرجت منه، لسرعته ونشاطه، يقول:[4]

وصاحبي وهوه مستوهل زعل   يحول بين حمار الوحش والعصر

وليس هذا فحسب بل أخذ الشاعر يصف خده الطويل، وأذنه الرقيقة، وحاجبه الخاشع، وماضغه الشديد، وشعره السابغ على الجبهة، فظل هذا الفرس يجري كــأن جنا حضرته، فأصابته رعدة الخوف، حتى يسمع لقلبه صوت كصوت الحجر الــذي يرمي به الصبي ولا يراه، وقد أصبح بدنه وهو مشدود بالحزام كالقرعة، يقول:[5]

---

[1] شعره، ص45.

[2] امرؤ القيس، م2، ص687.

[3] ديوانه، ص352. السدفة: القطعة من الليل. الهلوك: المرأة تتهالك على الرجال، وسوارها قلــق مــضطرب لتثنيها وتخلعها.

[4] ديوانه، ص96. الوهوه من الخيل: النشيط الحديد الذي يكاد يفلت من كل شيء من حرصه على الجري ونزقه. والمستوهل: الفزع النشيط. والزعل: النشيط الأشد. والعصر: الملجأ.

[5] المصدر السابق، ص97-99. حشرة: أي أذن حشرة وهي الرقيقة المنتصبة. والسنف: وعاء ثمــرة المــرخ. والمرخ: شجر يطول في السماء وليس له ورق ولا شوك، ولكن ثمره طويلة كالإصبع. والصفر: الذي لا شيء فيه خال. واللهز: الشديد. ويفرفر الفأس: أي يجري فأس اللجام حتى يخلعه. وفي أفكل: أي في رعدة.

أرخي العذار، وإن طالت قبائله عن حشرة مثل سنف المرخة الصفر

في حاجب خاشع، وما ضغ لهز والعين تكشف عنها ضافي الشعـــر

يفرفر الفأس بالنابين يخلعـــــه في أفكل من شهود الجن محتضـــر

أقول والحبل مشـــدود بمسحله مرخى له: إن يفتنا مسحـــه يطـــر

وللفؤاد وجيب تحـــت أبهـــره لدم الوليـــد وراء الغيـــب بالحجـــر

كأن دباءة شد الحــــزام بهـــا في جوف أهوج بالتقريب والحضر

ويشبه عدي بن زيد العبادي حصانه، بالسحاب الذي يبلغ الغاية، وتراه في ســـرعته غضبان كالذئب، لا يقدر على كبح جماحه أحد، يقول:[1]

يرأب الشد بســـح مرســـل كاحتفال الغيث بالمزن اليفن

فالـــذي يمسكـــه يحمـــده تئق كالسيد ممتـــد الرســـن

ويتحدث علقمة الفحل عن فرس الصيد بطريقة أخرى، فهو يثق في هذا الفرس غاية الثقة، وإذا أنفذ القوم أزوادهم فاستعملوا هذا الفرس في الصيد، كان ذلك من خير ما اكتسبوا لكثرة ما يصيد لهم، يقول[2]

إذا أنفـــدوا زادا فإن عنانـــه وأكرعه مستعملا خير مكسب

وهذا يقودنا إلى أسطورة "زاد الركب" الفرس الـــذي تتحـــدث عنـــه بعـــض المصادر، من أن قوما من الأزد قدموا على سليمان "عليه الـــسلام" بعـــد تزويجـــه بلقيس، وسألوه عما يحتاجون إليه من أمر دينهم .. ثم طلبوا منه زادا يبلغهم بلادهم، فأعطاهم فرسا وقال: هذا زادكم فإذا نزلتم فاحملوا عليه رجلا منكم، وأعطوه مطْردا واحطبوا، وأوروا ناركم حتى يأتيكم الصيد فجرى الأمر على ما ذكر سليمان "عليـــه السلام"، ويقال: إن أكرم خيل العرب من نسل "زاد الركب".[3]

ويتحدث الشعراء عن مشاهدتهم للطريدة، ويصفونها، ويذكرون أعدادها وأنواعهـــا، أحيانا، فحسان بن ثابت كانت طريدته حمار وحش، يقول:[4]

---

[1] ديوانه، ص174-175. اليفن: الشيخ البالغ أو الكبير أو السريع. والتئق: الغاضب. والرسن: الحبل فـــي رأس الدابة.

[2] ديوانه، ص93. أكرعة: جمع كراع: مستدق الساق.

[3] الختلي، ص135.

[4] ديوانه، ص169. والسديف: قطع السنام.

بينما نحن نشتوي من سديف   راعنا صوت مصدح نشاط

أما علقمة الفحل، فكانت طريدته عبارة عن قطيع من بقر الوحش يرتعين الشجر، يقول:[1]

رأينا شياها يرتعين خميلة   كمشي العذارى في الملاء المهدب

فبينا تمارينا وعقد عذاره   خرجن علينا كالجمان المثقب

ويطلب عدي بن زيد بفرسه بقرة مطفلة تحنو على أطفالها، يقول:[2]

طلبت بها شاة الإران غدية   مرابي سفعا قد حنون لأطفال

بينما تراه يطلب حمار وحش ونعاماً في قصيدة أخرى، يقول:[3]

فإذا جال حمار موحش   ونعام نافر بعد عنن

شاءنا ذو ميعة يبطرنا   خمر الأرض وتقديم الجنن

وطرائد امرىء القيس كلها أسراب، من البقر والثيران، يقول وقد طلب سربا بفرسه:[4]

ذعرت به سربا نقيا جلوده   كما ذعر السرحان جنب الربيض

وفي أخرى يذكر القطيع الذي اعترضهم، يقول:[5]

فعن لنا سرب كأن نعاجه   عذارى دوار في ملاء مذيل

ويشاهد من بعيد سربا آخر، يقول:[6]

فآنست سربا من بعيد كأنها   رواهب عيد في ملاء مهذب

وقد يظهر وصف الطريدة، أو ذكر نوعها، على لسان الرقيب، فمن عادتهم في الصيد، أن يبعثوا ربيئة يستطلع الطرائد، ويراقب القطيع، ويخبر الفرسان أو الصائدين بمكانها، وكثيرا ما تحدث الشعراء عن الربيئة ودوره في رحلة الصيد،

---

[1] ديوانه، ص93-94. الملاء: جمع ملاءة، وهي الملحفة والربطة والإزار.

[2] ديوانه، ص163.

[3] المصدر السابق، ص174. الخمر: ما واراك من شجر أو غيره. والجنن: جمع جنة، ما غاب عنك.

[4] ديوانه، م2، ص469. الربيض: الغنم في مرابضها.

[5] المصدر السابق، م1، ص267. دوار: صنم كانت العرب تنصبه يجعلون موضعا حوله يدورون به.

[6] نفسه، م1، ص390.

ثــلاث، كأقواس السراء، وناشط   قد اخضر، من لس الغمير، جحافله

وكان من مذاهبهم في الصيد أنهــم لا يخـــاتلون الطريـــدة أو القطيـــع، بـــل يجاهرونه لثقتهم في حصان الصيد، وقد افتخر الشعراء بـــأنهم يجـــاهرون القطيـــع ويواجهونه، ونلحظ سؤال الرقيب عن هذه الفكرة، عند عمرو بـــن معـــد يكـــرب، بقوله:[1]

فنادانـــا أنكمـــن أم نبادي   فلمـــا مس حاليـــه القطيع

أرن عشيـــة فاستعجلتـــه   قوائـــم كلهـــا ربذ سطوع

ويتحدث زهير بن أبي سلمى عن هذه الفكرة، ويفتخر بأنهم لا يخاتلون الـــصيد بـــل يجاهرونه، يقول:[2]

إذا ما غدونا، نبتغي الصيد مرة   متـــى نـــره فـــإننـــا لا نخاتلـــه

أما علقمة الفحل، فهو يصرح بأنه وأصحابه لا يستترون في صـــيدهم عـــن القطيع، ولا يخفون أصواتهم، بل يجاهرون وينادون بـــالركوب لثقـــتهم بـــالفرس، ولعلمهم أن الوحش لا يفوتهم، يقول:[3]

إذا ما اقتنصنـــا لم نخاتل بجنـــة   ولكن ننادي من بعيد: ألا اركب

وكانوا يُركبون الفرس في الصيد غلاما لهم، لخفته على ظهـــره، وليـــتمكن الفرس من اللحاق بالطريدة، وكانوا يلقنونه النصيحة قبل أن ينطلق الفرس به، كمـــا هي الحال عند حسان بن ثابت، إذ ينصح حسانُ وأصحابه الغلام بأن يسكّن من حدة الفرس، لكي يمنحه شيئا كثيرا من الجري، يقول:[4]

فتنـــادوا فـــألجمـــوه وقالـــوا   لغـــــلام معـــاود الاعتبـــاط

سكننه واكفف إليك من الغرب   تجد مانحـــا قليـــل السقـــاط

وينصح زهير وأصحابه الغلام، بأن يقوّم صدر الفرس ولا يميل به يمنة ولا يـــسرة، فإذا حفظ هذه الوصية ظفر بالصيد، يقول:[5]

---

[1] شعره، ص131. الرّبذ: الخفيف في مشيه.

[2] شرح شعره، ص105. نخاتل: نكيد ونخدع.

[3] ديوانه، ص92.

[4] ديوانه، ص170.

[5] شرح شعره، ص108.

فقلنا له: سدد، وأبصر طريقه وما هو فيه، عن وصاتي، شاغله

وقلت: تعلم أن للصيد غرة وإلا تضيعه فإنك قاتله

أما امرؤ القيس فإنه ينصح الغلام بألا يُجهد الفرس، ولا يحمله على العدو كثيرا كي لا يصرعه، يقول:[1]

فقلت له صوب ولا تجهدنه فيذرك من أخرى القطاة فتزلق

بيد أن حمل الغلام على ظهر الفرس ليس بالأمر السهل في بعض الأحيان، فقد يجفل الفرس ويرعد، فيحتاج الأمر إلى معالجة، كما هي الحال عند امرىء القيس:[2]

فقمنا بأشلاء اللجام ولم نقد إلى غصن بان ناضر لم يحرق

نزاوله حتى حملنا غلامنا على ظهر ساط كالصليف المعرق

ويصف زهير بن أبي سلمى هذا الأمر، والجهد الذي بذلوه لحمل الغلام على ظهر الفرس، يقول:[3]

فلأيا، بلأي، قد حملنا غلامنا على ظهر محبوك، ظماء مفاصله

والصورة تتكرر عند الأعشى، إذا يذكر هذا الجهد الذي بذلوه لحمل الغلام على ظهر الفرس، يقول:[4]

فلأيا بلأي حملنا الغلا م كرها فأرسله فامتهن

وعانى ابن مقبل من مزاولة فرسه، حتى غاب عنه الصيد، يقول:[5]

فألجمته من بعد جهد، وقد أتى من الأرض دون الوحش غيب مجاهله

وبعد ركوب الغلام على ظهر الفرس، يبدأ مشهد المطاردة، واللحاق بالصيد، وقد يطيل الشاعر في وصف المطاردة، وقد يقصر، وقد يركز على فعل الغلام، مادحا بذلك خبرة الغلام في معالجة الفرس، وطريقة اقتناص الصيد، ويصور في النهاية آثار الدماء من الطعن، كما نجد ذلك عند زهير بن أبي سلمى، إذ يجعل الغلام هو الذي يلحق بقطيع البقر، لأنه هو الذي يقود الفرس كالدفعة من المطر

---

[1] ديوانه، م2، ص637. يذرك: يصرعك ويلقيك.

[2] ديوانه، م2، ص637. والصليف هاهنا: عود من أعواد الرَّحل، وهما صليفان فيه من جانبيه.

[3] شرح شعره، ص107. ظماء مفاصله: أي ليست برهلة.

[4] ديوانه، ص21. امتهن الشيء: ابتذله واستعمله للمهنة.

[5] ديوانه، ص248.

الشديدة، ويحمله على كل ضرب، مرة على الطمع، ومرة على اليأس، ومرة على الهلاك، فترى الحصى يتطاير في وجه الفرس من جري قطيع البقر أمامه، حتى أدركها، وطعنها فسالت دماؤها على قوائم الفرس من أثر الطعنات، يقول:[1]

فأتبــع، آثــار الشيــاه، وليـدنـا   كشؤبوب غيث، يحفش الأكم وابله
نظــرت إليــه نظـــرة، فرأيتــه   على كل حال، مــرة، هــو حامله
يثرن الحصى، في وجهه،وهو لاحق   سراع تواليــه، صيــاب أوائلــه
فــرد علينــا العيــر، من دون إلفه   علــى رغمــه، يدمى نساه وفائله
ورحنــا بــه ينضــو الجياد عشية   مخضبــة أرســاغــه، وحواملــه

ويتحدث حسان بن ثابت عن الغلام الذي امتطى صهوة الفرس وأخذ يعالج حدته ونشاطه، وحين أبصر القطيع الفرس هرب، فانطلق الغلام الخبير في طعن الوحوش لأنه ألف الصيد، وخبره، حتى أدرك القطيع وطعن ثلاثا منها فصرعها، يقول:[2]

فتــولى الغــلام يقدع مهــرا   تئــق الغــرب مانعا للسياط
وتولين حيــن أبصرن شخـصا   مدمجــا متنــه كمتّــن المقاط
فوقه مطعــم الوحــوش رقيــق   عالــم كيــف فــوزة الآبــاط
داجن بالطــراد يرمــي بطرف   في فضاء وفي صحار بصاط
ثم والــى بسمحــج ونحــوص   وبعلـــج يكفـــه بعـــلاط

أما امرؤ القيس فإنه يطيل في منظر المطاردة أحيانا ويفصل فيه، فيشبه سرعة الفرس بالدفعة من المطر الشديدة، يلهب في جريه إلهابا، حين يزجر، فينطلق كالأهوج الذي لا عقل له، وهو في أعلى درجات سرعته، لا تشاهد عرقا في موضع خده، حتى إنه من انطلاقته وسرعته تحسبه الفئران مطـرا شـديدا فيخـرجن مـن الجحور؛ خوفا من الغرق والموت، وترى القطيع يثير الغبار طلبـا للنجـاة، لكـن

---

[1] شرح شعره، ص108-109. يحفش: يُسيل ويُخرج. وصياب: قاصدة. وأوائله: يداه وصدره. نساه: عرق في رجله. وفائله: جانب الذنب، وهو عرق في خُرّابةِ الورِك، يهجم على الجوف.

[2] ديوانه، ص170-171.

الفرس أدرك القطيع بسرعته دون جهد في الجري، حتـى رجـع وتـرك القطيـع صرعى من حمار وظليم وتيس وثور، يقول:[1]

فقفى علـى آثارهـن بحـاصـب | وغبية شؤبـوب مـن الشـد ملهب
فللـزجر ألهـوب وللسـاق درة | وللسوط منـه وقـع أخـرج مهذب
فأدرك لم يعـرق منـاط عـذاره | يمـر كخـذروف الوليـد المثقـب
ترى الفأر في مستكعد الأرض لاحبا | على جدد الصحـراء من شد ملهب
خفاهـن مـن أنفـاقهـن كـأنمـا | خفاهن ودق مـن عشـي محلـب
تراهن من تحت الغبـار نواصـلا | ويخرجن من جعـد الثرى متنصب
فـأدركهـن ثانيـا مـن عنانـه | يمـر كمـر الرائـح المتحلـب
فغـادر صرعى من حمار وخاضب | وتيـس وثـور كـالهشيمة قرهب
فظـل لثيران الصـريم غمـاغـم | يـدعسهـا بالسمهـري المعلـب

وقد يقصر الشاعر في منظر المطاردة، فيصور سرعة الفـرس وانطلاقتـه خلف القطيع حتى ألحق المتأخر بالمتقدم، وأدركه قبل ان يعرق، ومن الملاحـظ أن امرأ القيس في وصفه سرعة الفرس وانطلاقه خلف القطيع، دائما ما يكرر فكرة أن الفرس لا يعرق لأنه لا يبذل جهدا كبيرا في اللحاق بالصيد، وهي فكرة تدلّ على ثقة الشاعر بفرسه، وافتخاره به:[2]

فأدبرن كالجزع المفصل بينه | بجيد معـم في العشيرة مخول
فألحقـه بالهاديـات ودونـه | جواحرها في صرة لم تزيـل
فعادى عداء بين ثور ونعجة | دراكا ولم ينضح بماء فيغسل

---

[1] ديوانه، م1، ص391-397. الحاصب: عدوٌ يثير فيه الحصى من شدته. والغبْيَةُ: الدّفعة من المطرة الـشديدة. والمستكعدُ: الغليظ من الأرض. ولاحباً: يعدو على وجهه، واللاجب: الطريق الواسع المنقاد. وجَعْد الثـرى: أي غبار متراكب بعضه فوق بعض. والخاضب: الظليم الذي اغتَلَم فاحمرّت ساقاه. والقرهب: التيس المسن، وهـو من الثيران. والغماغم: جمع غمغمة وهي صوت لا يفهم. ويدعّسها: أي يكثر طعنها. والسمهري: الرمح الشديد. والمعلّب: الذي يشد بالعلباء الرطبة؛ وذلك إذا خشي صاحب الرمح أن ينكسر، فتيبس عليه العلباء فتشده، وهـي عصبة صفراء في ظاهر العنق.

[2] ديوانه، م1، ص269-272.

ويصف في بيتين منظر المطاردة والطعنة، وقد قاد الفرس بنفسه دون الحاجة الى الغلام، يقول:[1]

فصوبته كأنه صوب غبية على الأمعز الضاحي إذا اشتد أحضرا

فبوأت رمحي قادرا فحبوته بنجلاء يغذو فرغها فتقطرا

وهناك من الشعراء من صور مصرع الطريدة، ولذا لم تظهر صورة الخيل الحركية خلف القطيع، كما نجد عند أبي دؤاد الإيادي، الذي كشف لنا عن الصرعى الست، وقد صورها كأنها شربت من كأس واحدة، هي كأس الموت، عن نعامة ربداء وذكر نعام، وحمار وحش ومهاتين، وثور، يقول:[2]

يتكشفن عن صرائع ست قسمت بينهن كأس عقارُ

بين ربداء كالمظلة أفق وظليم، ومع الظليم حمارُ

ومهاتين: حرس ورئال وشبوب كأنه أوثار

ويصور الأعشى طعن الغلام للطريدة، قائلا:[3]

فثابر بالرمح حتى نحا هُ في كِفل كسراة المجن

حتى نصل في نهاية الرحلة إلى المنظر الأخير من مناظر الصيد، حين يجتمع الأصحاب وتوقد النيران، وتفوح رائحة الشواء احتفالا بالغنيمة، فتضرب الخباء لتقام موائد الطعام، يقول علقمة الفحل:[4]

فقلنا: ألا قد كان صيد لقانص فخبوا علينا فضل برد مطنب

فظل الأكف يختلفن بحانذ إلى جؤجؤ مثل المداك المخضب

ويصف عدي بن زيد الدخان الكثيف المتصاعد من أثر الشواء، حتى يشاهد من بعيد، يقول:[5]

---

[1] ديوانه، م2، ص688. الغبية: السحابة، وقيل: المطرة. والأمعز: الأرض ذات الحصى الصغار. الإحفار: ارتفاع في عدْو الفرس.

[2] ديوانه، ص319-320. وكأنه أوثار، يعني الثور. وقيل الأوثار: الثوب الأبيض المحشو، وقيل: البردعة، وذلك أنه سمين.

[3] ديوانه، ص21. السراة: الظهر. والمجن: الترس.

[4] ديوانه، ص97. المطنب: المشدود بالطنب، والحانذ: المشويّ النضيج. والجؤجؤ: المسّدق من الصدر. والمداك: صخرة يسحق عليها الطيب.

[5] ديوانه، ص175.

وإذا نحـن لدينـا أربـع   يهتدي السائل عنا بالدخن

وأبو دؤاد يتحدث عن حفلة الشواء هذه، وقد انقسم وأصحابه فريقين، فريقـاً يقـسم اللحم، وفريقاً يطبخه، يقول:[1]

ففريق يفلـج اللحـم نيئا   وفريـق لطـابخيه قُتَـارُ

أما امرؤ القيس فقد ظل وأصحابه يشوون اللحم، بعد أن ضربوا خباءهم، يقول:[2]

فقلنا ألا قد كان صيد لقانـص   فخبوا علينا ظـل ثوب مروق

وظل صحابي يشتوون بنعمة   يصفـون غارا باللكيك الموشق

وامرؤ القيس يختلف احتفاله بهذه المناسبة عن غيره من الشعراء، فهو ابـن ملك، وحين تضرب له الخيمة، فإنها لابد أن تكون من البرد المطنب، علـى أرض مرتفعة، وقد تفنن الفتيان في صناعتها، وقضى الشاعر وأصحابه يوما، اسـتلذ فيـه بالشواء، وقاموا بعد ذلك بمسح أيديهم بأعراف الجياد من أثر الدسم، يقول:[3]

وقلت لفتيان كـرام ألا انزلوا   فعالوا علينا فضل برد مطنب

ففئنا إلى بيـت بعلياء مردح   سماوته من أتحمـي معصـب

وأوتـاده مـاذيـة وعمـاده   ردينية فيهـا أسنـة قعضـب

فلما دخلنـاه أضفنا ظهورنا   إلى كل حـاري جديد مشطب

فظل لنا يـوم لذيـذ بنعمـة   فقل في مقيـل نحسه متغيـب

نمش بأعراف الجياد أكفنـا   إذا نحن قمنا عن شواء مضهب

وهكذا تنتهي رحلة الصيد برائحة الشواء، بعد يوم من المطاردة والطعـن، ومنظـر الدماء التي تسيل من الطريدة.

---

[1] ديوانه، ص320.

[2] ديوانه، م2، ص638. مُرَوَّق: له رواق. واللكيك: اللحم الكثير الثخين، والموشَّق: الذي يطبخ بماء وملح، ثـم يجفَّف ويحمله القوم معهم، وهي الوشائق، والواحدة: وشيقة.

[3] ديوانه، م1، ص399-402. المَردح: من الإرداح، وهو ستر البيت من مُؤَخَّرة. والأتحميّ: ضرب من البرود يقال لها الأتحميّة. والعَصْب: ضرب من برود اليمن سمي عَصْبًا لأن غزله يُعْصَب أي يُدْرَج ثم يصبغ ثم يحاك. والماذية: دِرْعٌ ليّنة سهلة. وقعضب: اسم رجل كان يعمل الاسنّة في الجاهلية، إليـه تنـسب أسـنّة قعـضب. والحاريّ: رَحْلٌ نسب إلى الحيرة. والمشَطب: السيف الذي فيه طرائـق وربمـا كانـت مرتفعـة ومنحـدرة. والمضهّب: لم يبلغ نُضْجَهُ.

وقد استعار النابغة الذبياني فرس الصيد ولحاقه بالطريدة، في مدح الملوك،عندما شبه النعمان بن وائل الكلبي، في سبقه وتقدمه في المجد والعلى، بالفرس الذي يسبق الطريدة قبل كلاب الصيد، يقول:[1]

سبقت الرجال الباهشين إلى العلى   كسبق الجواد اصطاد قبل الطوارد

3.3 الخيل في السباق:

عرف العرب هذا النوع من الرياضة، وكان لها تأثير عظيم في حياتهم الاجتماعية، بحكم اتصالهم بالشعوب والحضارات الأخرى المجاورة، وعرفوا بعض الفنون الرياضية، لكنها لم تنتشر بينهم، ولم يمارسوها تلك الممارسة التي أثرت في الحياة الاجتماعية، أو في شتى جوانب حياتهم، ربما لأن البيئة العربية الصحراوية لا تتناسب وتلك اللعبة، أو لبعدها عن العادات العربية وتقاليدها؛ يروى أن عدي بن زيد تعلم لعب العجم على الخيل بالصوالجة،[2] ولم نسمع أن العرب كانوا يمارسون هذه الرياضة ولم تذكر في أشعارهم كما هي الحال في رياضة الصيد والسباق.

ولعل الجزيرة العربية عرفت رياضة السباق منذ القدم، إذ تدل طرق السباق وشروطه على قطع هذه الرياضة مرحلة زمنية سابقة لا بأس بها، حتى وصلت إلى هذه الدرجة من التنظيم، إلا أن العرب لا يملكون مضماراً خاصاً لهذا النوع من الرياضة، فهم لا يجتمعون تحت نظام واحد ودولة واحدة، ولم يعرفوا العمران كما عرفته الشعوب والأمم الأخرى، وحالت صحراؤهم دون استخدام العربات التي تجرها الخيول، بينما نجد أن بعض الشعوب قطعت مرحلة كبيرة في هذه الرياضة، فمنذ القرن الأول قبل الميلاد أنشأ هيرود الأكبر ملك اليهود في بيت المقدس ملعباً للخيل ومسرحاً[3] كما كان يقام في العواصم الرومانية حفلات سباق العربات في الحلقات الفسيحة المستديرة التي تسع في بعض الأحيان ثلاثمائة متفرج.[4]

---

1 ديوانه، ص92.

2 محمد جاد المولى وآخرون، ص9، والصوالجة: جمع صولجان، وهو عصا يعطف طرفها يضرب بها الكرة على الدواب.

3 رينه ديسو، ص158.

4 زينب عبد الفتاح صبره، ص96.

ومهما يكن من أمر فإن ملعب الخيل ومضمارها عند العرب صحراؤهم ورمالهم، يتوافدون إليها من كل مكان، وقد قعدوا القواعد لهذه الرياضة، ووضعوا الشروط، وتراهنوا في سبقها على طريقة القمار التي ورد النهي عنها بعد ذلك في الإسلام.

وكانت العرب تسمي ما تجعل للسوابق سبقاً وخصلاً ورهاناً، وتضعه في طرف الغاية التي تجري إليها على رأس قصبة من قصب الرماح، وهو قولهم في المثل: حاز قصب السبق. وتسمى أيضاً الغاية: المدى والأمد[1] وكانوا يعدون ذلك فخراً يتفاخرون به ويتمادحون بسببه،[2] ويسمي موضع الجري، المضمار،[3] وكان عامر بن الطفيل قد راهن على فرس له يقال له "الكُلَيب" فسبق، فقال في ذلك:[4]

أظنّ الكليب خانني أو ظلمته ... ببرقة حليت وما كان خائناً
وأعذره أني خرقت وإنما ... لقيت أخاخب وصودفت بادنا

وسابق أبو سواج صُرَدَ بن جمرة، فسبق أبو سواج صرداً على فرس له، يقال لها ندوة، وكان فرس صرد حصاناً، يقال له : القطيب، فقال أبو سواج في ذلك:[5]

ألم تر أن ندوة إذ جرينا ... وجد الجد خلفت القطيبا
لها كفل يصل الربو فيه ... وتخبط سنبكاً عجراً صليبا
وعوجا فعمة ركبن فيها ... خفاف الوقع تحسبها صقوبا
كأن قطيبهم يتلو عقابا ... على الصلعاء وازمة طلوبا
مقربة أجللها ردائي ... إذا ما ألجأ الصر الكليبا
وأمنحها المديد وإن أصابت ... مرادا من مباءتها قريبا

---

1 ابن هذيل، (علي بن عبدالرحمن الأندلسي القرن الثامن الهجري): حلية الفرسان وشعار الشجعان ، تحقيق، عبدالاله نبهان ، ومحمد فاتح صالح ، ط1 ، ص185، مركز زايد للتراث والتاريخ ، العين 2001م. وانظر: الرسولي، ص202.

2 ابن جزي، ص145.

3 ابن هذيل، ص185.

4 ديوانه، ص 328-329.

5 أبو عبيدة ، النقائض ، ج1، ص 151

ومن الملوك من كان يراهن على الخيل في السباق[1]. وكان منهم من ينـــدب العرب للحلبة فتتوافد إليه القبائل من كل أوب.[2] كما فعل المنذر بن امــرئ القــيس حين ندب العرب للحلبة، فتوافت القبائل من كل أوب، وكان أحد الغلمان من طـــيء يدعى معقل بن الحداج، قدم لحلبة السباق بفرس شقراء قرحـــاء، فـــسبقت النـــاس، وصلى فرسه "الوميض" فقال:[3]

صلى وميض ولم تفته السابقه　　　كـــالبرقة انقضـــت بإثر بارقه

كأنهـــا لمـــا تبـــدت سابقـــه　　　سوذانق عنـــت لـــه ســـوذانقه

ومن طرق العرب في السباق أن يدخلوا الخيل في المضمار بعد أن يكونوا قد جمعوها وعرفوها، والمضمار هو موضع التضمير، وقد اتفق بـــين العـــرب فـــي تضمير السباق مدة معلومة، وأكثر ما يشاع منها أربعون يوما. [4] ويكون التـــضمير أن تشد عليها سروجها وتجلل بالأجلة حتى تعرق تحتها، ويـــذهب رهلهـــا ويـــشتد لحمها، وتخف أبدانها، فإذا تمت مدة التضمير أخرجت للغاية.[5] وقبل بـــدء الـــسباق تصف الخيل على حبل يدعى "المقوس" وهو حبل يمد فـــي صـــدورها علـــى خـــط مستقيم، وترص حوافرها كالسمط المنظوم، ثم يرفع عنها كأسرع ما يكون، وترسل الخيل دفعة واحدة".[6] وذكر أبو العيال الهذلي حبل "المقوس" متمثلا به في رده علـــى بدر بن عامر، أن الأمر المخفي والذي يرجم بالظنون الآن، سيظهر ويعـــرف كمـــا تعرف الخيل السابقة عند الجري والسباق، يقول[7]:

إن البلاء لدى المقاوس مخرج　　　ما كـــان من غيب ورجم ظنون

---

[1] الجاحظ ، الحيوان ، ج5، ص 458.

[2] الرسولي، ص 334.

[3] المصدر السابق، ص 334.

[4] الرسولي، ص 205.

[5] المصدر السابق، ص 206.

[6] نفسه، ص 206– 207.

[7] السكري ، ج1، ص 410.

ولم تتفق المصادر في خيل الحلبة وترتيبها وتسميتها لكن " الرسولي " ينقل في كتابه عن المبرد قوله[1]:

جاء المجلي والمصلي بعـده ثـم المسلي بعـده والتالـي
وأتى الحظـي وبعـده المـرتا ح ثم العاطف الجوال كل مجال
ثم المؤمـل واللطيـم وآخـرا جاء السكيت لـه غبـار عـال

ونقل "ابن جزي" عن الفراء الترتيب التالي: المجلي، ويقال له الفريد أيضا، ثم المصلي، ثم المسلي، ثم التالي، ثم المرتاح، ثم العاطف، ثم الحظي، ثم المؤمل، ثم اللطيم، ثم السكيت.2

وينقل عن أحدهم معاني خيل السباق هذه، بعد أن خـالف فـي ترتيـب العـاطف والحظي، فجعل الحظي سادسا والعاطف سابعا، يقول:

الأول: المجلي؛ لأنه جلى عن وجه صاحبه ما كان فيه من الكرب والشدة.

والثاني: هو المصلي؛ لأنه يضع جحفلته على الأرض صلا السابق.

والثالث: هو المسلي؛ لأنه شريك في السبق، فسلى عن صاحبه بعض همه.

والرابع: هو التالي؛ لأن هذا الرابع تلى الثالث في حالة دون حالته تالية له، وذلك أن العرب كانت تأخذ من كل شيء تختاره ثلاثة، فتعدها طبقة ثم ثلاثة أخـرى طبقـة ثانية، فكان هذا الرابع تاليا للمرتبة قبله.

والخامس: هو المرتاح، مفتعل من الراحة؛ لأن في الراحة خمس أصـابع، وكانـت العرب إذا أومأت في العدد إلى خمس، فتح الذي يومئ بها يـده وفـرق أصـابعه الخمس.

والسادس: هو الحظي، وسمي حظيا؛ لأنه نال حظا من السبق وإن قل.

والسابع: هو العاطف، وسمي بذلك؛ لدخوله الحجرة لأنه قد عطف عليه بشيء، وقل وخس إذا كان قد دخل الحجرة والمحجرة[3].

والثامن: المؤمل، على القلب والتفاؤل؛ أي يؤمل وإن كان خائبا.

---

[1] الأقوال الكافية، ص 208.

[2] مطلع اليمن، ص 150.

[3] الحجرة والمحجرة: الناحية التي وضعت عليها أعلام بالحجارة.

والتاسع: هو اللطيم؛ لأنه لو رام دخول الحجرة للطم لأنه أعظم جرما واقل جريا من السابع والثامن.

والعاشر: هو السكيت؛ لأن صاحبه يعلوه خشوع وذلة ويسكت خزيا وغما[1].

لذا فقد كانت العرب تعد السوابق عشرة، وما جاء بعد العشرة لا تعده ولا يعطى شيئاً، ويحكم بالسبق إذا خرج الجواد بأذنه، إذا تساوت الأعناق، فإن كان خروجه بطول عنقه كان الحكم بخروج الكاهل.[2]

ومن عادتهم أنهم كانوا إذا سبق الفرس الحلبة وبرز قلدوه شيئاً؛ ليعرف أنه سبق.

وكذلك من عاداتهم أيضا أن يمسحوا وجه الفرس إذا جاء سابقا، وقد نشاهد صورة مغايرة ومعاملة أخرى للفرس الذي يجيء آخر الحلبة، إذ كانوا يجعلون للفرس الذي يجيء آخر الحلبة حبلا، ويحملون عليه قردا، ويدفعون إلى القرد سوطا فيركضه القرد، ويعير بذلك صاحب الفرس، بل إن بعضهم كان يتعدى على الجواد ويظلمه ويعذبه، إذا تخلف عن الحلبة وجاء سكيتا، كأن ينصبه ويرميه بالنبل حتى يسقط بالأرض، وقد فعل ذلك النعمان بن المنذر بفرسه المسمى بالنهب.[3]

ولما كان لهذه الرياضة من أثر كبير في حياتهم، ولما لها من المفاخر بين القبائل، فلا عجب أن نرى بعضهم يقوم على تربية حصانه، ورعايته والاهتمام به، لأجل أن يراه بين الخيول في حلبة السباق، ويظفر بالفخر بين العرب، وحسن الجائزة.

وقد أشار عدي بن زيد في أبياته إلى تربية حصانه حتى غدا قويا نشيطا يبز الخيول الأخرى في السباق، يقول:[4]

تأييت منهن المصير فلم أزل ... أيسر طرفا ساهم الوجه فارعا

تربيته لم أله عن ثغباته ... فتبصره عين إذا شير ضائعا

---

[1] مطلع اليمن، ص 150- 151.

[2] الرسولي، ص 209.

[3] ابن جزي، ص 145.

[4] ديوانه، ص140- 141 . تأييت: تعمدت. ثغباته: سقيه اللبن شيئا بعد شيء. ذلقت الفرس: ضمرته حتى ألقى فضول لحمه. مكنونا: مصونا بحل. المصدر: السابق من الخيل. الخنزوان: الكبر.

فذلقتــه حتى ترفـــع لــحمـــه		أداويه مكنــونا وأركــب وادعــا
فصاف يفري جلــه عــن سراته		يــبــذ الجياد فــارها متتــابعــا
فآض كصدر الرمح نهدا مصدرا		تكفكــف منــه خنزوانــا منازعا

ويفتخر خفاف بن ندبة بفرسه الذي لا يخذله في يوم الرهان، يقول[1]:

ليست لــه نــبــوة فنكرهــهــا		يــوم رهــان منــه ولا طــرد

ويثق العباس بن مرداس بفرسه عند الرهان، يقول: [2]

وقد يعلــم الحي عند الرها		ن أني أنــا الشامخ المخطر

وللشيباني في سرعة خيل السباق، قوله: "وكاد لشدة إحضاره، يــسبق أذنــي جواده في مضماره، فتراه لسرعة سيره لا يرتد طرفه عن أمد حتـــى يتعـــداه إلـــى غيره، فهو أبداً يسبق طرفه إلى ما يرمق، وما يستولي طرفه على أمد إلا ويتجاوزه ويسبق، فيكاد يأخذ مغرباً من مشرق، فيبلغ غاية الأقطار، ويخترق من الآفاق حجب الأستار، حتى يقال: إنه ما سار ولكنه طار...".[3]

وعلى كل حال فإن للعرب عادات في سباق الخيل، تــدل علــى عــصبيتهم، ومنها أنهم كانوا لا يستحبون أن يركب على ظهور الخيل الهجناء من النــاس، بــل العرقاء. فقد روي أن النعمان بن الشقيق أمر العرب أن يحملوا إليه خيولهم ليــسابق بينهم، فأقبلت عبد قيس بأفراس، فقال لهم عمرو بن مرثد: يا قوم، لا تحملوا علـــى خيولكم إلا العرقاء منكم، فإنها تجري بعروقها، فعصوه، وحملــوا عليهــا الهجنــاء فسبقوا، فقال: [4]

نهيتكم أن تحمــلوا هجنــاءكــم		على خيلكم يوم الرهان فتدركوا
ولا يستوي المرآن هذا ابن حرة		وهذا ابن أخرى ظهرها متشرك
فأدركتــه خالاتــه فنــزعنــه		ألا إن عرق السوء لا بد يدرك

---

[1] شعره، ص 84.
[2] ديوانه، ص 76.
[3] الشيباني (أحمد بن أبي الفتح، 705هـ/1302م): رسالة رصف الفريد في وصف البريد، دراسة وتحقيق، سمير الدروبي، ط1، دار البشير، عمان 2002م.
[4] الرسولي، ص 220.

لذى كان يضرب العرب المثل بين العبد والحر بحصانين في السباق، أحدهما يكبو والآخر يفوز، وكذلك الحال في العبد والحر، فالحر يؤتمن، والعبد لا بد أن يخون، ويتمثل عميرة بن جعل بذلك، قائلا [1]:

توثق من إخاء الحر إني رأيت العبد في الحالات عبدا

يزيد الخير خيرا كل يوم وخير العبد قد يزداد بعدا

إذا جريا لغاية مكرمات كبا هذا وبرز ذاك شدا

وقد يفضي هذا النوع من الرياضة إلى حروب دامية مستمرة بين القبائل العربية، فيصبح سباق الخيل سباقا إلى هدر الدماء وزهق الأرواح، ومن هذه المراهنات التي أدت إلى حرب دامية بين بعض القبائل العربية، ما حكاه "الرسولي" من أن كرز بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، راهن أسيدا وعمرا وعبد الله بن ربيعة بن العرقة من تيم غالب، على فرس لهم يقال له: البرق وكان السبق ثلاثين ناقة معها مثلها، فأرسلوا الفرسين، وجاء فرس كرز سابقا، وهلك البرق فأخذ كرز السبق، فناشدوه رحما بينهم أن يرد السبق، فأبى، فمكثوا قريبا من سنتين، فأراد بنو العرقة الثأر ليوم البرق، فاستلبوا إبل القوم، وقتل أحدهم، وثارت الحرب بين الفريقين[2].

ولعل حرب داحس والغبراء التي وقعت بسبب فرسين – من أكثر الحروب الدامية بين القبائل العربية وقد كان الرهان بين حذيفة بن بدر وقيس بن زهير، وقد أجرى حذيفة فرسيه، الخطار والحنفاء، وزعم بعضهم قرزلا والحنفاء، وأجرى قيس فرسيه داحسا والغبراء، وكانت الغاية من مائة غلوة، والمضمار أربعين ليلة، والمجرى من ذات الإصاد،[3] ثم أن حذيفة بن بدر وقيس بن زهير، أتيا المدى الذي أرسلت منه، ينظران إلى الخيل كيف خروجها منه، وقد جعلت بنو فزارة كمينا، فاستقبلوا داحسا فعرفوه وأمسكوه، وهو السابق، كما استقبلوا الغبراء ولطموها ثم حلؤوها عن البركة، ثم لطموا داحسا كذلك، فجاء قيس وحذيفة في أخرى الناس وقد

---

[1] تغلب، شعرها، ص 168.

[2] الأقوال الكافية، ص 211– 212.

[3] ذات الإصاد، ردهة بين أجبال في ديار بني عبس.

دفعتهم بنو فزارة عن سبقهم ولطما فرسيهم، فطالب قيس بن زهير بحقه، فأبى بنو فزارة فساءت الأمور بعد ذلك من خلال الإغارة والقتل، حتى نشبت الحرب بين عبس وذبيان[1]. لم تنج فيها ناقة ولا فرس لاشتغالهم بالحروب[2]. وفي ذلك يقول قيس بن زهير[3]:

ألم يبلغك والأنباء تنمي بما لاقت لبون بني زياد
ومحبسها على القرشي تشرى بأدراع وأسياف حداد
كما لاقيت من حمل بن بدر وإخوته على ذات الإصاد
هم فخروا علي بغير فخر وذادوا دون غايته جوادي
وكنت إذا منيت بخصم سوء دلفت له بداهية نآد
بداهية تدق الصلب منه فتقصم أو يجوب عن الفؤاد
وكنت إذا أتاني الدهر ربق بداهية سددت لها نجادي

وأصبح الفرسان مثلا للشؤم، وظل اسمهما مخيفا لما حمله من فواجع، وأثاره من أحقاد، وألهبه من دوافن... فعانى أفراد القبيلتين مرارة القحط، وذاقوا بؤس الفاقة، وقدمت كل قبيلة مواكب من أبطالها وقودا جزلا"[4]

وقتل حمل بن بدر مالك بن زهير في هذه الحرب، فقال أخوه قيس يتوعد قاتليه:[5]

أينجو بنو بدر بمقتل مالك ويخذلنا في النائبات ربيع
وكان زياد قبله يتقى به من الدهر إن يوم ألم فظيع
فقل لربيع يحتذي فعل شيخه وما الناس إلا حافظ ومضيع
وإلا فمالي في البلاد إقامة وأمر بني بدر علي جميع

وكان قد رثاه، بقوله[6]:

أخي والله خير من أخيكم إذا ما لم يجد بطل مقاما

---

[1] انظر: الأصفهاني، ج 17، ص 191- 210.

[2] الرسولي، ص 211.

[3] قيس بن زهير، شعره، تحقيق عادل جاسم البياتي، ص 29، مطبعة الآداب، العراق.

[4] نوري القيسي: البطل في التراث العربي، ص 118.

[5] شعره، ص 45.

[6] المصدر السابق، ص 40.

أخي والله خير من أخيكم إذا ما لم يجـد راع مساما

أخي والله خير من أخيكم إذا الخفرات أبدين الخداما

وقال عنترة بن شداد يرثي مالك بن زهير، حين قتله بنو بدر، ويتمنى لو أن هـذين الفرسين لم يجريا ولم يراهن على سبقهما، لأنهما جلبا حربا دامية، يقول:[1]

لله عينا مـن رأى مثـل مالك عقيرة قوم أن جـرى فرسان

فليتهمـا لم يجريا نصف غلوة وليتهما لـم يرسـلا لرهـان

وليتهمـا ماتا جميعـا ببلـدة وأخطاهمـا قيس فـلا يريان

لقد جلبا حينـا وحربا عظيمة تبيد سـراة القوم من غطفان

وكان مالك بن بدر أحد ضحايا هذه الحرب بالمقابل، رماه جنيدب بسهم فقتله، فـي يوم "المعنقة"، فقالت ابنته ترثيه وتتمنى لو لم يكن الرهان، الذي خلف القتلى، وأتـى على القبيلتين:[2]

فلله عينا من رأى مثل مالك عقيـرة قوم أن جرى فرسان

فليتهما لم يشربا قط قطـرة وليتهما لـم يرسـلا لرهـان

أحل به جنيدب أمس نـذره وأي قتيل كـان في غطفان؟

إذا سجعت بالرقمتين حمامة أو الرس تبكي فارس الكتفان

وفي يوم جفر الهباءة قتل الحارث بن زهير حمل بن بدر، فقال الحارث في ذلك:[3]

تركت على الهباءة غير فخر حذيفـة حولـه قصد العوالي

سيخبر قومه حنس بن عمرو إذا لاقـاهـم وابنـا بـلال

ويخبرهم مكان النون منـي وما أعطيتـه عـرق الخلال

وكان حمل بن بدر قد قتل مالك بن زهير، أخا قيس، فقال قيس بن زهير يرثي قتلى " جفر الهباءة ":[4]

تعلم أن خير الناس ميـت علـى جفر الهباءة ما يريـم

---

[1] ديوانه، ص 311- 312.

[2] أبو عبيدة، النقائض، ج 1، ص 73. الكتفان: فرسه.

[3] الأصفهاني، ج 17، ص 208.

[4] شعره، ص 33.

لقد فجعت به قيس جميعا | موالي القوم والقوم الصميم
ولولا ظلمه مازلت ابكي | عليه الدهر ما طلع النجوم
ولكن الفتى حمل بن بدر | بغى والبغي مرتعه وخيم

وهذا يعني أن أفراد القبيلتين ليسوا جميعهم راضين عن هذه الحرب، لكن العصبية القبلية، هي الدافع الأساسي وراء تأجج هذه الحرب، فقد كان بعضهم كارها لها، يرمي باللوم على من أثار فتنتها وسعى إليها، وأشعل نارها، ولم تخمد حتى قضت على السادات والأشراف، ونجد قيس بن زهير يذم هؤلاء الذين أثاروا الفتنة وسعوا إلى الحرب، يقول[1] :

لحا الله قوما أرّثوا الحرب بيننا | سقونا بها مرا من الشرب آجنا
وحرملة الناهيهم عن قتالنا | وما دهره إلا يكون مطاعنا
أكلف ذا الخصيين إن كان ظالما | وإن كان مظلوما وإن كان شاطنا
فهلا بني ذبيان وسط بيوتهم | رهنت بمر الريح إن كنت راهنا
وخالصتهم حقي خلال بيوتهم | وإن كنت ألقى من رجال ضغائنا

وبالتالي نجد الأعشى حين يفتخر بقومه، يقول إن السباق لايزيدهم سفاهة:[2]

لم يزدهم سفاهة شرب الكأ | س ولا اللهو بينهم والسباق

وقد استقى الشعراء من رياضة السباق الأمثال والحكم، وضربوا بأفراس الرهان أمثالهم، وألفوا حكمهم، ودخلت خيل الرهان في مضمار حياتهم، واصطبغت بألوان الحياة الاجتماعية، من مدح وفخر وهجاء، وحزن وفرح.

ومن ذلك أن لبيد بن عنبسة الغساني تزوج عمرة بنت الحباب التغلبية، وصادف أن لطمها يوما، فقتله كليب بن ربيعة، بعد أن قالت أبياتها محرضة تغلب، على أخذ الثأر لها، وإلا ستعير قبيلة تغلب بالذل والعار:[3]

ما كنت أحسب والحوادث جمة | أنا عبيد الحي من غسان
حتى علتني من لبيد لطمة | سجرت لها من حرها العينان

---

[1] شعره، ص 37- 38.
[2] ديوانه، ص 215.
[3] تغلب ، شعرها ص 222.

إن تـرض تغلب وائل بفعالهم تكـن الأذلـة عنـد كل رهان

وكان حسان بن ثابت حين هجا أمية بن خلف الجمحي، استقى فكرتـه مـن خيـل الرهان، وجعل التهاجي في الشعر، والغلبة فيه، كالخيل في الرهان، يقول: [1]

ستعلم إن جريت لدى رهان بخيل من هجوت ومن تلاظي

وقد شبهوا السبق في الجود والنسب، بسبق الجواد في الرهان، يقول حـاتم الطـائي يمدح أحد الملوك ليطلق أسارى قومه[2]:

أرجـي فواضـل ذي بهجـة من الناس يجمع حزما وجـودا

نمتـه أمـامـة والحـارثا ن حتى تمهـل سبقـا بعيـدا

كسبـق الجـواد غـداة الرها ن أربى على السـن شأوا مديدا

ويمدح الشماخ بن ضرار عرابة بن أوس – رضي الله عنه – وقومه، ويقول إن قوم أوس لا يلحق شأوهم لاحق، ولا يفاخرهم مفاخر، ويشبه هذا برهان الخيل، يقول:[3]

ومثل سراة قومك لم يجـاروا إلى ربع الرهـان ولا الثميـن

كما يمدح النابغة الذبياني النعمان، ويشبه سبق النعمان أقرانه في المجد والـشرف، بسبق الجواد إلى غاية خيل السباق، وهي راية تركز في الأرض إذا بلغ إليها السابق اقتلعها من الأرض وأخذها، يقول:[4]

ولا أرى فاعلا في الناس يشبهه ولا أحاشي مـن الأقـوام من أحد

إلا سليمان إذ قـال الإلـه لـه قم في البرية فاحـددها عن الفنـد

فمن أطاعك فانفعـه بطاعتـه كما أطاعك وادلـلـه على الرشد

ومن عصاك فعاقبـه معاقبـة تنهى الظلـوم ولا تقعد على ضمد

إلا لمثلك أو من أنـت سابقـه سبق الجواد إذا استولى على الأمد

ونجد أن أبا العيال الهذلي يستقي فكرة الثقة بالإنسان، من الجواد، فهو يـرى أن الجواد إذا لم يستطع الخروج للغزو، لضعفه وفتوره، وتخلف عن جماعة الخيل،

---

[1] ديوانه، ص 198.

[2] ديوانه، ص 206– 207.

[3] الشماخ بن ضرار الذبياني، ديوانه، تحقيق صلاح الدين الهادي، ص 340، دار المعارف.

[4] ديوانه، ص 82.

فلا يوقن له بيقين، وهكذا في حال الصاحب أو الإنسان بشكل عام، يقول أبو العيال يجيب بدر بن عامر[1]:

فإذا الجواد ونى وأخلف منسرا ضمـسرا فـلا توقـن له بيقيـن

كما افتخر الشماخ بقدرته على عمل الشعر، وحسن تصرفه في فنونه، يتـأنى فيمـا تحسن فيه الأناة، ويسرع فيما تحمد فيه السرعة، ويضرب مثلا لذلك بالخيـل فـي الرهان، يقول[2]:

إن كنتم لستم ناهيـن شاعركـم فلا تناهـون عن شتمي وتهديدي

فاجروا الرهان فإني ما بقيت لكم غمـر البـديهـة عـداء القراديد

محاذر السوط خراج علـى مهل من الأضاميم سبـاق المواخيـد

وقد اشتقوا للغناء بالشعر مضمارا، كمضمار الخيل في السباق، يقـول حـسان بـن ثابت:[3]

تغن في كل شعر أنت قائلـه إن الغناء لهذا الشعر مضمار

يميز مكفـأه عنـه ويعزلـه كما يميز خيث الفضـة النار

4.3 الخيل في المرعى:

تختلف صورة الخيل في هذا الفصل عن صورتها في الفصول السابقة؛ إذ لا نرى هنا مناظر حروب وطعن وقتل ودماء، فكل ما هنالك، خيل آمنة، تعـدو فـي المراعي، وتأكل من أعشابها، وتتغذى من بقولها، وتشرب من مياهها.

ولم تكن هذه الصورة منتشرة في الشعر الجاهلي؛ إذ إن الخيل كانت وسيلة حـرب في المقام الأول. وحين يتحدث عنها الشاعر، فإنه يتحدث عنها في مقامها الأساسـي والأول، الذي من اجله ارتبطها الجاهلي، وجعل في طعامها ورعايتها جـل مالـه، وعظيم اهتمامه. إذ يعني وصف الخيل في المرعى، السلم، وهو ما لم تكن أيـامهم تحمل منه سوى النزر اليسير. على الرغم من أن المرعى يشكل الأساس في تربيـة الخيل وتغذيتها.

---

[1] السكري، ج 1، ص 411.

[2] ديوانه، ص 121.

[3] ديوانه، ص 280.

وهذه التربية والرعاية شكلتا هاجسا خطيرا لدى الإنسان الجاهلي، وقد عبـر عنـه الشعراء – كما مر معنا سابقاً –.

ولعل رعاية الخيل وتربيتها كانتا هاجس الصفويين أيضا في الجزيـرة العربيـة، إذ يذكر أن أهم عمل للصفويين كان تربية الماشية، ومنها الحصان والفرس والمهر.[1]

ومن الغريب أن نجد حسان بن ثابت، يذكر الخيل في مقدمة قصيدته، عند الحـديث عن الأطلال، وهي صورة يندر وجودها في مقدمة القصيدة الجاهلية، يقول:[2]

لمن الدار أوحشت بمعـان　　　بين أعلا اليرمـوك فالخمان

فالقريات من بلاس فداريّـ　　　ـا فسكاء فالقصور الـدواني

فقفا جاسم فأوديـة الصفـر　　　مغنـى قنـابـل وهجـان

وعلى أية حال، فقد كان وصف الخيل في هذا الموضع، من باب الفخر على أعدائهم، أو التفاخر بينهم، أو من باب مدح الملوك والسادة.

وقد نجد بعض الشعراء الذين اشتهروا بوصف الخيل، في الطعان والقتـال، يذكرون خيولهم في المرعى، كعامر بن الطفيل الذي يذكرها فـي موضـع الأمـن والطمأنينة، وموضع السلم في المرعى، تتغذى على شجر الشث، والبان والعرعـر في أعالي الجبال، يقول:[3]

أفراسنا بالسهل بدلن مذحجـا　　　ذرا شعف شثا وبانا وعرعـرا

ونجد النابغة الذبياني، يمدح الحارث الغساني بكثـرة خيلـه التـي وصـلت أرض الحجاز، فأخذت ترعى شجر الغرقد، يقول:[4]

قلدها من عرى نجد أعنتهـا　　　سوم الجراد فناصت غرقد الحرم

وكثيرا ما تحدث الشعراء عن دخولهم الأحياء بأفراسـهم، ويـصفون تلـك الأفراس بصفات تدل على مثاليتها. فالأعشى مثلا، يتحدث عن دخوله الحـي لـيلا،

---

[1] رينه ديسو، ص107.

[2] ديوانه، ص322.

[3] ديوانه، ص290.

[4] ديوانه، ص246.

وقد نبحته الكلاب في هذا الوقت المتأخر،إذ دخل بحصان طويل مشذب ليس بكثير اللحم، وشعرة صدره محمرة زاهية من أثر السمن والمرعى الحسن، يقول:[1]

ولقد طـرقت الحي بعـ ـد النوم تنبحنـي كـلابه
بمشـذب مقلده أسيـ ـل خـده مـرع جنابـه
فـي عازب وسمي شهـ ـر لن يعز بني مصابـه
حطـت لـه ريـح كمـا حطت إلـى ملك عيابـه

ونجد الافوه الأودي يتحدث عن فرسه، الذي قطع به الحي، وأخـذ الـشاعر يصف فرسه بالضمور والصلابة، فهو كعرض الجبل، لعضلاته المتماسكة المنضدة، ويشبه ساقيه بساقي بقرة وحشية، وطرفيه الخلفيين بطرفي الظليم في الربيـع، وقـد غاصتا في التراب الندي، وهو ذو غرة بيضاء، يقطـع شـقوق الأرض، ويتخطـى الغدران، وما كان يتوقف ليأكل، بل كان يقضم أغصان التنوم وهو يعدو، يقول:[2]

وقد غـدوت أمام الحي يحملنـي والفضلتيـن وسعيي، محنق شسف
مضبـر مثـل ركن الطود تحمله يدا مهاة ورجـلا خاصـب يجف
أغر أسقف سامي الطرف نظرته لين أصابعـه فـي بطنـه هيـف
فظـل بيـن لخافيـق وتنهيـة يخـذم أطـراف تنـوم، وينتـف

ويتجول عدي بن زيد العبادي بفرسه في روضة، جادها مطر غزيـر فـي فصل الخريف، وقد توقدت حسنا بألوان الزهر المتناثر على أرضها، ويشاهد فيهـا بيض النعام في رمال الروضة، وكذلك ولد النعامة الذي يخرج من البيضة لتوه، بعد انفلاق البيضة، ومنظر الثيران في الروضة بين نعاج تدافع بقرونها عـن أطفالهـا، يقول:[3]

---

[1] ديوانه، ص285.

[2] ديوانه، ص96-97. اللخافيق: مفردها لخفوق، وهو شق في الأرض. التنهية: الغدير، أو حيث ينتهي المـاء من الوادي. يخزم: يقطع. التنومة: نوع من النبات فيه سواد وفي ثمره، يأكله النعـام، وأكثـر منابتـه شـطان الأودية.

[3] ديوانه، ص152-153. اسجهر: طال وانبسط، بمعنى ظهر. العهون: جمع عهن، الصوف. الأعلاق: جمـع علق، وهو الجراب. العراقي: جمع عرقاة، وهي خشبة معروضة على الدلو. الأدامي: جمع أدمية، وهي بـيض

ومجـــود قـــد اسجهـــر تناويـــ ـــر كلون العهون في الأعلاق
عن خريف سقاه نوء من الدلـــ ـــو تدلـــى ولـــم توار العراقي
لم يعبه إلا الأداحي فقد وبـــ ـــر بعـــض الرئال في الأفلاق
وأدان الثيـــران حـــول نعـــاج مطفـــــلات يحميـــن بالأوراق
وتراهن كالأعزة فـــي المحـــ ـــفل أو حين نعمة وارتفـــاق
قـــد تبطنتـــــه بكفـــي خـــرا ج من الخيل فاضل في السباق

ويفتخر حسان بن ثابت ببلاده، التي يكثر فيها النخيل والأعناب، وتجري فيها جداول الماء، تغلغل في كل حديقة، وترعى نواحيها الخيول والإبل، يقول:[1]

لنـــا حـــرة مأطـــورة بجبـــالهـــا بنـــى العـــز فيهـــا بيتـــه فتأهلا
بها النخل والأعناب تجري خلالها جداول قد تعلو رقاقـــا وجـــدولا
على كل مفهاق خسيف غروبهـــا تفرغ في حوض من الماء أنجلا
له غلل في ظـــل كـــل حديقـــة يعارض يعبوباً من الماء سلسلا
إذا جئتها ألفيـــت في حجـــراتها عناجيج قبا والســـوام المذلـــلا

ويصور خفاف بن ندبة القرية، التي أوحشت من أهلها، وكانت تجري عليها الحياة، ويتذكر حياة القرية، من إنسان وحيوان، وتأخذه الذكرى إلى الخيل الكريمة العتيقـــة، ترعى في هذا المكان، وهي تحمل من الصفات، الضمور والنشاط والسرعة، يقول:[2]

أوحش النخل من معاقل فالرو ضات بيـــن الغيساء فالنجـــد
بدلـــت الوحـــش بالأنيس لما مر عليها من سالـــف الأبـــد
بعد ســـوام تعلـــو مسارحـــه تسمـــع فيـــه جـــوائز النقـــد
يحـــرس أكـــلاءه ويحفظـــه طرف كتيس الظبـــاء منجرد

أما ابن مقبل فكان أكثر الشعراء الجاهليين، تطوافا وتجوالا فـــي الروضـــات والمراعي بفرسه، ومن جولاته، حين يتحدث عن الروضة التي لم ينقطـــع المطـــر

النعام في الرمل. وبر: نبت زغبة. الرئال: جمع رأل، ولد النعامة. الأفلاق: ما تفلق من البيض. الخراج: كثيـــر الخروج.

[1] ديوانه، ص275. المفهاق: البئر الكثيرة الماء. الخسيف: التي قد خسف حبلها.

[2] شعره، ص83-84. النَّقَد: مفردها نقَدة، الصغيرة من الغنم، الذكر والأنثى في ذلك سواء.

عنها، فأخصب أرضها، حتى تسمع غناء الذباب فيها، دليلا على الخصب والخضرة في هذه الروضة، وقد كان الشاعر يتجول بفرسه عند الغروب، حين شرعت الشمس تسحب خيوطها من على الروضة، وهو يتجول بفرس يمتاز بالسرعة والنشاط والقوة، وقد ضمخ بالطيب والرائحة الزكية، من أثر نبات الروضة وزهورها، يقول:[1]

وغيث مريع لم يجدع نباته ... ولته أهاليل السماكين معشب
بسرت، وغناني الذباب عشية ... بذابلة، والشمس لما تغيب
وللشمس أسباب كأن شعاعها ... ممد حبال في خباء مطنب
بذي ميعة، كأن بعض سقاطه ... وتعدائه رسلا ذآليل ثعلب
جرى قفصا، وارتد من أسر صلبه ... إلى موضع من سرجه، غير أحدب
كأن ذناباه ومنسج متنه ... مداحض وقع القطر عن تيس حلب
يكاد برجليه يطير، وبطنه ... بطي رداء الراكب المتلبب
بدا كعتيق الطير قاصر طرفه ... مسربل ديباج القميص المطيب

وفي جانب أخر نرى ابن مقبل يفتخر بقومه وبمهورهم ذوات النسب الرفيع، فهي من آل الوجيه، ويتحدث عن مرابطها وقت شدة الحر. وهذه الخيول تسقى وتغذى باللبن، وترعى في المراعي التي يكثر فيها الحوذان، وهو من نبات السهل، طيب الطعم، تسمن عليه الخيل، وكذلك الخضر، وهي بقلة خضراء خشناء، يقول:[2]

فيهم تجاوب افلاء الوجيه إذا ... صام الضحى، تقدع الذبان بالنخر
تعتادها قرح ملبونة خنف ... ينفخن في برعم الحوذان والخضر

---

[1] ديوانه، 8-10. لم يجدع نباته: أي لم ينقطع عنه المطر. ولته: أي جاءت بعده. الذآليل: جمع الذّألان، بمعنى مشي الذئب، وهو سريع. الفرس القفص: المتقبض الذي لا ينطلق في الجري، ولا يخرج كل ما عنده من العدو. الذنابى: منبت الذنب هاهنا. والمراحض: المزالق. والعلب: نبات ترعاه الظباء وتسمن عليه، ويقال: تيس حلّب، وهو أسرع من الظباء. المتلبّب: الذي قد جمع ثيابه وتحزّم. قاصر طرفه: أي لا يمّد طرفه من كبره. والمطيب: المتضمخ بالطيب.

[2] ديوانه، ص86. تقدع الذبان بالنخر: أي تكفه وتطرده بأفواهها ونخيرها. والخنف: جمع خنوف، وهو الفرس الذي يثني رأسه ويده في شقّ إذا أحضر، وذلك من المرح والنشاط.

ونبات الحوذان هذا، ذكره الشاعر نفسه في قصيدة أخرى، ويبدو أنه الطعام المفضل لخيل ابن مقبل، يقول:[1]

نزعنا لها الحوذان حول سويقة　　فقد جعلت أفواههـــن توسف

ويصف الشاعر تجواله في إحدى الروضات، التي تتسال مجاريها بالمـــاء، بفـــرس عظيم المراكل، نشيط، شديد مغرز عنقه، رفيع معقد عذاره، سريع في نقل قوائمـــه، متبختر في مشيته من النشاط، لم يعبه سعال، يقول:[2]

وغيث تبطنــت قريانــه　　ترى النبت مكن فيه اكتهالا
بنهــد المراكل، ذي ميعة　　إذا احتفل الشد زاد احتفالا
شديــد الدسيع، رفيع القذا　　لِ، يرفع بعد نقالٍ نِقــالا
مــن المائحات بأعراضهـــا　　إذا الحالبـــان أرادا اغتسالا
يشـــــد مـــجـــامـــع أرآده　　بذي شــأوةٍ لم يعتّب سعالا

ويمضي ابن مقبل بفرسه الضخم العالي، كخشب الهودج في دقّته وضموره، له قوائم، عظيمة الجرم تامة، يمضي بفرسه إلى روضة بعيدة، تمتاز بـــالكلأ، لـــم ترع قط، ولم يطأها إنسان من قبل، فهي بعيدة عن أنظار الناس، وقد طـــال النبـــت فيها وارتفع، والتف وخرج زهره، وطال حتى صار كالبناء العالي، تـــشاهد الأتـــن ترعى في هذه الروضة، ويكاد الفرس يختفي بين هذا النبات الطويل المرتفع، وقـــد شبه حالته هذه بحالة الذي ينشد ضالته، فمضى الشاعر بفرسه، في هـــذا اليـــوم ذي الريح الحارة، فقام الفرس ساكناً من غير أن يعتلف وقد علقـــت بأرســـاغه بعـــض النباتات، يقول:[3]

---

[1] المصدر السابق، ص192. توسف: تتوسف، أي تتقشر.

[2] ديوانه، ص133-135. مكّن اكتهالا: أي قد قوي وطال. احتفل: أي اشتّد، والاحتفال من عدو الخيل: أن يرى الفارس أن فرسه قد بلغ أقصى حُضْرِه، وفيه بقيّة. الدسيع: مغرز العنق في الكاهل. الذال: معقد العذار من رأس الفرس خلف الناصية. النقال: ضرب من السير سريع/ من النقل، وهو سرعة نقل القـــوائم. المائحـــات: جمـــع مائحة، من ماح في مشيته إذا تبختر. الأرآد: جمع رؤْد ورِأد، وهو أصل الُلحْي الناتئ تحت الأذن. وبذي شأوة: أي برأس ذي شأوة، والشأوة: من شآني الشئ شأواً إذا أعجبني.

[3] ديوانه، ص276-280. الشجار: خشب الهودج. القر: الهودج. التجريم: من الجرم وهو الجسد. والعرد: مـــن عرد النبت إذا طلع وارتفع. وجن النبات: أي طال والتف وخرج زهره. والنواصف: جمع ناصفة، وهي موضع منبات يتسع من الوادي. واليحاميم: جمع يحموم، ونبت يحموم: أي أخضر ريان أسود، وحممت الأرض: بـــدا

وهيكل كشجار القـر مطـرد   في مرفقيه وفي الأنساء تجريم
عرجته رائداً في عازب عرد   جن النواصف فيـه واليحاميـم
مثل الطرابيل، أحدان الحمير به   تفلي معـارفها الجون العلاجيم
شذ الحوالي عنها شوذب حـدب   عاري النـواهق، بالتهناق منهوم
حتى دفعت لمستوري على عجل   في جـوزه ونصيل الرأس تقديم
كـأنـه ناشـد نـادى لموعـده   عبد منـاف إذا اشتد الحيازيـم
يثني على حامييه ظل حـاركـه   يوم قديديمة الجـوزاء مسمـوم
فصام شوك السفى يرمي أشاعره   نيطت بأرساغـه منه أضاميـم

ويشبه ابن مقبل صدح الذباب وغناءه في الروضة الواسعة، البعيـدة عـن أنظـار الناس، بصهيل الحصان بين الخيل، عندما يلاقي أفراساً أخرى، فتجاوبـه بـصهيل مشابه، يقول:[1]

في عازب رغد صـدح الذباب به   رأد النهار كصدح الفحل في الحصن
لاقـى خناذيـذ أمثـالاً فجاوبهـا   بصيـت صاتـه مـن صائت أرنِ

نباتها أخضر إلى السواد. الطرابيل:جمع طربال، وهو العلم يبنى بالحجارة وكل بناء عالي. والجون: جمع حون، وهي بمعنى البيضاء هاهنا، يريد الأتان الجون. والعلاجيم: جمع علجوم، وهي الأتان الطويلة الكثيـرة اللحـم. الشوذب: الحمار الطويل النجيب. والحدب: المشفقالذي يعطف على أتنه. والمنهوم التنهاق: المولع بـه، ينهـق كثيراً لحدته. الحيازيم: جمع حيزوم، وهو الصدر. الحاميان: جانبا حافر الفرس. والحارك: فروع الكتفين. وقـد مد يديمة: تصغير قدام على أنها مؤنثه. صام الفرس: قام ساكناً من غير أن يعتلف. والـسفى: شـوك الـسنبل والبهمى. والأشاعر: جمع أشعر، وهو ما استدار بالحافر من منتهى الجلد حيث تنبت الشعيرات حوالي الحـافر. الأضاميم: جمع إضمامة، وهي الحزمة.

[1] ديوانه، ص309. رأد النهار: وقت ارتفاعه واشتداد الحر. الأرن: النشيط المرح

الفصل الرابع

الدراسة الفنية

1.4 البعد التصويري... الصورة الفنية ومصادرها:

إن النظرة إلى المادة في العمل الأدبي – لاسيما الشعر – تختلف عنها في الأعمال الأخرى، فالنظرة في بقية الأعمال قد لا تغير من خصائص المادة، بل تنقلها – كما هي– من واقعها الحقيقي، وقد تتغير وظيفتها بعض الشيء في أعمال أخرى، أما بالنسبة للشعر، فالتحوير والتغيير شرط أساسي في الصورة الفنية المبدعة، فالشاعر يبتعد بالصورة من واقعها المتعارف عليه ليوظفها بواقع آخر، يكون جديدا، أو مغايرا، وربما مضاداً لذلك الواقع المعلوم. وبالتالي تختلف أخيلة الشعراء من شاعر لآخر، وتتحكم عملية الإبداع في القراءة النقدية للشعراء؛ ذلك أن موضوع الصورة الشعرية هو " المادة في هيئة معينة تجد روح الشاعر ذاته أو تجربته بشكل عام فيها معادلاً مناسباً. وهذه هي بداية إدراكه الحسي" [1]

لذا فإن " الصورة لا تغير من طبيعة المعنى في ذاته ولكنها تغير من طريقة عرضه وكيفية تقديمه".[2] ومن هنا تتفاوت العملية الإبداعية من شاعر لآخر في تقديم المعنى وعرضه من خلال الصور. وقد "تتمازج مواد الصورة المختلفة في هيكلها"[3] وغالباً ما تتألف الصورة الفنية من حدّين أساسيين: أحدهما حاضر ماثل أمام الشاعر يريد وصفه، وثانيهما مختزن في الداخل يماثله أو يضاده.

والشاعر العربي يعتمد في تشكيل صوره على مصادر وأنماط تعد أساساً في تحركاته الفنية، ولم يخرج الشاعر الجاهلي عن هذه المصادر، فاستقى من الحياة الإنسانية واليومية وحياة الحيوان والطبيعة، وجمع في كثير من موضوعاته تلك

---

[1] عبد القادر الرباعي، الصورة الفنية في شعر أبي تمام، ص30، ط 2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1999

[2] جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ص 323، ط 3، المركز الثقافي العربي، بيروت 1992

[3] إبراهيم بن عبد الرحمن الغنيم، الصورة الفنية في الشعر العربي ص 88، الشركة العربية، السعودية.

الصور المختلفة يعبر بها عن تجربة أو قضية أو فكر ما، أو معتقد يعتقده. وهكـــذا يصبح الموضوع الواحد معيناً تتشكل منه أعداد هائلة من الصور"[1]

وتأتي الخيل في معظم الأحيان، ركناً أساسياً من أركان الصورة، مشبها، بينما نجدها في بعض الأحيان مشبها بها. ومهما يكن من أمر فهي تشكل عموداً أساسياً في خباء الصورة الفنية لدى الشعراء.

1.1.4 الحياة الإنسانية:-

برز الجانب الإنساني لدى شعراء الجاهلية في حديثهم عن الخيل، فظهـــرت صورة الرجال والنساء، وظهرت صورة الأم والمرأة العاملة، كما ظهرت صـــورة الرجل العامل، والرجل الحبشي والأعجمي، والرجل المجنون والسكران، والأحول، والجبان. ومن خلال هذه الصور جميعها تتكشف عقلية الشاعر ونفسيته. لكن الأمـــر الذي يجب أن ندركه هو أن هذه الصور لا تنبع من نفسية وعقلية واحدة، بل نفسيات وعقليات مختلفة لكنها تجتمع تحت إطار ثقافي واحد.

إن تتبع الموضوع الذي تتشكل هذه الصورة جزءاً منه، يساعد كثيـــرا علـــى الكشف عن تلك النفسية والعقلية المختزنتين عند الشاعر، والتي منهمـــا تنبـــع تلـــك الصورة. ونتحدث في بداية الأمر عن الجانب العقلي للإنسان، فالشاعر في مقام مدح فرسه، يتحدث عن النشاط والسرعة والقوة، حتى يكلل مدحه بالجنون، وكثيـــراً مـــا يجلب التصرف الأهوج المتسرع هذه الصفة عند الشاعر، وبالتالي هي تحمـــل فـــي الذاكرة عملاً غير عادي، وهو ينسب هذا العمل الخارق للعادة لفرسه، حـــين يقـــول خفاف بن ندبة:[2]

نملُ إذا صفر اللجام كأنه　　رجل ينوه باليدين سليبُ

وفي ساحة الوغى يطلب الشاعر فرساً يحمل صـــفة اللاعقلانيـــة، يخـــوض ويخترق الصفوف، كمن سلب عقله الشراب، فهو نشط يتبختر فـــي مـــشيته، يقـــول عنترة:[3]

---

[1] عبدالقادر الرباعي، ص30.

[2] شعره، ص 42. نمل: فرس النمل لا تستقر في مكان وهو نعت الغلظ.

[3] ديوانه، ص 262. النكل: الدفع والصرف.

وكـــأن مشيتـــه إذا نهنهتـــه   بالنكل مشية شارب مستعجل

ويستقي المزرد بن ضرار من مجلس الخصومة والمجادلة صـــورة جميلـــة للرجل المجادل الشديد الخصومة، والذي يقلب كفيه ويلتفت يميناً وشمالاً، ليصف بها فرسه، مادحاً نشاطه. والشاعر ينقل لنا صورة اجتماعية تدور في مجالسهم، ومـــن الملاحظ أن جري الفرس صورة ماثلة أمام الشاعر، بينما صورة المـــسلوب العقـــل والسكران والمجادل هنا، صورة مختزنة في الذاكرة ساقها الـــشاعر ليوظفهـــا فـــي التعبير عن نشاط فرسه وحدته، يقول:[1]

صفوح بخدّيها وقد طال جريها   كما قلّب الكف الألدُّ المجادلُ

ويرتبط بهذه الصفه الخلقية الرجل الجبان، الذي يفر من المعركة، ويهـــرب من المواجهة، لكن الشاعر هنا يعبر عن فرار الخصم وصده عن المواجهة، بـــصد الخيل في المعركة حين تحبس وترد باللجام، لأن العادة أن تحجم الخيل ولا يحجـــم الفارس، وهي صورة تحمل دلالة الخزي والعار، يقول الأعشى:[2]

صددت عن الأعداء يوم عُباعبٍ   صُدود المذاكي أقرعتها المساحلُ

وتطرق عنترة إلى الصفة الخلقية، حين أراد التعبير عن عزّة نفـــس فرســـه ونشاطه، بالأحول، وهو عيب خلقي في الإنسان، لكن الشاعر حور في الصورة من المعنى القبيح إلى الحسن، فنظر إلى الصورة من زاوية أخرى، وذلك حين ينظر هذا الأحول إليك وتحسبه ينظر إلى جهة أخرى، فيظن الكبر والغـــرور فيـــه، فاســـتقى الشاعر، هذه الفكرة معبراً بها عن تلك العزة والنشاط اللذين يتمتع بهما فرسه، ثقـــة به في ساحة القتال، يقول:[3]

سلـــس العنان إلى القتال فعينـــه   قبـــلاء شاخصة كعيـــن الأحوال

[1] المفضليات، ص 97.

[2] ديوانه، ص 271

[3] ديوانه، ص 261

أما أبو دؤاد الإيادي فإنه يؤكد على صفه ادماج الخلقة، ويستعير صـــورة الرجل العريان الغليظ الخلق؛ ليحرك بها شعوره بالقوة والسرعة، حين يأخذ من هذه الصورة فكرة القوة والسرعة، ويسقطها على فرسه، يقول:[1]

مكر سبـط العـــذر ة ذي عفـو وذي عقـب

كشخص الرجل العـريا ن فعم مدمـج العصـب

ويتعلق بجانب الغلظة الرجل الذي يعمل بيساره، حين يوصف بجهامة الوجه وغلظ الطبع، وتحتاج هذه الصفة في مواقف الحرب؛ لذا فإن الشاعر يستعير صـفة هذا الرجل وصورته الجهمة والغليظة، لفرسه في ساحة الوغى، يقول ابن مقبل:[2]

أجبتُ بني عيلان، والخوض دونهم بأضبـط جهم الوجه مختلف الشجر

أما المرأة فتظهر عكس الرجل من الناحية الخلقية، ونجد الأعـشى يـستعير للفتاة الهيفاء، صورة توضح هذا العنصر الجمالي من خلال المهرة الضامر، إذ جعل المهرة مشبهاً به؛ ليقوي الصورة الجمالية لتلك الفتاة، يقول:[3]

عهدي بها في الحيّ قد سربلت هيفاءِ مثـل المهـرة الضامـر

وفي الجانب المهني نلاحظ بعض الأعمال عند الرجال والنساء، ومـن هـذه الأعمال، الطبخ، الذي يستعيره الشاعر صورة اجتماعية، في التعبير عـن شراسـة قومه في الحرب ومدى قوتهم، وهم يطئون بحوافر خيولهم الأعداء، بالطباخ الـذي يطأ رؤوس العظام في المراجل، وهي صورة اجتماعية استعارها الشاعر ليوظفهـا في التعبير عن صورة الحرب، يقول عمرو بن معد يكرب مهدداً:[4]

أعبّاسُ لو كانت شيـاراً جيادُنا بتثليث ما ناصيت بعدي الأحامسا

لدُسناكم بالخيل من كلِّ جانـبٍ كما داس طبّاخ القدور الكرادسـا

---

[1] ديوانه، ص 288. العذرة: شعر الناصية. العفو: أول الجري. العقب: الجري بعده. فعم: ممتلـئ. العـصب: ادماج الخلق.

[2] ديوانه، ص 110.

[3] ديوانه، ص 139.

[4] شعره، ص 111. شيارا: سمانا؛ مفردها شير؛ وقد شار الفرس أي سمن وحسن. تثليث: واد بنجد. ناصـيت: نازعت وباريت. الأحامس: جمع أحمس، وهو المشتد الصلب في الدين. الكراديس: رؤوس العظـام؛ واحـدها كردوس.

كما تظهر صورة الرجل النجار عند أبي دؤاد، حين يصف فرسه، ويستعير القتب الذي يصنعه النجار، ليصف كتفي فرسه بالارتفاع، يقول:[1]

كتفاهـا كما يُشعِّب قينٌ قتباً فـي أحنائـه تشميمُ

ويبرز " قعضب " الرجل الذي كان يعمل الأسنة في الجاهلية، عند طفيل الغنوي، حين يتحدث عن خيول قومه، يقول:[2]

وعوج كأحناء السراء مطت بها مطارد تهديهـا أسنة قعضب

وفي المقابل كان هناك المرأة العاملة التي تجيد خرز الدلاء وفريهـا ، حين يصف ابن مقبل فرسه، وهو يصفق الذباب بطرفه، يقول:[3]

إذا مأقياه أصفقا الطـرف صفقة كصفق الصناع بالطبـاب تقابله

وهناك صورة اجتماعية، طرفها الثاني سيد وعبدٌ له، استوحاها الشاعر ليعبر عن الطرف الأول، وهي صورة فرسه ولحاقه بالطريدة، ليعبر عن تلك السرعة التي تحركها نفسيته المضطربة تجاه الدهر، الذي يسطو على عمر الشاعر، يقول ابن مقبل:[4]

حتي دُفعت لمستوري على عجلٍ في جوزه ونصيـل الرأس تقديم

كأنـه ناشد نادى لموعـده عبد منـافٍ إذا اشتدّ الحيازيمُ

والنفس تنفر أحيانا من ذكر المشيب، وتستأنس بأحاديث الشباب وذكرياتـه، والخيل الوسيلة المناسبة لنقل الصورة المضطربة التي يعانيها الشاعر في هذه المرحلة العمرية، يقول عروة بن الورد:[5]

يدعونني كهلا وقد عشتُ حقبـةً وهنّ، عن الأزواج نحوي، نوازع

---

[1] ديوانه، ص 342.

[2] ديوانه، ص 21.

[3] ديوانه، ص 252. الطباب: جمع طبابة وهي الجلدة التي تجعل على طرفي الجلد في القربة والسقاء، وتسوى وتخرز.

[4] ديوانه، ص 278. جوزه: وسطه. نصيل الرأس: أعلاه.

[5] ديوانه، ص 100.

كأني حصان مال عنه جلالـــــه أغر، كريـــم، حوله العوذ، راتع
فما شاب رأسي من سنين تتابعــت طوال، ولكــن شيبته الوقائــــع

وفي دائرة الحياة الاجتماعية، تبرز لنا صورة الرجل الأمــين، الــذي يقعـد لمراقبة لاعبي الميسر، إذ يستعير أبو دؤاد لقوائم فرسه التي تثيــر الحــصى فــي جريها، صورة مقاعد الرقباء في لعبة الميسر، يقول:[1]

وقوائمٌ حذفٌ لهــــــــا من خلفهـــا زمعٌ زوائــد
كمقاعد الرقباء للضـــــُـ ــرباءِ أيديهــم نواهـــدْ

والشاعر نفسه يستوحي الصورة الاجتماعية التي تعبر عـــن ظلــم المجتمـــع الجاهلي للسود والعبيد، ويستغل تلك الطاقة الكامنة عند العبد حــين يــشتد لظلمـــه غضبُه، ويسعى للانتقام لنفسه. وهكذا يحاول الشاعر أن يصف تلك القوة والــسرعة اللتين يتمتع بهما فرسه، بحبشي مظلوم تمطى ليرمي حربـــة، فهــو أشــد لتمطيـــه وغضبه معا، يقول:[2]

وتمطـــى بوعا كمـــا يتمطى حبشــي، بحــربة، مظلــوم

وتظهر صورة الحبشي الأسود الرفيع الساقين، يلاحقه رجال ســـود أعـــاجم مثله، وقد حلوا آذانهم باللآلئ، وتظهر هذه الصورة عند الأفوه الأودي الذي يــشبه فرسه بهذا الحبشي الأسود، يقول:[3]

كالأسود الحبشي الحمش يتبعه سود طماطم في آذانها النطف

ولعل صورة الخيل في غير الحرب والتهديد تظهر مغايرة للصور الــسابقة، إنها صورة الولادة، ينقلها الشاعر للتعبير عن الاهتمام بالخيل ورعايتها، ويـــستوحي من ذاكرته صورة المرأة النفساء، يقول أبو دؤاد:[4]

بكـــرت بأيديهم توجــس حـــرة نفساء شاخصـــة تلفـــع بالسلـــى
يقفونهـــا بالـــزاد وهي أثيـــــرة معصوبة الحقوين من حذر الخوى

---

[1] ديوانه، ص 307. الضرباء: المتياسرون. نواهد: مرتفعة.

[2] ديوانه، ص 344.

[3] ديوانه، ص 98. الحمش: دقيق الساقين. الطماطم: الأعاجم. النطف: مفردها النطفة، وهي اللؤلؤة.

[4] ديوانه، ص 349.

وفي المقابل تظهر صورة المرأة المتهالكة على الرجال، للتعبير عن المرح والنشاط الذي يمتاز به الفرس، يقول أبو دؤاد:[1]

غدونا به كسوار الهلو ك مضطمراً حالباه اضطمارا

وينقل حسان بن ثابت صورة النوائح الباكيات، وهي صورة اجتماعية نقلها الشاعر وأراد أن يوضح مدى المصاب الجلل، فيصور شعورهن بأذناب الخيول الشمس، يقول:[2]

ينقضن أشعاراً لهن هناك بادية المسائح
وكأنها أذناب خيـ ـل بالضحى شمس روائح

وليس هناك صورة استعارها الشاعر من الواقع الاجتماعي، أجمل من صورة الأم التي تحنو على أولادها، وترعاهم وتخاف عليهم، حين يتحدث عروة بن الورد عن علاقته بأصحاب الكنيف ومساعدته لهم، ولكنهم كالأم التي ترجت نفع ولدها بعد تربيته فخذلها، وفي المقابل ظهرت صورة الفرس الذي لم يخذل صاحبه ونجاه في ليلة وقعت الدواهي بها، ويقارن عروة بين أصحابه الذين خذلوه وفرسه الذي كان وفيا معه، يقول:[3]

فإني وإياكم كذي الأم أرهنت له ماء عينها، تفدي وتحمل
فلما ترجت نفعه وشبابه أتت دونها، أخرى جديد تكحّل
فباتت لحد المرفقين كليهما توحوح مما نابها، وتولول
تخير من أمرين ليسا بغبطة هو الثُكل، إلا أنها قد تجمل
كليلة شيباء التي لست ناسيا وليلتنا إذ من، ما من، قرمل

وتظهر صورة الإنسان الممدوح الذي تربطه علاقة قوية بالشاعر، من خلال حركة الأيدي التي تمسح جبهة الفرس الأغر المشهر، ويؤكد الشاعر على فكرة المدح من خلال الخيل، يقول ابن مقبل:[4]

---

[1] ديوانه، ص 352. وسوارها: قلق مضطرب لتثنيها وتخلعها. مضطمر: ضامر.

[2] ديوانه، ص 374.

[3] ديوانه، ص 122 – 123.

[4] ديوانه، ص 136.

أغر غريباً يمسح الناس وجهه كما تمســح الأيدي الأغر المشهرا

وفي موضع آخر يتحدث عن تلك العلاقة بشكل مغاير، فهذه المــرة يــصور خوف الملك ورعدته من قوم الشاعر، ويستعير لتلك الفكرة صــورة الخيــل التــي تحامي عن أولادها، يقول:[1]

كأن أوساطه بالباب ممسكة أذناب بلق تحامي عند أمهار

ويمدح حاتم الطائي أحد الملوك الذين وقع بعض قومه في أسرهم، ويــستعير صورة الجواد في السباق، ليمثل بها هذا الملك عندما فك أسرى قومه، يقول:[2]

كسبق الجــواد، غداة الرهــا ن، أربى على السن شأواً مديدا

أما امرؤ القيس فإنه يصور رئيس الفرس المنطق، حين أراد وصف وقــوف فرسه، ومن حوله يخضبونه بدم الصيد، وهي صورة ينقلها الــشاعر مــن الواقــع الفارسي، وتصور هيبة الرئيس عند الفرس وجلاله بينهم، يقول:[3]

وقام طُوال الشخص إذ يخضبونه قيــام العزيــز الفارســي المنطــق

وإلى جانب ذلك ظهرت التلبية التي تختص بالجانب الديني عندهم، وذلك عند خفاف بن ندبة حين يشبه صوت فرسه برفع الصوت عند التلبية، يقول:[4]

يغدو على شسبٍ شعثٍ عقايقها كــأن تصويته تصــويت إهلال

كما ظهرت صورة اليهود الذين يعمرون معابدهم، ويتفننون فــي إعمارهــا ويحرصون على حمايتها، يقول عمرو بن معد يكرب مــصوراً اســتعداده للحــرب بالخيل والسيوف والرماح:[5]

عمرت مجال الخيل بالبيض والقنا كما عمرت شمــط اليهود الكنائسا

---

[1] ديوانه، ص 104.

[2] ديوانه، ص 207.

[3] ديوانه، م 2، ص 638.

[4] شعره، ص 89. الشاسب: النحيف، اليابس من الضمور. العقيقة: الشعر الذي يولد به الطفل، لأنه يشق الجلد.

[5] شعره، ص 113.

2.1.4 الحياة اليومية:

لقد وظف الشعراء الجاهليون في حديثهم عن الخيل، عناصر كثيرة من الحياة اليومية التي يعيشها الناس في عصرهم، ولعل هذا التوظيف كان يرتد في أغلب الأحيان إلى نفسية الشاعر وعقليته، بحسب الموقف أو التجربة التي هو بصددها، ومن الملاحظة أن عناصر الحياة تكثر في الشعر، وتتوزع في دوائر عدّه، منها دائرة الحياة الحربية، ودائرة الحياة المنزلية، ودائرة حياة اللهو واللعب، سواء أكان ما يقوم به الأولاد في لعبهم أم الرجال في ميسرهم وشربهم، وهناك دائرة الماء ودائرة النار، كما وجدت بعض المؤشرات إلي الزراعة والصناعة والتجارة، وهي مؤشرات قليلة قياساً بالدوائر الخمس السابقة.

ونبدأ حديثنا بدائرة الحياة الحربية، التي تشكل الخيل فيها العماد الأساسي، إذ اشتملت هذه الدائرة على العديد من أدوات الحرب والقتال، ومن ذلك، الرماح التي يحملها المقاتلون للطعن، ويستعير منها الشاعر صفه الدقة والضمور ليصف بها فرسه، وهي صفه مطلوبة في الفرس، يقول ابن مقبل:[1]

كأن لم تبوئنا عناجيج كالقنا جناباً تحاماه السنابك أخضرا

ويستغلّ حاتم الطائي صفة الضمور في الرمح، ليصف بها فرسه، قائلا:[2]

يجد فرسا مثل القناة، وصارماً حساما إذا ماهُزّ لم يرض بالهبر

والفكرة نفسها يستعيرها بشر بن أبي خازم ليصف أفراس قومه، قائلاً:[3]

شوازباً كالقنا، قوداً، أضرّ بها شم العرانينِ أبطال هُمُ خلفوا

أما السهم الذي يخترق الزمن والمسافات بسرعة فائقة، فكان له نصيب وافر عند الشعراء في حديثهم عن الخيل، فاستلهموا صورة السهم المريش ليعبروا عن سرعة الفرس، كما نجد عند عبيد بن الأبرص، في قوله:[4]

فهو كالمِنْزَع المريش من الشو حط مالت به شمال المغالي

---

[1] ديوانه، ص 140. العناجيج: جمع عنجوج، وهو الراعي من الخيل.

[2] ديوانه، ص 253 .

[3] ديوانه، ص 141 .

[4] ديوانه، ص 109. المغالي: الذي يرفع يديه بالسهم إلى أقصى غاية.

ويصف بشر بن أبي خازم سرعة أفراسهم، ولا يجد تشبيهاً أدق وأقوى في التعبير من خروج السهام من الهدف، مضمناً في هذه الصورة فخره بتلك الأفراس، لكثرتها وسرعتها، يقول:[1]

أثرْن عجاجةً فخرجن منهــا   كما خرجت من الغرض السهام

وحين يمدح الأعشى قيس بن معد يكرب، يصفه بقيادة الخيول الضمر التــي تنفذ بسرعة كما تنفذ السهام، دليلا على قوة الممدوح وسرعة انقضاضه على عدوه، يقول:[2]

القائــد الخيــل الجيــا   د ضوامراً مثل المغالي

ويظهر الترس كأداة من أدوات الحرب، يصد به المقاتل ضربات الــسيوف، وقد يجهز به على عدوه، لكن الشاعر يأخذ من صورة التــرس اتــساعه، وجمــال ظهره، كما وصف امرؤ القيس جبهة فرسه وشبهها بظهر ترس أبدع العامــل فــي صنعه، في إشارة إلى صناعة التروس، قائلا:[3]

لها جبهة كسراة المجــ   ــن حذقه الصانع المقتدر

لكن ابن مقبل يختار ترس الروم ليشبه به فرسه؛ وقد شهرت بالكبر والشدة، وهو لا يصف هنا جبهة الفرس، بل أراد أن يصف بطنه، فأختــار لــذلك التــرس ليتناسب وفكرته، يقول:[4]

كأن ما بين جنبيــه ومنقبــه   من جوزه ومقــط القنب ملطوم

بترس أعجم لم تنخــر مثاقبه   مما تخير في آطامها الـــروم

---

[1] ديوانه، ص 210.

[2] ديوانه، ص 341.

[3] ديوانه، م2، ص 626.

[4] ديوانه، ص 276 – 277. مقط القنب: منقطعه، من القط وهو القطع. القنب: جراب قضيب الدابة. الملطــوم: الملصق، من لطم الشيء بالشيء إذا ألصقه به.

بل إن متن الفرس وغيره من المواضع التي يذكرها الشاعر في البيت التالي، بمثابة صفيحة ترس، يقول:[1]

إلى كبد كأن منهاة سوطهـــا بفرج الحزام بين قنـــب ومنقب

وما انتقصت من حالبيه ومتنه صفيحه ترس جوزهـــا لم يثقب

ويدخل النصل كأداة من أدوات القتل في ساحة الحرب وغيرها، يقول العباس بن مرداس السلمي، مشبها فرسه بالنصل العريض الطويل:[2]

إذا ما التقينا كان أنس حديثنا صماتا بطرف كالمعابل أطحل

ويشبه عمرو بن معد يكرب القرحة في وجه فرسه، بالحلقة الـصغيرة التـي يُتعلم عليها الطعن والرمي، قبل أن يدخل الرجل ساحة المعركة، يقول:[3]

تباري قرحة مثل الـــ ـــوتيرة لم تكن مَغْدا

وأما ما يتعلق بدائرة الحياة المنزلية، فقد ظهر الخباء وما يتعلق به من أعمدة وغيرها، وظهر ما يتعلق بالطبخ والطعام، وأكثر ما لوحظ في هذه الدائرة، ما يتعلق بزينة المرأة من حنّاء وكحل وغيره.

ونبدأ حديثنا بالخباء الذي يجمع كل هذا، فقد جذب ارتفاع الخبـاء، لاسـيما وقوعه على المكان المرتفع، نظر الشاعر الجاهلي، وعد الارتفاع والضخامة صـفة محمودة في الفرس، فاستعار تلك الصورة لفرسه؛ ليسقط عنـصري الـضخامة والارتفاع على فرسه، يقول المزرد بن ضرار:[4]

تقول إذا أبصرته وهو صائم خباء على نشز أو السيد ماثل

---

[1] ابن مقبل، ديوانه، ص 353. منهاة سوطها: حيث ينتهي السوط إليه منها. القنب: وعاء قضيب الفرس. المنقـب من السرة: قدامها حيث ينقب البيطار في بطن الفرس حتى يسيل منها ماء أصفر. الحالبـان: عرقـان يكتنفـان السرة. جوزها: وسطها.

[2] ديوانه، ص 131. المعابل: جمع معبلة، نصل عريض طويل.

[3] شعره، ص 62. قرحة: بياض يسير في وجه الفرس دون ضره. الوتيرة: الحلقة الصغيرة يتعلم عليها الطعـن والرمي. المغد: النتف.

[4] المفضليات، ص 95.

أما أبو دؤاد فإنه يضع لهذا الخباء أعمدته القائمة، حيث يشبه رجلي فرسه بالأعمدة؛ ليضفي عليه عنصري الطول والقوة؛ حتى يتمكن من اللحاق بطريدته، يقول:[1]

يعنـــي الخاضـــب الأخر ج فـــي ذي عمد صهـــب

ونعود إلى المزرد بن ضرار الذي يفرش الخباء، حين يشبه ضلوع فرسه بالحصير، يقول:[2]

وقلقلته حتـــى كأن ضلوعـــه سفيف حصير فرجَتْه الرواملِ

وتدخل بعض الأدوات المنزلية ضمن اهتمام الشاعر بالصورة الفنية، عنـــدما عرض أجزاء فرسه، ويقابل هذه الأجزاء بتلك الأدوات، كما نجد عنـــد أبـــي دؤاد، واصفاً فرسه ومشبها به الكُوب؛ لدّقه عنق الفرس وعظم رأسه، يقول:[3]

أشعبُ أقَرنُ قد طالت نسيلته من الظباء كأن رأســـه كـــوب

ويستعير امرؤ القيس صورة القدح الصغير للصبي؛ ليوظفه في شعره، واصفا حافر فرسه بالقدح الصغير؛ لأنه يستحب في الفرس أن يكون حافره صغيراً، عوضا عن الكبير لأنه ثقيل مضطرب، يقول:[4]

لها حافر مثل قعبِ الوليد ركب فيـــه وظيـــف عجر

وهناك المقص الذي يجز به الصوف والشعر، اســـتعاره النابغـــة الـــذبياني؛ ليصف خيول عمرو بن الحارث بالضوامر، حين أوقع ببني عوف، يقول:[5]

شوازب كالأجلام قد آل رمها سماحيق صفراً في تليل وفائل

ويصف بشر بن ابي خازم مهار الخيل في الثالثة من عمرها، بالأداة نفـــسها التي شبه بها النابغة الخيول بحديدة الجز، يقول بشر:[6]

---

[1] ديوانه، ص 289.

[2] المفضليات، ص 96.

[3] ديوانه، ص 296. أشعب: تباعد ما بين قرنيه.

[4] ديوانه، م2، ص 624. الوظيف: ما بين الرسغ إلى الركبة أو ما بين الرسغ إلى العرقوب. والعجر: الذي كان فيه عقد لصلابته.

[5] ديوانه، ص 199. كالأجلام: جمع جلم وهو المقص. رمها: مخ عظامها. سماحيق: جمع سمحاق وهو الرقيق. التليل: عظم العنق. الفائل: عظم الفخذ.

[6] ديوانه، ص 211.

بأحقيهـا الملاء محزمـات كأن جذاعها أصـلا جـلامُ

ويدخل في هذا الجانب الحديدة التي يكوى بها، وهو الميسم، ولعـل سـرعة التهاب الميسم في الوبر لفتت انتباه أوس بن حجر، ليصف نجاة أحدهم من المعركة بفرسه، ومدى سرعة هذا الفرس، في تشبيه يحمل في طيّاته مدحا للفـرس وهجـاءً للفارس، يقول:[1]

نجاك جيـاشٌ هزيـم كمـا أحميت وسْط الوبر الميسمـا

ويشبه ضمرة بن ضمرة الغارة على الأعداء بلذعة الميسم في الوبر، لسرعتها، يقول:[2]

مـاوى بـل ربتمـا غـارة شعـواء كاللذعـة بالميسـم

وتبرز رحى الثقال في شعر الحرب حين يرغب الـشاعر وصـف الحـرب الطاحنة التي تعرك الرجال في ساحتها، لكن الصورة تختلف عند عمرو ابـن معـد يكرب، فهو لا يأخذ من صورة الرحى هذه، سوى الحركة فقط عند الطحن، فيـشبه عضلات صدر فرسه، وهي تمور أثناء جريه بالرِحى وهي تطحن، دليلا على القوة والصلابة، يقول:[3]

في مركلين ومنكبين وحـارك فـي بركـة كرحى الثقال مقدمـه

وجاءت صوره الطحين من أثر قوة حوافر الخيل، التي تحول الحجارة إلى طحـين بفعل السرعة والقوة والصلابة، كما هي حال فرس أبي دؤاد، يقول:[4]

وهمـة تترك الرضيم طحينا بنسـور لهـن وقـع مديـم

ويستخرج امرؤ القيس من الحياة الاجتماعية في العصر الجـاهلي صـورة للكرم العربي، حين يبرز القدور التي تغلى أمام بيوتهم؛ ليوظف صورة الغليان فـي وصف سرعة فرسه، فهو يشبّه صوته عند انطلاقه وسرعته بصوت غليان المرجل

---

[1] ديوانه، ص 114.

[2] بنو تميم، شعرهم، ص 286.

[3] شعره، ص 153.

[4] ديوانه، ص 342. الرضيم: الحجارة المرضومة.

عند الطبخ، وهي صوره مألوفة في حياتهم دليلاً على كرمهم وحسن ضيافتهم، يقول:[1]

على الذبل جياش كأن اهتزامه إذا جاش فيه حميه غلي مرجل

وتبرز صورة المرجل الذي يفور، عند خفاف بن ندبة، قائلاً:[2]

كما جاش بالماء عند الوقود مرجل طباخه ثم فارا

أما حسان بن ثابت فيشبه تلك القدور الكثيرة التي ينصبها قومه أيام المحل لإطعام الناس، بجماعات الخيل القائمة بجانب الدور، وهي صورة تحمل الافتخار بالكرم وبالفروسية، يقول:[3]

حسبت قدور الصاد حول بيوتنا قنابل دهما في المحلة صيما

ولقد كان للملح حضور في شعر الخيل عند الشعراء الجاهليين، لاسيما حين ييبس العرق على ظهر الخيل بعد جريها وبذلها جهدا عظيما، في غزو أو صيد أو سباق أو غيره، فيشبه الشعراء يبيس العرق بالملح، كما هي الحال عند الطفيل الغنوي، يقول:[4]

كأن يبيس الماء فوق متونها أشارير ملح في مباءة مجرب

ويدخل في هذا الدائرة، كل ما يتعلق بالزينة وأدوات الجمال في المجتمع الجاهلي، ومن هذه الزينة الخضب بالحنّاء، حيث يخضبون بالحناء شعورهم، لاسيما شعر الشيب، وقد أوحى اللون الأحمر للحناء إلى الشاعر الجاهلي فكرة التشبيه، حين أراد وصف الدم الأحمر، الذي يسيل على جسد الخيل من أثر طعن الطريدة، كما هي الحال عند امرئ القيس، يقول:[5]

كأن دماء الهاديات بنحره عصارة حناء بشيب مرجل

---

[1] ديوانه، م1، ص 251.

[2] شعره، ص 81.

[3] ديوانه، ص 129. الصاد: الصفر.

[4] ديوانه، ص 24. الأشارير: واحدها إشرارة، وهي قطع أو خفصة يطرح عليها الأقط ويسهل ويذهب ماؤه. المباءة: مراتع الإبل.

[5] ديوانه، م1، ص 266.

وفي رحلة صيد أخرى، يقول:[1]

كأن دمــاء الهــاديات بنحــره عصارة حنــاء بشيب مخضب

وفي رحله ثالثة، يكرر الشاعر نفسه تلك الصورة، قائلاً:[2]

كــأن دماء الهاديات بنحــره عصــارة حنــاء بشيب مفــرق

كما ظهر الدهن عند الأعشى، حين يمدح قيس بن معد يكرب بأنه يهب كل فرس جواد، في لونه الأحمر الداكن اللماع، ويشبه جلده بدهن السمسم لوضاعته واكتنازه، يقول:[3]

وكــل كــميــت كــأن السليــ ــط في حيث وارى الأديم الشعارا

ومن صور الحياة اليومية ظهرت بعض المفردات التي تختص بالنــساء دون الرجال، ومن هذه المفردات، الخمار، والطيب والزعفران والمسك، وعقــد اللؤلــؤ والسوار والمرآة، كما ظهر الهودج الذي تحمل عليه النساء، ومــن الــذين ذكــروا الخمار الذي تغطى به المرأة رأسها، السليك بن السلكة، وقد ذكره عندما مات فرسه النحام، فشبه بياض غرّته بالخمار، يقول:[4]

على قرمــاء، عاليــة شواه كأن بيــاض غرتــه خمار

ويمدح بشر بن أبي خازم فرسه، ويكرر صورة الخمار الأبيض الذي يشبه به غرة الفرس البيضاء، يقول:[5]

يظل يعارض الركبــان يهفو كأن بياض غرتــه خمــار

ونجد عبيد بن الأبرص يشبه إدبار فرسه واستدارة أوراكه، بالقارورة التــي كبس فيها الطيب والزعفران، يقول:[6]

أمــا إذا أدبــرت فكأنهــا قارورة صفراء ذاتُ كبيس

---

[1] ديوانه، م1، ص 405.

[2] ديوانه، م2، ص 639.

[3] ديوانه، ص 53.

[4] بنو تميم، شعرهم، ص 58.

[5] ديوانه، ص 77.

[6] ديوانه، ص 70.

ويشبه سلامة بن جندل، الدماء التي تسيل على نحور الخيل في المعركة بالمسك، يقول:[1]

كأن على فرسانها نضخ عندم   نجيع، ومسك بالنحور يسيل

أما عقد اللؤلؤ الذي تطوق به المرأة رقبتها، فيذكره ابن مقبل في معرض حديثه عن الخيل في المرعى، حين يشبه تساقط الذباب من جفون الفرس بسقوط الجمان من سلكه، يقول:[2]

حسبت التقاء مأقييه بطرفه   سقوط جُمان أخطأ السلك واصله

ويستعير أبو دؤاد من سوار المرأة صفاء اللون واللمعان، ليصف به الحصان النموذج، قائلاً:[3]

نبيل سلجم اللحيين   صافي اللون كالقلب

ويصف امرؤ القيس عيني فرسه بالصفاء، حين يشبهها بالمرآة، وهي من أدوات الزينة، أكثر ما تختص بها المرأة، يقول:[4]

وعينان كالماويتين ومحجر   إلى سند مثل الصفيح المنصب

ويدخل في هذا الإطار المحمل الذي تركبه النساء على الجمال، وهو الهودج، فيشبه الأفوه الأودي فرسه به، قائلاً:[5]

كالهودج الساطع المحفوف، يحمله   صقبان من عرعر ما فوقه كنفُ

ويستعير ابن مقبل من خشب الهودج دقته وضموره، ليصف به فرسه الضامر، قائلاً:[6]

---

[1] ديوانه، ص 191.

[2] ديوانه، ص 252.

[3] ديوانه، ص 289. السلجم: الطويل. القلب: السوار.

[4] ديوانه، م1، ص 382. الماوية: المرآة كأنما نسبت إلى الماء لصفائها، وقيل: هو حجر البلور. والمحجر: ما أحاط بالعين وظهر من النقاب. الصفيح: حجارة رقيقة عريظة.

[5] ديوانه، ص 97. الصقب: العمود الأطول في وسط البيت.

[6] ديوانه، ص 276. الشجار: خشب الهودج. القر: الهودج.

وهيكل كشجار القر مطرد   في مرفقيه وفي الأنساء تجريم

ومما يتعلق بالهودج، الستر الذي يوضع عليه، إذ يسترجع عنترة بن شداد – وهو أمام مشهد الدماء التي تسيل على صدر فرسه في الحرب – صورة الستر الأحمر الذي يوضع على الهودج، يقول:[1]

أكر عليهم مهري كليماً   قلائده سبائب كالقرام

وكثير ما استعار الشعراء في وصفهم الدماء التي تسيل على نحور الأفراس، اللون الأحمر، وهو لون يحمل في طابعه فكرة الموت والدمار، وقد أخذ الصورة نفسها عنترة في قصيدة أخرى حين شبه تلك الدماء بقطيفة حمراء يلبسها الفرس، يقول:[2]

وأكرهه على الأبطال حتى   يرى كالأرجواني المجوبِ

لكن علقمة – وإن كان قد استعار هذا اللون- لا يصف فرسه في ساحة معركة، ولا يذكر الدماء التي تسيل على صدره، وإنما يفضل اللون الأحمر في فرسه، فيشبهه بأرجوان نشر لبياع، عليه رداء وشي، فازداد حسنا لذلك، يقول:[3]

كميت كلون الأرجوان نشرته   لبيع الرداء في الصُّوان المكعّب

ومن هذه الأردية يذكر عنترة الرداء الذي يملكه الرجل الغني، وهو رداء سابغ، يختال به الغني في المجتمع، ولا شك أنها صورة اجتماعية تشير إلى فكرة الطبقية في المجتمع الجاهلي، ينقلها الشاعر في تصوير شعر ذنب فرسه السابغ، يقول:[4]

وله عسيب ذو سبيب سابغ   مثل الرداء على الغني المفضل

---

[1] ديوانه، ص 244. سبائب: جمع سبيبة، وهي الطريقة الطويلة من الدم، والسبائب أيضاً: الشفق. القرام: ستر أحمر خفيف يجعل على الهودج.

[2] المصدر السابق، ص 322. المجوب: الذي جعل مخضباً.

[3] ديوانه، ص 88. الصوان: التخت. المكعب: ضرب من الوشي.

[4] ديوانه، ص 261.

لكن عبيد بن الأبرص في ضوء وصف فرسه العتيق، يستعير صورة الثوب البالي الذي نشب الدهر مخالبه فيه، لكن الفرس ما زال ثابتا أمام السيوف والرماح في المعركة، كالثوب القديم أمام عوادي الدهر، بقوله:[1]

ولا يفارقني ما عشت ذو حقب   نهد القذال جواد غير ملواح

أو مهرة من عتاق الخيل سابحة   كأنها سحق بُرد بين أرماح

وظهر ثوب السرير، عندما يصف الشاعر الجلال الذي يغطى به ظهر الفرس، يقول أبو دؤاد:[2]

فسرونا عنه الجلال كما   سل لبيع اللطيمة الدخدار

وتطرق الشعراء الجاهليون لجوانب من حياة اللعب واللهو في مجتمعهم، في شعر الخيل، وجاءت هذه الصورة الاجتماعية متعددة الزوايا، منها ما يتعلق بلعب الميسر وقداحه المستخدمة، ومنها ما يتعلق بلهو الأولاد وممارستهم بعض الألعاب، ولعل القداح التي استعملها الجاهليون في قمارهم، من أكثر الصور وفرة في هذه الدائرة، وهي السهام قبل أن تُراش وتُنصل،[3] وعددها أحد عشر قدحاً، سبعة منها لها حظ إن فازت، وعلى أهلها غرم إن خابت، بقدر ما لها من الحظ إن فازت، وأربعة ينفل بها القداح، لاحظ لها إن فازت ولا غرم عليها إن خابت[4] وسموا بعض أفراسهم " القدح "[5]

ويشبه امرؤ القيس خفّة فرسه بقدح الميسر في رحلة الصيد، يقول:[6]

وأصبح زهلولا يزل غلامنا   كقدح النضي باليدين المفوقِ

ويأخذ ضمرة بن ضمرة صورة السهم قبل أن يُراش ويُنصل، ليصف بها فرسه الأجرد السريع، يقول:[7]

---

[1] ديوانه، ص 39. القذال: معقد العذار من الفرس خلف الناصية.

[2] ديوانه، ص 319. الدخدار بالفارسية: التخت دار، وهو الثوب الذي يمسكه التخت. اللطيمة: سوق المسك.

[3] التاج، ج7، مادة: قدح، تحقيق، عبدالسلام هارون، الكويت 1994م.

[4] جواد علي، ج5، ص 128.

[5] التاج، ج7، مادة: قدح.

[6] ديوانه، م2، ص 639. الزهلول: الخفيف، والجمع: زهاليل. المفوق: حيث يثبت الوتر من السهم، وهما فوقان.

[7] بنو تميم، شعرهم، ص 286. السأسم: شجر تصنع منه القسي.

ناهبتها الغنـم على طيـع أجرد كالقدح مـن السأسـمِ

ويستعير عدي بن زيد العبادي لفرسه صورة القدح الذي أُجيد صنعه، ليقطع بفرسه رحلة الصيد، ولعل فكرة السهم تتوافق ورحلة الصيد؛ لما يتخللها من طعـن ودماء، فضلاً عن أنها تتوافق مع الغارة والحرب، يقول:[1]

مدمـج كالقـدح لا عيـب بـه فيـرى فيـه، ولا صـدع أبن

ويهدد العباس بن مرداس خفاف بن ندبة بالخيول السواهم، التي تشبه قـداح الميسم في ضمرها وخفتها ومدى سرعتها، يقول:[2]

فلسـت لحاصن إن لم تروها تثيـر النقع من ظهر النعافِ

سواهم كالقداح مسومـات وكمتاً لونهـا كالورْس صاف

ويدخل في هذا النطاق، الأزلام، وهي سهام كـانوا يستقـسمون بهـا فـي الجاهلية، وقد ورد أن الأزلام كانت لقريش في الجاهلية مكتوب عليها أمر ونهـى، وافعل ولا تفعل، وقد زلمت وسويت ووضعت في الكعبة يقوم بهم سدنة البيت، فـإذا أراد رجل سفراً أو نكاحا أتى السادن، وقال: أخرج لي زلماً فيخرجه وينظر إليـه، فإذا خرج قدح الأمر مضى على ما عزم عليه، وإن خرج قدح النهى قعد عما أراده، وربما كان مع الرجل زلمان وضعهما في قرابـه، فـإذا أراد الاستقـسام أخـرج أحدهما.[3]

وقد نهى الله سبحانه وتعالى عن الاستقسام بالأزلام، في قوله ﴿ وإن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق﴾.[4]

وقد أطلق لفظة " المُزَلّم" على الفرس المقتدر الخلق.[5]

واستعار حسان بن ثابت خفة الزلم، ليصف به فرسه، حين يفتخر بقومه، قائلا:[6]

وكـل كميت مطـار الفـؤاد أميـن الفصوص كمثـل الزلم

---

[1] ديوانه، ص 173. الأبن: جمع ابنة، وهي العيب.

[2] ديوانه، ص 117.

[3] التاج، ج32، مادة: زلم، تحقيق، عبدالكريم العزباوي، الكويت 2000م.

[4] سورة المائدة، الآية 3.

[5] التاج، ج32، مادة: زلم

[6] ديوانه، ص 138. مطار الفؤاد: ذكيه. الفصوص: المفاصل.

ويدخل الخمر في لهو الرجال، من حيث إنه مجمع أنسهم أحيانا وأحاديث سمرهم، فأظهر بشر بن أبي خازم صورة زق الخمر المعلق ليصور بها وعاء ذكر الفرس، قائلاً:[1]

وخنذيذ ترى الغرمول منه كطي الزق علقه التجار

وأما ما يتعلق بالأولاد، فقد ظهرت الألعاب التي يمارسها الشباب والأطفال في مجتمعهم سواء أكان في أعيادهم أم في حياتهم اليومية العادية، ولوحظت التماثيل التي كان تلعب بها البنات خاصة، وهي بمثابة دمى تمثل هيئة إنسان أو حيوان أو غيره.

وعلى أية حال فإن للتمثال جمالاً وحسنا، جذب نظر الجاهليين لحسن تصويره، وهو ما أدخله في تشبيه الفرس به،عندما أراد الشعراء الجاهليون وصف عنصر الجمال في أفراسهم، ومن هؤلاء الشعراء عبيد بن الأبرص، حين يقول:[2]

يسبق الألف بالمدجج ذي القو نس حتى يئوب كالتمثال

ويطرق صوت الرعد المحمل ببشرى المطر، ذاكرة عدي بن زيد، ويستلهم من صورة التمثال الجميلة، جمال البشرى بالودق، وخصب الأرض، فضلاً عن فكرة عبادة التماثيل في الجاهلية، للاستمطار والخصب، وهي صورة تتوافق مع فكرة الصيد، يقول:[3]

فتنامت أفحل نجب به فهو كالتمثال جياش هزم

أما لهو الأولاد ولعبهم، فقد ظهر في رميهم بالحجارة، وتصدر تلك الحجارة في سرعتها الخاطفة صوتاً، بحيث لا يراها الرامي من أثر السرعة، فاستعار ابن مقبل تلك الصورة ليتحدث عن سرعة فرسه وصوت قلبه الذي يسمعه ولا يراه، وقابل صورة الفرس بصورة الحجارة التي يلعب بها الصبيان، يقول:[4]

وللفؤاد وجيب تحت أبهره لدْم الوليد وراء الغيب بالحجرِ

---

[1] ديوانه، ص 76. الخنذيذ: الفحل أو الفرس الكريم. الغرمول: وعاء الذكر.

[2] ديوانه، ص 109. القونس: الخوذة في رأسها حديدة طويلة.

[3] ديوانه، ص 74.

[4] ديوانه، ص 99. اللدم: صوت الحجر ونحوه يقع في الأرض.

ومن لعبهم لعبة تسمى " البقيرى" وهي - كما يذكر الجاحظ - أن يجمع الصبي يديه على التراب في الأرض إلى أسفله، ثم يقول لصاحبه: اشته في نفسك، فيصيب ويخطئ، وكان الصبيان يأتون إلى موضع كان قد خبئ لهم فيه شئ، فيضربون بأيديهم بلا حفر يطلبونه.[1]

وقد استلهم الطفيل الغنوي هذا اللعبة التي تمثل صورة من حياتهم الاجتماعية، ليصف آثار ما فعلته غارتهم في ديار العدو، حيث يصور تلك الآثار ويشبهها بآثار من لعب لعبة البقيرى في ساحة العدو، يقول:[2]

أبنت فما تنفك حول متالع لها مثل آثار المبقر ملعب

ووردت لعبه الخذروف، وهي عبارة عن عويد أو قصبة مشقوقة، يفرض في وسطه، ثم يشدُّ بخيطٍ، فإذا مُدّ دار، وسمعت له حفيفا، يلعب به الصبيان، ويسمى أيضا الخرارة، وبه يوصف الفرس لخفة سرعته.[3]

كما هي الحال عند امرئ القيس الذي استعار من هذه اللعبة تلك السرعة التي تمتاز بها الخرارة، لاسيما حين يتقطع الخيط فيوصل؛ لأنه أسرع لدورانه، استعارها الشاعر لفرسه في ملاحقته الطريدة، يقول:[4]

درير كخذروف الوليد أمره تتابع كفيه بخيط موصل

وفي ملاحقه أخرى بفرسه للطريدة، يصف امرؤ القيس سرعة الفرس خلف الصيد، بخذروف الوليد، يقول:[5]

فأدرك لم يعرق مناط عذاره يمر كخذروف الوليد المثقب

ويكرر ابن مقبل الصورة الأولى التي استعارها امرؤ القيس في تصوير سرعة فرسه في الصيد، فيصف ابن مقبل فرسه في الصيد بالخذورف الذي بلى

---

[1] الحيوان، ج6، ص 145.

[2] ديوانه، ص 45. أبنت: أقامت.

[3] التاج، ج23، مادة: خذرف، تحقيق، عبدالفتاح الحلو، الكويت 1986م.

[4] ديوانه، م1، ص 258.

[5] ديوانه، م1، ص 394.

خيطه، فأصبح سلساً خفيفاً في الفتل، يقول:[1]

يكـــاد ينشق عنـــه سلخ كاهلـــه   زل العثار، وثبت الوعثِ والغدر
هرج الوليد بخيـــط مُبْرَم خلـــق   بين الرواجب في عود من العُشر

أما الطفيل الغنوي – وهو في معرض فخره – يشبه سرعة فرســـه بـــسرعة الخذروف، يقول:[2]

يذيق الذي يعلو على ظهر متنه   ظلال خذاريف من الشدّ ملهب
إذا قيـــل نهنهها وقد جد جـــدها   ترامت كخُذروف الوليد المُثَّقب

أما الزُحلوقة أو الزُحلوفة بلغة بعضهم، فهي آثار تزلج الصبيان من فوق إلى أسفل[3] وهو موضع أملس يلعب عليه الصبيان ويتزلقون.

وقد ذكر الزحلوقة امرؤ القيس، حين أراد أن يصف متن فرسه، فشبه متنـــه الأملس بالزحلوقة في صخرة ملساء، يقول:[4]

وبهو هواء تحـــت صُلب كأنه   من الهضبة الخلقاءِ زحلوق ملعب

والصورة متكررة أيضا عند علقمة الفحل، حين يشبه متن فرســـه بزحلـــوق على صخره ملساء، يقول:[5]

وجوف هواءٌ تحت متن كأنـــه   من الهضبة الخلقاء زحلوق ملعب

ويصور طفيل الغنوي ضمور الخيل بعد الغزو، بزحاليف الولدان التي درست وبقيت آثار تزلجهم عليها، يقول:[6]

من الغزو واقورت كأن متونها   زحاليف ولدان عفت بعد ملعب

أما الماء فقد نظر العرب في العصر الجاهلي إليه بإكبار وتقديس، في ظـــل الصحراء الملتهبة بالحرارة، وكان النزاع على الماء من أكثر النزاعات التي تـــشب

---

[1] ديوانه، ص 101. زل العثار: أي بعيد منه العثار، قد زل عنه، يعني أنه لا يعثر. ثبت الوعـــث: أي تثبـــت قوائمه فيه. الغدر: الأرض الرخوة ذات الجحرة والجرفة. العشر: شجر من كبار الشجر ينبت صعداً في السماء.

[2] ديوانه، ص 21 – 22.

[3] التاج، ج25، مادة: زحلق، تحقيق، مصطفى حجازي،الكويت 1989م.

[4] ديوانه، م1، ص 386. بهو: أراد جوفه. هواء: واسع. الخلقاء: الملساء.

[5] ديوانه، ص 90.

[6] ديوانه، ص 24. اقورت: ضمرت.

الحروب بسببها بين العرب في العصر الجاهلي، وقد أكدّ الله سبحانه وتعالى على أهميه الماء بالنسبة للحياة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾.[1]

وقوله تعالى: ﴿ وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته، حتى إذا أقلت سحابا ثقالاً سُقناه لبد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون﴾ [2]

وقد وردت صوره الماء من خلال الدلو والبئر وبكرة البئر ومزامير الشرب، واصفا الشاعر حركة الخيل وسرعتها عندما يفتخر بها، أو يقاتل، أو يصيد، كما نجد عند ابن مقبل حين يفتخر بأفراسهم النشطة التي يسيل عرقها من سرعتها، فشبه هذا العرق الذي يتصبب من ظهرها، بالدلو العظيمة التي أفرغ منها الماء، يقول:[3]

متفضخات بالحميم، كأنما نضحت لبود سروجها بذناب

ويصور ابن مقبل الفارس الذي يكف الفرس ويرفق به لحدة نشاطه، بالدالي الذي يرفق بالدلو الذي انقطع وذمه، يقول:[4]

يزع الدارع منه مثل ما يزع الدالي من الدلو الوذِم

وفي نطاق المدح يصور النابغة الذبياني العرق الذي يرشح من ظهور الخيل، ويشبهه بنضح المزادات التي ملأها الرواة، يقول:[5]

ينضحن نضح المزاد الوفر أتأقها شد الرواة بماء غير مشروب

أما خفاف بن ندبة فإنه يصور ملاحقه فرسه للطريدة، بالدلو الضخمة المملوءة ماءً ينصب منها الماء، يقول:[6]

حام على دبر الشياه كأنه إذ جد سجل نزه مصبوب

---

[1] سورة الأنبياء، الآية 30.

[2] سورة الأعراف، الآية 57. وانظر: سورة البقرة، الآية 64. و سورة فاطر، الآية 9. و سورة النحل، الآية 65. و سورة العنكبوت، الآية 63.

[3] ديوانه، ص 5. متفضخات بالحميم: أي تسيل به. الحميم: العرق هاهنا.

[4] المصدر السابق، ص 403. يزع: أي يكفه ويرفق به.

[5] ديوانه، ص 52. أتأقها: ملأها. وانظر: ص 60.

[6] شعره، ص 42. نزه: أجود ما تحلب من الأرض من الماء.

ويشبه عدي بن زيد جرى فرسه خلف الطريدة، بدلو تقطعت سيورها التي تعلق بها، فنضحت بالماء بسرعة، يقول:[1]

فهـو كالدلـو بكـف المستقي خذلـت منـه العراقـي فانجذم

ويصور الأعشى انطلاق الخيول من محبسها للغارة، بتدفق دلاء الماء، يقول:[2]

أجيلت كمـر ذنـوب القـرى فألوى بمـن حـان إشعالهـا

ويصور امرؤ القيس عدو فرسه، ويصف حركه ساقيه، بكثرة الماء واجتماعه في البئر، يقول:[3]

يجم على الساقيـن بعد كلالـه جموم عيون الحسي بعد المخيض

أما بكرة البئر فيصور حسان بن ثابت بها سرعة الأفراس، حين يقول:[4]

تذر العناجيـج الجياد بقفرة مر الدمـوك بمحصد ورجام

ويصف امرؤ القيس سرعة فرسه ببكرة البئر العميق، لسرعة توغلها في قعر البئر، يقول:[5]

يدير قطاة كالمحالـة أشرفت إلى سند مثل الغبيـط المذأبِ

ونمضي في حديثنا إلى النار، ذلك العنصر الذي كان له أثر كبير في حياة العرب في الجاهلية، سواء فيما يخص الجانب الاجتماعي في حياتهم، أم الجانب العقائدي أو غيره، " فمنذ أن اكتشف الإنسان النار، لاحظ أنها أقوى عناصر الطبيعة تأثيرا في حياته، فطالما أوقدها في أيام الشتاء الطويلة ناعما بدفئها، هانئا بشوائها، آنسا بضيائها. وطالما كان لها وقع جميل في قلوب الجياع المقرورين والعفاة الملهوفين الضالين.[6]

---

[1] ديوانه، ص 75. العراقي: السيور التي تعلق بها.

[2] ديوانه، ص 167. القرى: كل ما حبس الماء كالحوض.

[3] ديوانه، م2، ص 468.

[4] ديوانه، ص 108. الدموك: البكرة. المحصد، الحبل الشديد الفتل. الرجام: عود البكرة.

[5] ديوانه، م1، ص386. المحالة: البكرة. القطاة: مقعد الردف. الغبيط: قتب الهودج. وانظر: علقمة الفحل، ديوانه، ص 90.

[6] أنور أبو سويلم، مظاهر من الحضارة والمعتقد في الشعر الجاهلي، ص 115، دار عمار، عمان 1991م.

وإلى جانب ذلك رأى الإنسان مدى قوة النار في الحرق والاشتعال، والتهام ما يجاورها بسرعة كبيرة وخاطفة؛ مما أثرت هذه الرؤية في النفوس، وكان للشاعر الجاهلي – وهو أكثر الأفراد انفعالا بما يحدث في المجتمع – نصيب في هذا التأثير، ومن هؤلاء الشعراء، الأفوه الأودي الذي يصف توغل مهره في ساحة المعركة، مخترقا صفوف العدو، بشهاب من النار يقذف به الأعداء فيحرقهم، يقول:[1]

إن يجل مهري فيكم جولة فعليه الكرّ فيكم والغوار

كشهاب القذف يرميكم به فارسٌ في كفه للحرب نار

بل إن أوس بن حجر يشبه اللهب الذي يحرق نخيل الأعداء وزروعهم، بناصية الحصان الأشقر، يقول:[2]

حتى يلف نخيلهم وزروعهم لهبٌ كناصية الحصان الأشقر

ويجعل طفيل الغنوي على أعراف فرسه ولجامه، ناراً ملتهبة أضرمت في شجر العرفج؛ ليكون أسرع لها فيه، يقول:[3]

كأن على أعرافه ولجامه سنا ضرم من عرفج متلهب

ويشبه الشاعر نفسه الغبار الذي تثيره الخيل في سرعتها، بدخان يتصاعد من الشجر، يقول:[4]

إذا هبطت سهلاً كأن غباره بجانب الأقصى دواخن تنضب

ويصف دريد بن الصمة جري فرسه بسرعة النار، قائلاً:[5]

لها حضرٌ. كيف الحريق. وعقبها كجم الخسيف بعد معممه الورد

ويصور امرؤ القيس سرعة فرسه، ويشبه عدوها بصوت النار التي تشتعل في السعف؛ لسرعتها فيه، يقول:[6]

سبوحا جموحا وإحضارها كمعمعة السعف الموقد

---

[1] ديوانه، ص 75.

[2] ديوانه، ص 48.

[3] ديوانه، ص 26

[4] المصدر السابق، ص 25. تنضب: شجر له دخان أبيض.

[5] ديوانه، ص 57. الحضر: ارتفاع الفرس في عدوه. الخسيف: البئر. المعمعة: شدة الحرب.

[6] ديوانه، م2، ص 645.

وظهرت بعض المؤشرات إلى الزراعة في شعر الخيل، كما هي الحال عند عمرو بن معد يكرب عندما يصور الخيول مائلة من وقع الطعن فيها، وقد اعوجت في سيرها، بأنهار زرع أرسلت مياهها فامتدّت، يقول:[1]

ولما رأيت الخيل زوراً كأنها | جداول زرع أُرسلت فاسبطرت

هتفت فجاءت من زبيد عصابة | إذا طـردت فاءت قريباً فكرت

أما ابن مقبل فإنه يتحدث عن نشاط فرسه ومرحه، وكأن هوجا أصابه، وقد شبه بدنه لملاسته بقرعة، شد الحزام بها، يقول:[2]

كأن دباءة شد الحزام بها | في جوف أهوجَ بالتقريب والحضر

ويصف امرؤ القيس فرسه حين يقبل في عدوه بالقرعة؛ للطافة مقدمها ورقته، وملاستها ولينها واستدارة مؤخرتها، يقول:[3]

إذا أقبلت قلت دباءة | من الخُضْرِ مغموسةً في الغدر

كما وجدت بعض الإشارات إلى الأدوات التي كان يستخدمها العرب في العصر الجاهلي، في بعض الصناعات البسيطة، ومن هذه الأدوات، الكير الذي يستخدمه الحداد للنفخ في النار، إذ نجد هذه الأداة عند بشر بن أبي خازم، حين أراد وصف منخر فرسه، فتحدث عن سعه المنخر؛ لأن ذلك يستحب في الفرس لإخراج نفسه، وشبه هذا المنخر الواسع بكير مستعار؛ لأنه إذا كان كذلك كان العمل به أحث وأعجل لأنهم يريدون ردِه إلى صاحبه، يقول:[4]

كأن حفيف منخره إذا ما | كتمن الربو كير مستعار

وكذلك السليك بن السلكة حين رثى فرسه، صور منخر فرسه بالسعة نفسها، وشبهه بالكير المستعار الذي ينفخ فيه الحداد لإشعال النار، يقول:[5]

كأن مناخر النحام لما | دنا الإصباح كير مستعارُ

---

[1] شعره، ص 53 – 54. اسبطرت: امتدت.

[2] ديوانه، ص 99.

[3] ديوانه، م2، ص 626.

[4] ديوانه، ص 78.

[5] بنو تميم، شعرهم، ص 58.

كما ظهر بعض ما يتعلق بالبحر، ومن هذا أعمدة السفينة التي تنصب قائمة في وسط السفينة، ليوضع عليها الأشرعة، كما هي الحال عند ابن مقبل حين أراد وصف الخيل بضمر بطونها، ودقة خصورها، وشبه هذا بصواري السفينة، يقول:[1]

والعاديات البرد كل عشية ... قب البطون كأنهن صواري

وأما " المحار " فقد شبه السليك بن السلكة لملاسته، قوائم فرسه به، وصدّر بهذا التشبيه رثاء فرسه، يقول:[2]

كأن قوائم النحام، لما ... تحمل صحبتي، أصلاً، محار

وظهر ما يتعلق بمعاملاتهم التجارية، كما نجد ذلك عند أبي دؤاد، مصورا قوة حوافر خيله بأواقي الحديد التي تستخدم في مكاييل الزيت، يقول:[3]

ونسور كأنهن أواق ... من حديد يشقى بهنّ الرضيم

3.1.4 الحيوان:

نظر الإنسان الجاهلي إلى الحيوان، نظرة خالطها الخوف من بعضه ، والإعجاب ببعضه الآخر، واستقى منه صورا يعبر بها، عن واقعة أو حالة ما، تخصه أو تخصّ مجتمعه، وتعددت تلك الحيوانات وتنوعت في شعر الخيل، فكان منها الحيوان البري المفترس، كالذئب والنمر والضبع، وغير المفترس كالظبي والثور والنعام. وظهرت الحيوانات الأليفة كالإبل والكلاب. وإلى جانب ذلك ظهرت الطيور الجارحة كالعقاب والصقر، وغير الجارحة كالقطا والحمام.

ومن الزواحف والحشرات ظهرت الحيّة وأسراب النحل والزنابير والذباب والجراد. ولعل الذئب من أكثر الحيوانات البرية المفترسة بروزاً في هذا الجانب، سواء أكان في غارة الحرب أم في رحلة الصيد. أم في باب الافتخار بمآثر القوم وأيامهم، كما هي الحال عند ابن مقبل حين يفتخر بقومه وبأفراسهم، يقول:[4]

---

[1] ديوانه، ص 119.

[2] بنو تميم، شعرهم، ص 58.

[3] ديوانه، ص 343.

[4] ديوانه، ص 87. أرق: جمع أورق: وهو الذي لونه أبيض، يخالط بياضه سواد كلون الرماد. المراكل: جمع مركل، وهو الموضع الذي تصيبه رشد الفارس حين يركل الفرس برجله إذا حركه للركض.

جرد تبــاري الشبــا، أرقّ مراكلها مثل السراحين من أنثى ومن ذكرِ

ويصف عبيد بن الأبرص خيله التي يغدو بها بالذئب، قائلاً:[1]

وقد أغتدي في القوم تحتي شمّلة بطرف من السِّيدانِ أجرد منسوبِ

ويفتخر طفيل الغنوي بخيله المنسوبة التي تشبه الذئاب، قائلاً:[2]

وخيل كأمثال السراح مصونة ذخائر ما أبقى الغراب ومذهب

ويصور امرؤ القيس فرسه بالذئاب، حين ذعر به قطيعا من الصيد، يقول:[3]

ذعرت بــه سرباً نقياً جلوده كما ذعر السرحان جنب الربيض

ويصف عبيد بن الأبرص الخيل في الحرب في خفتها بالذئب، يقول:[4]

وطمّرة كالسيد يعلو فوقها ضِرغامة عبل المناكب أغلب

ولقد ظهرت ذئاب الغضا في هذا الجانب، والغضا شجر يأوي إليــه الــذئب، وذئب الغضى أخبث الذئاب.[5] ويبرز ذئب الغضا عند ابن مقبل يعدو نحو جروه في المطر؛ خوفا عليه؛ ليصف عدو فرسه، يقول:[6]

وجرداء ملواحٍ يجــول بريمهــا توقــر بعد الربو فرطا وتمسح

كسيد الغضا في الطل بادر جروه أهاليــب شــد، كلهــا متسرح

واستعار الشعراء من الحيوان في تشبيه الخيل: الذئاب؛ لإسقاط حركة أكثــر قوة وفعالية على خيولهم، ومن هؤلاء، الطفيل الغنوي الذي يصور فرسه، بذئب فقد جراءه، فهو غير مستقر أبدا، يبحث في كل مكان، يقول:[7]

كسيد الغضا الغادي أضل جراءه عــلا شرفــا مستقبل الريح يلحب

كما يظهر ذئب الغضا عند ابن مقبل، قائلاً:[1]

---

[1] ديوانه، ص 25.

[2] ديوانه، ص 43.

[3] ديوانه، م2، ص 469.

[4] ديوانه، ص 5. الطمرة: الفرس الأنثى الكريمة السريعة. أغلب: غليظ الرقبة.

[5] التاج، ج2، مادة: ذأب، تحقيق، علي هلالي، ط 2، الكويت 2004م.

[6] ديوانه، ص 36 – 37. الملواح: الفرس الضامر.

[7] ديوانه، ص 45.

أقب كسرحان الغضا راح مؤصلا إذا خاف إدراك الطوالب شمرا

أما النمر فقد ظهر عند امرئ القيس، عندما أراد وصف صلابة ساعدي فرسه، فشبههما بساعدي نمر بارك لغلظهما، يقول:[2]

لها متنتان خظاتا كما أكب على ساعديه النمر

ويشبه علقمة الفحل قوائم فرسه في غلظها وشدتها، بأعناق الضباع، يقول:[3]

وغلب كأعناق الضباع مضيغها سلام الشظى يغشى بها كل مركب

وتتكرر الفكرة عند أبي دؤاد، حين يشبه أرساغ فرسه لغلظها وشدتها بأعناق الضباع، يقول:[4]

وأرساغ كأعناق ضباع أربع غلب

وفي المقابل ظهر الحيوان البري غير المفترس، ولعل الظبي من أكثر الحيوانات ورودا في هذا الجانب، أبرز به الشاعر فرسه، في حالة الحرب أو الصيد، أو عندما يتحدث عن فرسه المثال، مكوناً صورة مثاليةً وأسطوريةً في بعض الأحيان، ويصادفنا امرؤ القيس بفرسه المثال، حين يصور عدو فرسه بظبي نجا من مهلكه، يقول:[5]

وتعدو كعدو نجاة الظبا ء أخطأها الحاذف المقتدر

أما الصورة الأسطورية فتبرز عند امرئ القيس، في وصف فرسه بالكر والفرّ معاً، ولعل"معاً" نقلت الفرس من الحقيقة إلى الأسطورة، ويشبه هذا الفرس بتيس الظباء الذي يرعى النبات، يقول:[6]

---

[1] ديوانه، ص 140. وانظر: سلامة بن جندل، ديوانه، ص 243. وعمرو بن كلثوم، ديوانه، ص 39. وخفاف بن بندبة، شعره، ص 44. وامرؤ القيس، ديوانه، م2، ص430. وعبيد بن الأبرص، ديوانه، ص5. وعدي بن زيد، ديوانه، ص 175. وطفيل الغنوي، ديوانه، ص 20 و ص 60. وعامر بن الطفيل، ديوانه، ص309. والحطيئة، ديوانه، ص 271. ودريد بن الصمة، ديوانه، ص 102.

[2] ديوانه، م2، ص 625. خظاتا: خظاتان، يعني مكتنزتين.

[3] ديوانه، ص 91. مضيغها: عصبها.

[4] ديوانه، ص 289.

[5] ديوانه، م2، ص 627.

[6] ديوانه، م2، ص 502. مخش مجش: أي يدخل في الدغل فيصير فيه كالخشاش في أنف الجمل. الغذوان من الخيل: النشيط المسرع.

مخش مجش مقبل مدبر معاً كتيس ظباء الحلب الغذوانِ

وقد وصف ابن مقبل فرسه في الصيد، فشبه سرعته بتيس الظباء المذعور من الصائد، يقول:[1]

فأعصمت عنه بالنزول مجلحاً كتيس الظباء أفزع القلب حابله

ولم يكتف عبيد بن الأبرص بالحديث عن فرسه من خلال تشبيهه بظبي يعدو مسرعا، بل إنه يذهب في تأليف مشهد من ثلاثة أبيات، يفصل حالة الظبي الذي تطارده كلاب الصيد، عندما زاد الخوف من سرعة الظبي، يقول:[2]

مرابضه القيعان فرد كأنه إذا ما تماشيه الظباء تطيح

فهاج له حي غداةً فآسدوا كلاباً فكل الضاريات شحيح

إذا خاف منهن اللحاق نمت به قوائم حمشات الأسافل روح

ويستعيد خفاف بن ندبة ذكرياته في تلك الديار المقفرة، ويشبه فرسه بفحل الظباء في ضمره ونشاطه وسرعته، مضمناً قوته في الماضي في هذا الفرس، يقول:[3]

يحرس أكلاءه ويحفظه طرْف كتيس الظباء منجردِ

ويضمن تلك القوة مرة أخرى فرسه، حين يشبهه بالثور الوحشي وقد غدا به في المرعى يقول:[4]

وأهبطُ العازب المخوف به أطوي النهار بسابح نهد

أجرد مدلوكةٍ معاقمه فقم كشاةِ الصريمة العتدِ

ويبرز الثور عند الشعراء الجاهليين، أكثر ما يبرز في رموزهم، يعبر الشاعر به عن حالة نفسية تجتاحه، وقد أشار الجاحظ إلى هذه الفكرة بقوله: "ومن عادة الشعراء إذا كان الشعر مرثية أو موعظة، أن تكون الكلاب التي تقتل بقر

---

[1] ديوانه، ص 251. مجلحا: أي وهو يسير سيراً شديداً راكباً رأسه.

[2] ديوانه، ص 32. حمشات: دقيقة. روح: متسعة ما بين الرجلين، جمع أروح وروحاء. وانظر: امرؤ القيس، ديوانه، م1، ص 376 و ص 384. وعلقمة الفحل، ديوانه، ص 39 و ص 99 و ص 335. وعبيد بن الأبرص، ديوانه، ص 26.

[3] شعره، ص 84.

[4] المصدر السابق، ص 87. المدلوك: المصقول. المعاقم: المفاصل. الفقم: الممتلئ.

الوحش، وإذا كان الشعر مديحاً، وقال: كأن ناقتي بقرة من صفتها كـذا، أن تكـون الكلاب هي المقتولة ، ليس على أن ذلك حكاية عن قصة بعينها، ولكن الثيران ربما جرحت الكلاب وربما قتلتها، وأما في أكثر ذلك فإنها تكون هي المصابة، والكـلاب هي السالمة والظافرة، وصاحبها الغانم"[1]

وعلى أية حال فإن مسألة الرمز في الشعر الجاهلي، مسألة ما زال الباحثون يمتاحون منها في دراساتهم الأدبية والنقدية، وهي دراسات تذهب إلـى أن صـورة الحيوان في الشعر الجاهلي صورة رمزية أكثر منها واقعية. والدراسة هنا لا تبحث في رمزية الحيوان بقدر ما تبحث عن مفردات الواقعية، واستخدام الشاعر الجـاهلي لها، على الرغم من الإشارات القليلة في بعض الأحيان إلى تلـك الرمزيـة، إذ إن الرمز بحاجة إلى دراسة كل قصيدة على حدة، وتتبع وحدتها الـشعورية؛ لتتـضح الدلالة العميقة لهذا الرمز الحيواني أو ذاك.

ومن خلال تتبع صورة الثور عند معظم الشعراء الجاهليين، يلاحظ أن هـذا الصورة أكثر بروزاً في الصيد والمرعى. ولم تأت لفظة "ثور" أو "بقـرة الـوحش" مباشرةً في هذا الشعر، وإنما جاء التعبير بـ"شـاة الإران" و"شـاة الربـل" و"شـاة الصريمة" وغيرها. ويصور علقمة الفحل فرسه بعد نهاية المطاردة والصيد ودخـان الشواء المتصاعد، بالثور الوحشي في نشاطه وحدته، يقول:[2]

وراح كشاة الربل ينفض رأسه ... أذاة بـه مـن صـائك متحلبِ

ويصرّح عبيد بن الأبرص بأنه يذعر الطرائد بفرسه، الـذي يـشبه الثـور الوحشي في خفته ونشاطه، يقول:[3]

ولقد أذعـر السروب بطـرف ... مثـل شـاة الإران غير مذالِ

ويشبه عدي بن زيد فرسه الذي قطع به الروض للمرعى، بالثور البري الذي تطلبه الكلاب فيفلت منها، يقول:[1]

---

[1] الحيوان، ج 2، ص 20.

[2] ديوانه، ص 98. وانظر الصورة نفسها: امرؤ القيس، ديوانه، م1، ص 405.

[3] ديوانه، ص 109.

وله النعجة المريُّ تجاه الـــ ــركبِ عدلاً بالنابئ المخراقِ[1]

ويمهد عمرو بن معد يكرب للقتال بالحديث عن فرسه الذي يشبه الثور، قائلاً:[2]

شهــدت طــراده بأقب نهد كتيس الربــل معتــدل وقاحِ

ويتحدث دريد بن الصمة عن الحرب، فيفتخر بفرسه الذي يشبه الثور، قائلاً:[3]

كميش كتيس الرمل أخلص متنه ضــريب الخلايا والنقيع المعجل

وهناك من الشعراء أيضا من ذكر الثور مفتخــرا، كالعبــاس بــن مــرداس السلمي، يقول:[4]

جميــع البــز تحملنــي وآة كشــاة الرمــل تجمع بالوليدِ

ويتحدث عامر بن الطفيل عن الثور الذي يجلب الشؤم بين الظبــاء، إذا مــا مشى بينها، حين يشبه فرسه به، يقول:[5]

ويحمــل بــزي ذو جــراء كأنه أحــم الشوى والمقلتين سبــوح
فرود بصحــراء اليفاع كأنــــه إذا مــا مشى خلف الظباء نطيح
وعاينــه قنــاص أرض فأرسلوا ضراء بكــل الطاردات مشيــح
إذا خاف منهن اللحاق ارتمى به عن الهول حمشات القوائم روح

كما نظر الإنسان الجاهلي إلى النعامة، فأعجبه شكلها وســرعتها، واســتمد الشعراء الجاهليون من شكلها وسرعتها وبعض حركاتها، التي تقوم بها أثناء الخوف أو غيره، صوراً تتناسب وموقفهم الشعري. وقد ساهم هذا الحيوان في إثراء الخيال الشعري لدى الشعراء، بالرغم من بساطته. وإذا كان بعض الشعراء اتكأ على عامل الشكل في تصويره أو حديثه، فإن بعضهم اتكأ على عامل الخوف الذي ينتاب هــذا

---

[1] ديوانه، ص 153. والمري: الناقة الكثيرة اللبن. النابئ: الثور الذي ينبأ مــن أرض إلــى أرض، أي يخــرج. المخراق: الحسن الجميل. وانظر تشبيه الفرس بالثور الذي عرض على الصائد: عمرو بن معد يكرب، شــعره، ص 121.

[2] شعره، ص 60. وقاح: صلب.

[3] ديوانه، ص 102. الكميش: السريع. الخلايا: جمع خلية وهي الناقة المخلاة للحلب. وانظر وصــف انطــلاق الخيل إلى المعركة بالثور الوحشي: طفيل الغنوي، ديوانه، ص30.

[4] ديوانه، ص 64. الوآة: الفرس السريع المقتدر الخلق.

[5] ديوان، ص 354 – 355. أحم الشوى: أسود الأطراف. المشيح: المجد المسرع والحذر.

الحيوان فيفزع ويشتد في سرعته. ولعل بعضهم أعجبه الشكل والسرعة ليسمي فرسه بهذا الحيوان، كما نجد عند الحارث بن عباد الذي أطلق على فرسه اسم " النعامة " في قصيدته، قائلاً:[1]

قربا مربط النعامة مني   لقحت حرب وائل عن حيال

ويفتخر طفيل الغنوي بأخلاقه الحميدة، وبفرسه الذي يشبه النعامة في طولها، يقول:[2]

إني وإن قلّ مالي لا يفارقني   مثلُ النعامة في أوصالها طول

أما امرؤ القيس فإنه حين يتكئ على شكل النعام، فإنه يستمد من ذكر النعام الصدر؛ ليصف فرسه المثال، يقول:[3]

وخد أسيل كالمسنّ وبركة   كجؤجؤ هيقٍ زفه قدِ تمّورا

ويستمد النابغة الذبياني من سرعة النعامة وقوة حركتها في فصل الربيع، مثالاً لسرعة فرسه، يقول:[4]

قب الأياطل تردي في أعنتها   كالخاضباتِ من الزعر الظنابيبِ

ويرصد الأعشى عامل الخوف عند النعامة، حين تشعر بخطر ما، فتولي مسرعة أشدَّ ما تكون عندها، فيصف بها الخيول في سرعتها، وكأنها تريد أن تسبق الرماح التي يحملها الفرسان، يقول:[5]

شعث يبارين الأسنـ   ـة كالنعامات الجوافل

وتتكرر الصورة نفسها عند أبي دؤاد، حين يركز على عامل الخوف الذي يزيد من سرعة النعامة، فيشبه بها فرسه، يقول:[6]

---

[1] الاصفهاني، ج 5 ، ص 53.

[2] ديوانه، ص 57.

[3] ديوانه، م2، ص 687. البركة: الصدر. والجؤجؤ: الصدر. والهيق: ذكر النعام. زفه: ريشه. تمور: تساقط عنه.

[4] ديوانه، ص 52. الأياطل: جمع أيطل وهو الكشح، أي ما بين الخاصرة والضلع الخلف. الخاضبات: أي النعامات الخاضبات. الزعر: جمع أزعر وهو الذي قل ريشه. والظنابيب: جمع ظنبوب، وهو عظم الساق.

[5] ديوانه، ص 349. وانظر التشبيه بالغزال: سلامة بن جندل، ديوانه، ص 169. وخفاف بن ندبة، شعره، ص 33. والتشبيه بذكر المعز: النابغة الذبياني، ديوانه، ص 66.

[6] ديوانه، ص 284.

يمشي كمشي نعامة تبعت   أخـــرى إذا هي راعها خطْبُ

ومن عادة الشعراء الجاهليين في بعض الأحيان، تشكيل صورة ممتزجة مـــن حيوانين أو أكثر سواء أكان من الحيوان البري المفترس أم غير المفترس، أم منهما معا، ومن هؤلاء امرؤ القيس الذي يصورها من الحيوانات البرية غيـــر المفترســـة والمفترسة، ونراه هنا يشكل خيله من الحيوانات غير المفترسة والأليفة، مـــن بقـــر الوحش، والنعام، وفحل الهجان الضخم فاستعار جانحة بقر الوحش، وساق النعامـــة لقصرها وصلابتها، يقول:[1]

لـــه قصريا عين وســـاقا نعامـــة   كفحل الهجان القيسري العضوض

بينما نجد الأفوه الأودي يصور خيله من البقرة الوحشية والنعامة، يقول:[2]

مضبر مثل ركن الطـــود تحمله   يدا مهاةٍ ورجلا خاضـــب يجِف

ونجد امرأ القيس يشكل مرة أخرى فرسه النمـــوذج مـــن الحيوانـــات غيـــر المفترسة والمفترسة معا، من الظبي والنعامة والـــذئب والثعلـــب، فيجعلهـــا أشـــبه بالأسطورة، يقول:[3]

له إطلا ظبيٍ وساقا نعامة   وإرخاء سرحان وتقريب تتفل

ويشكل عمرو بن معد يكرب فرسه من الحيوانين المفترسين، الثعلب والذئب، يقول:[4]

أما إذا يعدو فثعلب جرية   أو سيدُ عادية يعجرم عجرمه

ولم يعدم الشعراء من عرض الحيوانات الأليفة في صورهم الـــشعرية، كمـــا نجد عند ابن مقبل الذي يشبه إرعاد فرسه، لحدّة نفسه وذكائه، بالجمل الهجين، عليه الجلّ، يقول:[5]

ويرعد إرعاد الهجيـــن أضاعه   غداة الشمال، الشمرج المتنصح

---

[1] ديوانه، م2، ص 467.

[2] ديوانه، ص 96.

[3] ديوانه، م 1، ص 260.

[4] شعره، ص 153. العجرمة: إسراع في مقاربة خطو.

[5] ديوانه، ص 36. الشمرج: الجل أو الثوب الخلق أو الرقيق النسج. المتنصح: المخيط في كل ناحية، أو الـــذي فيه موضع إصلاح لم يصلح.

ولعل الكلب من أكثر الحيوانات الأليفة بروزاً في تشبيهات الشعراء الجاهليين، وكان لعامر بن الطفيل فرس يُدعى "الكلب".[1] وقد شبه الشعراء خيولهم وانطلاقها للحرب بانطلاق الكلاب المجوعة للصيد، ومن هؤلاء عبيد بن الأبرص، الذي يشبه سرعة خيل قومه نحو الحرب بسرعة كلاب الصيد المجوعة، التي أرسلها صاحبها لملاحقة الطريدة، يقول:[2]

مسرعات كأنهن ضراء سمعت صوت هاتف كلاب

ونجد تلك الصورة عند طفيل الغنوي، الذي تسبق خيله الرماح في انطلاقها نحو الغزو، وكأنها كلاب مجوعة أرسلها صاحبها للصيد، يقول:[3]

تباري مراخيها الزجاج كأنها ضراء أحست نبأة من مكلبِ

وتتكرر الصورة نفسها عند بشر بن أبي خازم الأسدي، حين يصور عدو خيل قومه نحو الحرب، بكلاب مجوعة للصيد، يقول:[4]

على شعث تخب على وجاها كما خبت مجوعة ضراء

ولعل الطيور الجارحة المحلقة في السماء، لم تكن أقل بروزا من الحيوانات السابقة في شعر هؤلاء الجاهليين، ولقد لفتت هذه الطيور انتباه غالبية الشعراء الجاهليين في شعرهم، فصوروها مسرعة ومنقضة على فريستها، وأضاف كل شاعر لتلك الصورة الحركة النفسية، حسب موقفه وتجربته الراهنة. ومن الملاحظ أن تلك الطيور تدور غالبيتها في دائرة واحدة، وهي دائرة الحرب. ولذا فإن الخيل – وهي أحد أعمدة الحرب – تُشبه في كثير من الأحيان بهذه الطيور المحلقة أو المنقضة على الفريسة، كما هي الحال عند المهلهل، واصفا ما خلفته تغلب من قتلى في قبيلة بكر، يقول:[5]

ولقد تركنا الخيل في عرصاتها كالطير فوق معالم الأجرام

---

[1] انظر: ديوانه، ص 23.

[2] ديوانه، ص 23.

[3] ديوانه، ص 24.

[4] ديوانه، ص 6. الوجى: أن يشتكي الفرس باطن حافره ويجد فيه وجعاً.

[5] ديوانه، ص 81.

ويهدد القتال الكلابي أعداءه بالخيول التي يسميها عتاق الطير، قائلاً:[1]

فلا يسترث أهل الفياشل غارتي أتتكم عتاق الطير يحملن أنسرا

ويصور طفيل الغنوي عودة الخيل من الغارة، بالطيور التي تتقلب في السماء، يقول:[2]

إذا خرجت يوما أعيدت كأنها عواكف طير في السماء تقلب

ولكن العقاب كان أكثر الطيور الجارحة بروزا؛ لقوته وسرعته الخاطفة، ولقد وظف الشعراء الجاهليون هذا الطير الجارح في تصوير سرعة الخيول، وانقضاضها بفرسانها على الأعداء، ونجد عمرو بن كلثوم يهدد أعداءه بإناث الخيل التي تشبه العقبان المحلقة وراء الغيوم، يقول:[3]

كأن إناثها عقبان دجن إذا طوطِئن في بلد يباب

وينتهج عُميرة بن طارق النهج ذاته في تصوير الخيل بالعقبان، قائلاً:[4]

فما ذقت طعم النوم حتى رأيتني أعارضهم ورد الخماسِ النواهل

بفتيان صدق فوق جردٍ كأنها طوالب عقبان عليها الرحائل

ويهدد بشر بن أبي خازم بهذه الخيل، قائلاً:[5]

فسائل عامرا وبني تميم إذا العقبانُ طارت للوقاعِ

ويصف فرسه بظل العقاب، يقول:[6]

وجرداء شقاء خيفانة كظل العقاب تلوك اللجاما

لكن بعضهم كان يتجه وجهة أخرى، حين يعرض صورة العقاب وفريستها، كما هي الحال عند السليك بن السلكة، حين يقول:[7]

---

[1] ديوانه، ص 52. يسترث: يستبطئ. وانظر: ابن مقبل ديوانه، ص 203. والعباس بن مرداس،ديوانه، ص 148. والنابغة الذبياني، ديوانه، ص 83.

[2] ديوانه، ص 44.

[3] ديوانه، ص 27. الدجن: الغيم الكثير المظلم. وانظر: العباس بن مرداس، ديوانه، ص 73. وبشر بن أبي خازم، ديوانه، ص 47 و ص75.

[4] بنو تميم، شعرهم، ص 223.

[5] ديوانه، ص 110.

[6] المصدر السابق، ص 189.

[7] بنو تميم، شعرهم، ص 68. الخزز: ولد الأرنب.

قطعت وتحتي النهام يهوي   كما انقضت على الخززِ العُقاب

بل إن بعض الشعراء لم يكتف بهذا التصوير، فقد راح يفصل في حياة العقاب، إما من خلال علاقتها بفراخها، أو من خلال أحداث المطاردة وانقضاضها على فريستها، وكل من هذه الأحداث تحمل دلالة عميقة، ورمزية خطيرة، ومن هؤلاء الشعراء الذين فصلوا في هذه العقاب، امرؤ القيس الذي يشبه خيله بلقوة طلوب، تطعم فرخها الضرير الذي أنهكه الجوع، قلوب الأرانب، يقول:[1]

تقدمني نهدة سبوح   صلبها العض والحيال

كأنها لقوة طلوب   كأن خرطومها منشالُ

تطعم فرخاً لها ضريراً   أزرى به الجوع والإحثالُ

قلوب خزّانٍ ذي أورالٍ   قوتاً كما ترزق العيالُ

ولعل في الأبيات التالية دلالة أعمق، ورمزية أخطر، يعبر بها امرؤ القيس عن تجربته، فيخلق من عناصر الواقع كالعقاب والذئب، والسرحة والصخر وغيرها، أقنعة يتحدث من ورائها عن واقعه، يقول:[2]

كأنها حين فاض الماء واحتفلت   صقعاء لاح لها بالسرحةِ الذيب

فأبصرت شخصه من رأس مرقبة   ودون موقعها منه شناخيب

صبت عليه وما تنصب من أمم   إن الشقاء على الأشقين مصبوب

كالدلو بُتّتْ عراها وهي مثقلة   وخانها وذم منها وتكريب

ويلمها من هواء الجو طالبه   ولا كهذا الذي في الأرض مطلوبُ

كالبرق والريح شداً منهما عجباً   ما في اجتهاد عن الإسراع تغبيبُ

فأدركته فنالته مخالبها   فانسل من تحتها والدفُّ منقوبُ

يلوذُ بالصخر منها بعدما فترت   منها ومنه على العقْبِ الشآبيبُ

ثم استغاث بدحلٍ وهي تعفره   وباللسان وبالشدقين تتريبُ

---

[1] ديوانه، م2، ص 597 – 598. الحيال: مصدر حائل وهي التي لم تحمل عامها.

[2] المصدر السابق، م 2، ص 669 – 670. الصقعاء: العقاب. الشناخيب: رؤوس الجبال. الواحد شنخوب. الأمم: القرب، ويقال: القصد. التغبيب: ليست فيها بقية من السرعة والعدو. الدف: الجنب. العقب: جري بعد جري. الدحل: هوة ومدخل في الأرض أو في جبل. تتريب: من التراب.

ما أخطأتة المنايــا قيــس أنملة ولا تحـــرز إلا وهـــو مكـــروب
فظل منجحراً منــهــا يُراقبهــا ويرقب العيش إن العيش محبوب

ويتحدث عبيد بن الأبرص عن الصراع بين اللقوة والثعلب، حين يشبه خيلــه بلقوة طلوب تترقب فريستها، مضمناً تلك الأحداث بعدا نفسيا، يقول:[1]

كأنــهــا لقـــوة طلـــوب تحـــن فـــي وكرها القلوب
باتـــت علـــى إرم رابئـــة كأنــهـــا شيخـــة رقـــوب
فأصبحـــت في غداة قـــرة يسقط عن ريشها الضريب
فأبصـــرت ثعلباً من ساعة ودونـــه سبســـب جديـــب
فنفضت ريشها وانتفضت وهـــي مـــن نهضةٍ قريبُ
فاشتال وارتاع من حسيسها وفعلـــه يفعـــل المـــذءوب
فنهضـــت نحـــوه حثيثـــه وحـــردت حـــردة تسيـــب
فـــدب مـــن رأيهـــا دبيباً والعين حملاقهـــا مقلـــوب
فـــأدركتـــه فطـــرحتـــه والصيد من تحتها مكروبُ
فـــرنحتـــه ووضعـــتـــه فكدحت وجهـــه الجبـــوب
فعـــاودتـــه فرفـــعـــتـــه فأرسلته وهـــو مكـــروب
يضغـــو ومخلبها في دفه لابـــد حيـــزومه منقـــوب

وشبه بعضهم فرسه بالحدأة التي تنقض على فريستها، كما هي الحـــال عنـــد عمرو بن معد يكرب، حين يتحدث عن الغارة التي صبحها بخيله، يقول:[2]

صبحت بهم بيوت بني زياد وجـــرد الخيل تعثر بالرماح
بساهمة خضبن بجاديـــات ســـوابقهـــن كالحدأ الشحاح

أما عامر بن الطفيل فيذكر خيله في الحرب، وهـــي فـــي طريقهـــا تـــردي بالمقاتلين الشجعان، فيصورها بالحدأ المتتابعة، يقول:[3]

---

[1] ديوانه، ص 18 – 20. الإرم: العلم، وهو الجبل الصغير. رابئة: تأبى الأكل والشرب. شيخة: عجوز ثكلـى. السبسب: الأرض المستوية، أو القفر من الأرض. حسيسها: صوتها. المذءوب: المفزوع. جـــردت: قـصدت. تسيب: تنساب. الجبوب: الحجارة. يضغو: يصيح. الحيزوم: الصدر.

[2] شعره، ص 59.

[3] ديوانه، ص 317. وانظر التشبيه بالبازي: امرؤ القيس، ديوانه، م2، ص 637.

والخيلُ تردي بالكماة كأنها حِدَأ تتابع في الطريق الأقصد

كما برز الصقر، عند ابن مقبل في رحله الصيد، يقول:[1]

كـــأن يديـــه والغـــلام يكفـــه جناحان من سوذانق حين أدبرا

وبرز الصقر أيضاً في الحرب عند الأسود بن عمرو بن كلثوم، حين يقول:[2]

وكأنمـــا تهـــوي ببزي كلمـــا حركتـــه فهـــوى حثيثـــاً أجدل

ويذكر الأعشى الخيل التي يهبها الممدوح، مشبها بها صقراً جائعاً، يقول:[3]

تدلى حثيثـــاً كـــأنّ الصـــوا رَ أتبعـــه أزرقـــي لـــحـــم

وفي المقابل ظهرت الطيور الأليفة كالقطا والحمام وغيرها، ولعل القطا مـــن أكثر الطيور الأليفة انتشاراً في هذا الجانب من الشعر، كما كانت العقاب كذلك فـــي الطيور الجارحة. وقد استعير من القطا سرعتها وتسابقها نحو الماء، لاسيما في شدة الحر، كما استعير كثرتها، ووقوعها في الصيد، وتخلصها من الطيـــور الجارحـــة. ويتحدث امرؤ القيس عن هذه الخيول الكثيرة التي قد وزعها بفرسه النشط، قائلا:[4]

وخيل كأسراب القطا قد وزعتهـــا بذي ميعة ثبت الفـــؤاد إذا جـــرى

إذا ثـــاب بعـــد الكبوُ مـــر كأنـــه حفيفُ قطا من رابئ الصيد قد ضفا

والصورة نفسها تتكرر عند عبيد بن الأبرص، حين يقول:[5]

وخيل كأسراب القطا قد وزعتها بخيفانةٍ تنمي بســـاق وعرقـــوبِ

ويصور قيس بن الخطيم كثرة خيولهم في الحرب بالقطا، يقول:[6]

وأقبلت من أرض الحجاز بحلبة تغـــم الفضـــاء كالقطـــا المتبـــدد

بينما نجد عبيد بن الأبرص يصور الخيول التي تردي في أعنتها، بالقطا المتبادر إلى الماء في الصيف، يقول:[7]

---

[1] ديوانه، ص 140.

[2] تغلب، شعرها، ص 131.

[3] ديوانه، ص 41.

[4] ديوانه، م2، ص 727.

[5] ديوانه، ص 26.

[6] ديوانه، ص 127.

[7] ديوانه، ص 59.

القائد الخيل تردي في أعنتها ورد القطا هجرت ظِماً إلى الثمدِ

وفي قصيدة أخرى، يشبه عبيد بن الأبرص سرعة الخيل بسرعة القطا المتهالك على الماء من التعب والإعياء، يقول:[1]

ثم عجناهُنَّ خوصاً كالقطا القا ربِ الماء من أين الكلالِ

ويشبه بشر بن أبي خازم الخيل وهي تختلف في المعترك، وتضرب بأيديها، بقطا وقع في شرك فهو ينزو ويثب، يقول:[2]

ومعترك كأن الخيل فيه قطا شرك يشب من النواحي

ويذهب النابغة الذبياني مذهباً أعمق في تشبيهه، حين يفصل في صورة القطا التي فاجأها باز أو صقر، حتى إذا وقع على ريشها أسرعت، يقول:[3]

أو مر كدرية حذاء هيجها برد الشرائع من مران أو شرب

أهوى لها أمغرُ الساقين مُختضِع خرطومه من دماء الطير مختضب

حتى إذا قبضت أظفاره زغباً من الذُّنابى لها أو كاد يقترب

نجت بضرب كرجْع العين أبطؤه تعلو بجؤجئها طوراً وتنقلب

تدعو القطا لقصير الخطم ليس له أمام منخره ريش ولا زغبُ

حذاء مدبرة سكاء مقبلة للماء في النحر منها نوطةٌ عجبُ

تدعو القطا وبه تدعى إذا انتسبت يا صدقها حين تلقاها فتنتسب

تسقى أزيغب ترويه محاجتها وذاك من ظمئها في ظمئه شرب

منهرت الشدق لم تنبت قوادمُه في حاجب العين من تسبيده زبب

ولم ينس الشاعر الجاهلي أن يضمن بعض صوره الشعرية مفردات من الزواحف والحشرات، كالحية والنحلة والجرادة، ومن هؤلاء، علقمة الفحل الذي شبه فرسه في ضمره ولين معاطفه وتثنيه إذا جنب، بالحية، يقول:[1]

---

[1] المصدر السابق، ص 117.

[2] ديوانه، ص 46.

[3] ديوانه، ص 61 – 62. كدرية: نسبة إلى الكدرة، وهي لون الغبرة الشديدة. حذاء: صفة من الحذذ وهو قصر الذنب. سكاء: لا أذنين لها. نوطة: حوصلتان تخزن فيها الماء لتزق فراخها. منهرت: متسع المنقار. تسبيده: طلوع الريش. زبب: كثرة الريش والزغب. وانظر التشبيه بالحمام: بشر بن أبي خازم ديوانه، ص212. والتشبيه بطير السمام: الأفوه الأودي، ديوانه، ص 81. والتشبيه بطائر السبد: طفيل الغنوي، ديوانه، ص 57.

وراح يباري في الجناب قلوصنا عزيزاً علينـا كالحبـاب المسيبِ

ويصور عمرو بن كلثوم كثرة خيله في الحرب، بأسراب من النحل، يقول:[2]

كأن الخيل أيمن من أُباض بجنْب عُويرضٍ أسراب دبر

وكثيراً ما شد انتباه الشاعر الجاهلي خفة الجرادة وضمورها، وأطلقوا على أفراسهم اسم "الجرادة" و"الخيفانة "؛ تشبيها بالجرادة وسرعتها، كما هي الحال عند خفاف بن ندبة السلمي، حين يقول:[3]

فتلك وجـرداءُ خيفـانـة إذا زُجر الخيلُ لا تُزجـرُ

ويصور قيس بن الخطيم ما فعلته خيله بالأعداء، ويشبهها بالجرادة، قائلاً:[4]

أذاعت بهم كل خيفانـة طروح طموحٍ تلوكُ اللجاما

ويفتخر طفيل الغنوي بكثرة خيولهم، كأنها الجراد في مهب الريح، يقول:[5]

ومن بطن ذي عاجٍ رعال كأنها جرادٌ تُباري وجهة الريح مطنب

ويصور أوس بن حجر كذلك جيشا عظيماً، كالجراد الذي أطاع لـه المرتـع، واتسع له وأمكنه من الرعي، يقول:[6]

كأن جيادنا في رعن زم جرادٌ قد أطاع له الوراق

4.1.4 الطبيعة:

وكما نظر الشاعر الجاهلي إلى الحيوان في بيئته وواقعه، نظر إلى الطبيعـة كذلك، وضمن ما شاهده تجربته الشعرية ووظف منها ما هو نام كالأشجار والنبـات والزهور، وما هو ميت، كالصخور والرمال والجبال، وما هو خاص بالجو، كالمطر والرعد والبرق، والريح والكواكب. وكانت النخلة من أكثر الأشجار وروداً في شعر الخيل عند الشعراء الجاهليين، لأهميتها الاقتصادية في حياتهم، ومن الشعراء الـذين

---

[1] ديوانه، ص 98.

[2] ديوانه، ص 46.

[3] شعره، ص 56. وانظر: امرؤ القيس، ديوانه، م2، ص 624.

[4] ديوانه، ص 214.

[5] ديوانه، ص 43. مطنب: متعمد في جهته. وانظر: بشر بن أبي خازم، ديوانه، ص 74.

[6] ديوانه، ص 79.

أبرزوها في تشبيهاتهم في وصف الخيل، ابن مقبل الذي شبه عنان خيله بجذع نخلة مشذب مقشور، يقول:[1]

ينازع شقيا كأن عنانه   يفوت به الإقداع جذعٌ منقح

ويشبه عنترة بن شداد عنق فرسه في طوله، بجذع نخلة قطع عنه شدنه وأغصانه فزاد طوله، يقول:[2]

وكأن هاديه إذا استقبلته   جذعٌ أذلّ وكان غير مذّلل

واستعاروا من الشجر الذي تتخذ منه القسي، صورة تشبيهية لأفراسهم ومن هذه الأشجار، النبع، كما هي الحال عند ابن مقبل، في قوله:[3]

من كل شوحطةٍ رفيع صدرها   شقاء تسبق رجعة الكلاب

ويصف طفيل الغنوي فرسه الجرداء، ذات الحزام الأملس الشديد، بعود النبعة الذي يتخذ للقسي، يقول:[4]

وجرداء ممراح نبيل حزامها   طروح كعود النبعة المتنخبِ

ومن شجر السراء التي يتخذ منها القسي، استعار طفيل الغنوي أيضا صورة لأضلاع فرسه، يقول:[5]

وعوج كأحناءِ السراء مطت بها   مطارد تهديها أسنه قعضب

وظهر شجر المرخ عند امرئ القيس، حين يصف أذن فرسه، قائلاً:[6]

له أذنٌ ريا كعليط مرخة   إذا ما دنا المكنوز منها ليعصرا

ويشبه طرفة بن العبد الدماء التي تعلو الخيل بشقائق النعمان، يقول:[7]

وتساقى القوم كأساً مرة   وعلا الخيل دماء كالشقر

---

[1] ديوانه، ص 36. الحباب: الحية.

[2] ديوانه، ص 260.

[3] ديوانه، ص 6. وانظر: الأعشى، ديوانه، ص9.

[4] ديوانه، ص 21.

[5] المصدر السابق، ص 21.

[6] ديوانه، م2، ص 687. ريا: ممتلئة. العليط: الأنبوب أو الورقة. وانظر: ديوانه، م1، ص 378 و م2، ص504.

[7] ديوانه، ص 64.

أما أبو دؤاد فإنه يشبه قلب الخيل بكمام الزهر، لخفته وعدم سكونه، يقول:[1]

كليتاها كالمروتيـــن، وقلـــب نبضـــي كأنــــــــه بــرعــوم

وفي قصيدة أخرى يشبه ما تلقيه الجياد من السلى بزهر الشقائق، قائلاً:[2]

وكأن أسلاء الجيـــاد شقائـــق أو عترفـــان قـــد تحشحش للبلى

واستعار الشاعر الجاهلي من الطبيعة ما هـــو ميـــت، كالرمـــل والحجـــارة والصخور والجبال، ووظفه في وصف الصلابة التي تتميز بها أفراسهم، كما نجـد عند امرئ القيس الذي يشبه حارك فرسه في صلابته بكثيب صغير من الرمل لبـــده الندى، فأصبح صلباً، يقول:[3]

له حارك كالدعص لبده الندى إلى كاهل مثل الرتاجِ المُضببِ

ويصف عنترة بن شداد حوافر فرسه بالصلابة، كأنها اقتطعت من الحجارة، يقول:[4]

وله حوافر مـــوثـــق تركيبها صـــم النسور كأنها من جندل

ويصور امرؤ القيس حوافر فرسه بالقوة والصلابة، كأنها حجارة التصق بها الطحلب في الماء، فاصفرت وصلبت، يقول:[5]

ويخطو على صُمٍّ صلاب كأنها حجارة غيل وارساتٌ بطُحلب

أما طفيل الغنوي فيجعل سرعة فرسه أشبه بصخرة وقعت من جبل، يقول:[6]

وسلهبـــةٍ تنضـــو الجياد كأنها رداة تدلـــت مـــن فروع يلَمْلَم

ويشبه امرؤ القيس عجز فرسه، بالصخرة التي جرى عليها الـــسيل وأذهـــب عنها الغبار، يقول:[7]

لها عجـــز كصفاة المسيـــ ـــلِ أبرز عنهـــا حجـــاف مضر

---

[1] ديوانه، ص 343.

[2] المصدر السابق، ص 349. العترفان: الديك. تحشحش للبلى: استعد وأخذ يبلي.

[3] ديوانه، م1، ص 381.

[4] ديوانه، ص 261.

[5] ديوانه، م1، ص 383. وانظر: علقمة الفحل، ديوانه، ص 91.

[6] ديوانه، ص 79.

[7] ديوانه، م2، ص 625. وانظر: ديوانه، م1، ص 247 و ص 249 و م2، ص 626.

وسمّى مجاشع بن مسعود السّلمي فرسه بـ " الصفا ".[1]

ويصف الأفوه الأودي صلابة فرسه بالجبل، حين يقول:[2]

مضبر مثل رُكن الطّودِ تحمله   يدا مهاة ورجلا خاضب يجف

ويصور دريد بن الصمة الخيل، وهي تخرج مسرعة من المتنصف والعرق يجري منها، بالجبل الصغير الأخضر بعد المطر الخفيف، يقول:[3]

سوابقها يخرجن من متنصف   خروج القواري الخضر من سبل الرعد

ولم تكن السماء وكواكبها، والظواهر الطبيعية من برق ورعد وأمطار ورياح وسحاب، بمنأى عن رؤية الشاعر الجاهلي، لاسيما في الجانب الحربي من الحياة الجاهلية، فأخذ يستعير تلك الظواهر للتعبير عن سرعة فرسه، كما هي الحال عند امرئ القيس، حين يقول:[4]

إذا ما جرى شأوين وابتل عطفه   تقول هزيز الريح مرّت بأثأبِ

وكذلك العباس بن مرداس، حين يشبه سرعة أفراس قبيلته بالعاصفة الشديدة، يقول:[5]

صبحناكم العُوج العناجيج بالضحى   تمر بنا مر الرياح السَّواهكِ

ويشبه عبيد بن الأبرص تكشف بياض البرق بتكشف الفرس الأبلق، وقت عدوه، عن أقرابه، يقول:[6]

كأن ريقه لما علا شطباً   أقراب أبلق ينفي الخيل رمّاحِ

وكذلك يشبه عروة بن الورد البرق في سواد الغيم، بالفرس الأبيض ذي البطن الأسود، يقول:[7]

---

[1] ابن سعيد الأندلسي، ج2، ص 806.

[2] ديوانه، ص 96.

[3] ديوانه، ص 56.

[4] ديوانه، م1، ص 387. الأثأب: شجر يشبه الأثل، والواحدة: أثأبة.

[5] ديوانه، ص 125.

[6] ديوانه، ص 35. وانظر: امرؤ القيس، ديوانه، م2، ص695. والعباس بن مرداس، ديوانه، ص174.

[7] ديوانه، ص 56. شفور: هي التي تشفر برجليها، والشفر: رفع الرجلين جداً، وإنما يعني رمحها.

تكشف عائذٍ بلقـــاء، تنفـــي ذكـــور الخيل عن ولدِ شفورِ

ويستعير عمرو بن معد يكرب صوت الرعد؛ ليشبه بـــه صـــوت فرســـه إذا جرى، قائلاً:[1]

إذا ما الركض أسهل جانبيه تهزم رعـــد مبترك جـــلاح

أما امرؤ القيس فيشبه عدو فرسه بصوب السحاب، يقول:[2]

لها وثباتٌ كصوب السحاب فواد خطـــاء وواد مطـــر

ويصف عمرو بن معد يكرب حفيف فرسه إذا جرى، بوقع المطر، حين يقول:[3]

إذا ضربت سمعت لها أزيزاً كوقـــع القطـــر في الأدم الجلادِ

أما الكواكب فقد ظهرت عند خفاف بن ندبة، في قوله:[4]

ونهب كجماع الثريا حـــويته غشاشاً بمحتاتِ القوائم خيفـــقِ

وظهر الشعرى عند أبي دؤاد، في قوله:[5]

ولها قرحـــة تـــلألأ كالشعـــ ـــرى أضاءت وغُمّ عنها النجومُ

وينظر العباس بن مرداس إلى كثرة خيل قبيلته، فسيتعير لوصفها مما هـــو جار، كالبحر، حين يشبه سيرها بأمواج البحر، قائلا:[6]

وسرنا كموج البحر تطمو سيوله بخيل تراها في العجاجـــة تمزعُ

بينما نجد حاتم الطائي يتكئ على الخيل حـــين، يـــصف الليـــل والـــصبح، فيشبههما بحصانين أسود وأشقر، يقول:[7]

وحتّى حسبت الليل والصبح إذ بدا حصانيـــن سياليـــن جونا وأشقرا

---

[1] شعره، ص 61.

[2] ديوانه، م2، ص 627.

[3] شعره، ص 93. وانظر: امرؤ القيس، ديوانه، م1، ص 396 و م2، ص 645. وعدي بن زيد، ديوانـــه، ص 174. وطفيل الغنوي، ديوانه، ص 26.

[4] شعره، ص 31. المحتات: الموثق الخلق.

[5] ديوانه، ص 343.

[6] ديوانه، ص 101.

[7] ديوانه، ص 267.

2.4 البعد الميثولوجي:

1.2.4 الخيل والمرأة:

لقد شكلت المرأة "عشتار" في معتقدات الحضارات القديمة، إلهة للخصب والجنس، ولقد أظهرتها التماثيل بجسدها المنتفخ المضخّم في بعض أجزائها " فالثديان من كتلتين هائلتين مستديرتين، والبطن منتفخ في إشارة لحمل أبدي، والردف ثقيل، والوركان قويان بارزان.."[1]

ولم يكن الفنان القديم يصدر في رسمه وتركيزه على تلك الأعضاء، عن رصد للواقع أو خيال فني، وإنما عن معتقد ديني يتجسد في دور المرأة الإخصابي، ومركزها الأمومي الرائد، ولقد نظر إلى المرأة على أنها الاستمرار الأبدي للخصب في جميع صوره وأشكاله؛ ولذا فقد ظهرت "عشتار" المعبودة، للجنس والخصب والجمال... واختلفت رسوماتها وأشكالها من حضارة لأخرى بحسب المعطيات الثقافية لكل حضارة.

وإذا كان الرجال – في القديم – يتعبدون المرأة، فإنهم يتعبدون فيها الخصوبة؛ إذ إنها نموذج للخصوبة لحبلها كما الأرض في حملها ونماء نباتاتها.[2]
ولعلنا نستوحي هذه الصورة العشتارية من الشعر الجاهلي، الذي كما يبدو قد تسربت صوره وتحولت إلى قالب فني عند العرب في تلك الفترة.[3]
ويلاحظ قوالب المرأة التي يرسمها الأعشى، في قوله:[4]

من كل بيضاء ممكورةٍ لها بشر ناصع كاللبن

وقوله:[5]

صفر الوشاح وملء الدرع بهكنة إذ تأتّى يكاد الخصر ينخزل
هركولة فنق درم مرافقها كأن أخمصها بالشوك منتعل

---

[1] فراس السواح، لغز عشتار، ص43ـ44.

[2] انظر: بول فريشاور، ص38.

[3] انظر: علي البطل، الصورة في الشعر الجاهلي، ص58، مطبعة الفجر العربي، بيروت.

[4] ديوانه، ص17.

[5] المصدر السابق، ص55.

ولامرئ القيس قالبه الذي "يركز على تصوير الأعضاء الأنثوية التي تؤدي وظيفة الخصوبة تاركاً الوجه بلا ملامح محددة؛ إذ يربطه بالشمس مباشرة...".[1] يقول:[2]

فيا رب يـــوم ناعم قـــد لهــوتــه   بمرتجـــة الحاذيـــن ملتـــفة الحشا

برهرهة كالشمس في يوم صحوها   تضـــئ ظلام البيت في ليلة الدجى

أســيلة مـــستن الـــوشاح كـــأنمـــا   تكسر في أوراكــها هـــابر النقا

ولعل السبب في حرص الشاعر على إبراز هذه الصفات الجسدية للمـــرأة، هو: "أنه يحتذي صورة مثالية لامرأة كانت تقدس فيها صفة الخـــصوبة، خـــصوبة جنسية تؤدي دور الأمومة التي هي الوظيفة الأساسية للإلهة الأم، واهبـــة الحيـــاة، وضامنة استمرار

النوع...".[3]

ويبدو أن "وظيفة الأمومة والإخصاب التي تؤديها المرأة في حياة البـــشرية، والصلة الدينية التي أقامها الوثنيون بين المرأة والشمس، إلاهة الأمومة والخـــصوبة في عبادة الكواكب، ما يفسر الصورة الغزلية النمطية للمرأة في الشعر الجاهلي"[4].

وقد جاءت الخيل عند امرئ القيس كقالب المرأة، غليظ اللحم مكتنزاً، دلـــيلا علـــى الخصوبة، يقول:[5]

بعجلزة قد أتزر الجري لحمها   كميت كأنهـــا هـــراوة منوال

وتظهر العلاقة بين المرأة المكتنزة اللحم والخيل، عند عمرو بن كلثوم، حين يصور رعاية النساء واهتمامها بطعام الخيل، يقول:[6]

إذا ما رحـــن يمشين الهوينـــى   كما اظطـــربت متون الشاربينا

يقتن جيادنا ويــــقلـــن لستـــم   بعولتنــــا إذا لـــــم تمنعـــونا

والعلاقة نفسها يبرزها أبو زيد الطائي، في قوله:[1]

---

1 علي البطل،ص59.

2 ديوانه، م2، ص725.

3 علي البطل،ص61.

4 إبراهيم عبد الرحمن،ص135.

5 ديوان امرئ القيس،ج1،ص351.

6 ديوانه،ص87.

تقــوت أفراسهــم نساؤهــم يزجون أجمالهــم مع الغلــسِ

ولعل العلاقة بين الإلهة عشتارت في المعتقدات الكنعانية ورمزها الحصان أو الفرس، هي نفسها العلاقة القائمة بين المرأة في الجاهلية والفرس؛ فالمرأة التي تلــد المقاتلين هي رمز للخصب والخير في المجتمع الجاهلي، والخيل التي تهزم العــدو، وتظفر بالغنيمة هي رمز للخصب والخير أيضاً؛ لذا فإن فكرة التلطيم التي تمارسها النساء بخمرهن مع الخيل تنبع من ازدواج الولاَدتين، ولادة المقاتلين، وولادة النصر والغنيمة، يقول حسان بن ثابت:[2]

تظــل جيــادنا متمطــرات تلطمهــن بالخمــر النســاء

" إن الخيال الشعري الخلاق يحيل المرأة إلى مصدر للخير والخصب، بحيث يصير تعلق الشاعر بها وعشقه إياها، تعلقا بمعاني توليد الحياة والثمر".[3]

والحصان نفسه، يصبح عند امرئ القيس الوسيلة الأثيرة لديه ؛ للانتقال إلى طرفــي اللذة والمتعة: المرأة والخمر،[4] يقول:[5]

كأنــي لم أركــب جواداً للذة ولم أتبطــن كاعبــاً ذات خلخال

ولم أسبأِ الزق الروي ولم أقل لخيلــي كري كرة بعد إجــفــال

وكثيرا ما خاطب الشعراء الجاهليون النساء، وذكرهن بالخيل، كقول العباس بن مرداس:[6]

أما تــريْ يا أم فروة خيلنا منهــا معطلــة تقــاد وظلــع

وعند القتال الكلابي، في قوله:[7]

أشميل لاتسلننــي بــك واسألي أصحاب رحلي بالفلاة الصيهد

والخيل إذ جــاءت بريعانٍ لها حزقــاً توقــصُ بالقنا المتقصد

---

1 شعره،ص104.

2 ديوانه، ص73.

3 محمد أحمد بريري، الليل والنهار في معلقة امرئ القيس، م14،ع2،ص22 ، فصول، 1995، ص19ـ35.

4 محمد عبد المطلب، قراءة ثانية في شعر امرئ القيس، ص40، 1986م.

5 ديوانه،م1، ص341.

6 ديوانه،ص98.

7 ديوانه،ص42.

بل إن أبا سواج، عباد بن خلف الضبي، يخاطب فرسه مخاطبة الأنثى البشرية التي تتألم من الظلم كما يتألم الإنسان، يقول:[1]

إن الجياد على العلات متعبة فإن ظلمناك بذو اليوم فاظلمي

ولعل في تعبير النابغة الذبياني عن الأفراس بكلمة "بنات" ما يشير إلى هذه الرؤية، يقول:[2]

فيهم بنات العسجدي ولاحق وُرقاً مراكلها من المضمار

وفي المعجم العربي ما يؤكد على مدى العلاقة الوطيدة بين المرأة والخيل، فالأسماء التي أطلقها الشعراء على أفراسهم ذات جوهر رمزي، أكثر من كونها أسماء نعتية،[3] فمن ذلك "لفظة "حَصان" وهي المرأة العفيفة عن الرِّيبة، ويقال: امرأة حَصان: أي متزوجة، وأحصنها البعل، وحصنها، وأحصنت هي بنفسها.

وفي القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿التي أحصنت فرجها﴾.[4]

أما الحصان، فهو الفرس الذكر، وسمي حصاناً لأنه ضن بمائه، فلم ينز إلا على حجر كريمة، حتى سموا كل ذكر حصاناً".[5]

وقد ذكر ابن مقبل الحصان، وهي المرأة العفيفة، بقوله:[6]

فما أرضعت من حرة آل مالك وما حملتهم من حصان على طهر

وكذلك عدي بن زيد في قوله:[7]

ولا وضعت إلي على خلاء حصان يوم جلوتها قناعا

وفي مادة " نهد" يصادفنا قولهم: نهد الثدي: ينهد، إذا كعب وانتبر وأشرف، ونهدت المرأة، كعب ثديها وارتفع. والنهد: الفرس الحسن الجميل الجسيم اللحيم

---

[1] ابن جزّي،ص113.

[2] ديوانه،ص109.

[3] يا روسلاف ستيتكيفتش، الاسم والنعت، لغة الاصطلاح في تسميات الحيوان ورموزه في الشعر العربي القديم، م14، ع2، ص182، فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1995م.

[4] سورة التحريم،الآية 12.

[5] التاج،ج32،مادة حصن، تحقيق: علي الهلالي،الكويت 2001م.

[6] ديوانه،ص111.

[7] ديوانه،ص36.

المشرف. والنهد: الفرس الضخم القوي. والأنثى نهدة.[1] ويصف الأعشى نهد المـرأة، قائلاً:[2]

قد نهد الثدي على صـدرها   في مشرق ذي صبـح نائر

وقد وصف الشعراء الجاهليون أفراسهم بذلك، كما هي الحال عند عنترة، في قوله:[3]

إذ لا أزال على رحالة سابح   نهـد تعـاوره الكمـاة مكلـم

وعند عامر بن الطفيل، في قوله:[4]

صبحنـاهم بكل أقـب نهد   ومطـرد لـه يقـد الحديـد

وأطلقوا لفظة "التهكيل" على مشي الحصان والمرأة اختيالاً.[5]

كما أطلقوا على بعض أفراسهم أسماء تتعلق بالنـساء والأنوثـة، ومـن ذلـك "الخيفق" وهي فرس رجل من بني ضبيعة. والخيفق من الخيل: السريعة، وأكثـر مـا توصف به الإناث. والخيفق من النساء: الطويلة الـرفغين، الدقيقـة العظـام، البعيـدة الخطو.[6]

وقد ذكر الأعشى الفرس الخيفق، في قوله:[7]

كم فيهم من شطبة خيفـق   وسابـح ذي ميعـة ضابـر

وفرس "الخنثى" كانت لعمرو بن عمرو بن عدُس، ذكرها مرداس بن أبي عـامر أبو عباس بن مرداس، في يوم جبلة، بقوله:[8]

تمطت كميـت كالهراوة صلدم   بعمرو بن عمرو بعد ما مس باليد

فلولا مدى الخنثى وطول جرائها   لرحت بطيء المشي غير مـقيد

والخنث: من فيه انخناث وتثن، وهو المسترخي المتثني. والانخناث: التثني والتكسر.

---

[1] التاج،ج9، مادة نهد،تحقيق: عبد الستار فراج،الكويت 1971م.

[2] ديوانه، ص139.

[3] ديوانه،ص208.

[4] ديوانه،ص182.

[5] التاج، ج31، مادة: هكل، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، الكويت 2000م.

[6] التاج،ج25،مادة: خفق، تحقيق: مصطفى حجازي، الكويت 1989م.

[7] ديوانه،ص147.

[8] أبو عبيدة، النقائض،ج1،ص294.

ومنه (الخنثى) سميت المرأة، لكونها لينة تتثنى.[1]
و"القرزل"، فرس لطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب.[2]
والقرزل: أن تمشط المرأة مشطة تكون على أحد جانبي رأسها.[3]
والقرزل: شئ تتخذه المرأة فوق رأسها كالقنزعة.[4]

ولقد كانت المرأة والخيل أحد رموز الشمس المعبودة، وتقدم الخيل على هيئة دمى وتماثيل، وقرابين للشمس. وتحمل كلمة "دمية وتماثيل" في المعجم العربي، معنى الصورة المنقوشة والصنم.[5]

ومنه قوله تعالى:﴿ ما هذه التماثيل﴾[6] وقوله عز وجل: ﴿من محاريب وتماثيل﴾[7] وهي توحي إلى ممارسة دينية قبل الإسلام، وقد ارتبطت هذه الصورة المنقوشة أو الصنم بالمرأة والخيل في الشعر الجاهلي، ومن ذلك ما نجده عند الأعشى، في قوله يصف امرأة:[8]

وقد أراها وسط أترابها   في الحي ذي البهجة والسامر
كدمية صور محرابها   بمذهب في مرمر مائر

ويتحدث امرؤ القيس عن المرأة التمثال، وكأنه هيكل للشمس يتوسطه هذا الرمز الأنثوي المرصع بالجوهر الأحمر، يقول:[9]

بلى رب يوم قد لهوت وليلة   بآنسة كأنها خط تمثال
يضئ الفراش وجهها لضجيعها   كمصباح زيت في قناديل ذبال
كأن على لباتها جمر مصطل   أصاب غضاً جزلاً وكف بأجذال

---

1 التاج، ج5، مادة: خنث،تحقيق: مصطفى حجازي، الكويت 1969م.
2 الرسولي،ص302.
3 أبو عبيدة،النقائض،ج1،ص293.
4 التاج، ج30، مادة: قرزله، تحقيق، مصطفى حجازي، الكويت 1998.
5 الزمخشري (أبو القاسم بن محمود بن عمر 538 هـ / 1143م): أساس البلاغة،تحقيق: عبد الرحيم محمود،ص420،مادة: دمي، دار المعرفة،بيروت. والتاج،ج30،مادة: مثل.
6 سورة الأنبياء،الآية 25.
7 سورة سبأ، الآية 13.
8 ديوانه، ص139.
9 ديوانه،م1،ص314 ــ 316.

وتظهر الخيل التمثال عند عدي بن زيد، في قوله:[1]

فضل الخيل بعرق صالح بين يعبــوب ومن آل سحم

فتنــامت أفحل نجــب به فهو كالتــمثال جياش هزم

وعند عبيد بن الأبرص، في قوله:[2]

يسبق الألف بالمدجج ذي القو نــس حتــى يئوب كالتمثــال

ولعل في صورة العروس التي تتهيأ لميلاد الجــنس والخــصب، مــا يــشير بوضوح إلى تلك الرؤية الدينية القديمة عند الإنسان الجاهلي، ويقول امرؤ القيس:[3]

كأن سراته لدى البيت قائما مداك عروس أو صلاية حنظل

ويشير أبو زبيد الطائي إلى ذلك، في قوله:[4]

كــأن بنحــره وبمنكبيــه عبيــرا بــات تعبؤه عروس

كما أن الإشارة إلى الشعر الطويل السابغ، إشارة إلى الخصوبة نفسها، حيث يمثل الشعر الطويل عبادة الخصوبة عند الإنسان القديم، وهو رمز مــن رموزهــا، يقول امرؤ القيس:[5]

لها ذنب مثل ذيل العروس تسد به فرجهــا من دبــر

ويقول عدي بن زيد:[6]

له ذنب مثل ذيل العــروس على سبــة مثل حجــر اللجم

ويشبه امرؤ القيس كثرة شعر فرسه وانتشاره بذوائب النساء، يقول:[7]

لهــا عذر كقرون النســا ء ركبــن في يوم ريــح وصر

ويصور عدي بن زيد قصة فرسه بقصة المرأة، قائلا:[8]

---

[1] ديوانه،ص74.

[2] ديوانه،ص109.

[3] ديوانه،م1،ص263.

[4] ديوانه، ص 99.

[5] ديوانه، م2، ص625.

[6] ديوانه، ص169.

[7] ديوانه، م2، ص625.

[8] ديوانه، ص169

لــه قصــة فشغـت حاجبيه والعين تبصر ما في الظــلم

وتبرز عند بعض الشعراء صورة الافتلاء، كما هي الحال عند عنتـرة بـن شداد، حين يشبه شعر الخيول بشعر نساء لم يجدن فواليا، يقول:[1]

وأنا نقود الخيل حتى رؤوسها رؤوس نساء لا يجدن فواليـا

بينما نجد حسان بن ثابت يشبه أشعار النوائح بأذناب الخيل، يقول:[2]

ينقضـن أشعــاراً لهـن هنــاك باديـة المسـائـخ

وكأنهـا أذناب خيـــ ـــل بالضحى شمسٍ روائح

ومن أوابد العرب، دائرة المهقوع، وهو الفرس الذي به الدائرة التي تسمى: الهقعة، يزعمون أنه إذا عرق الفرس تحت صاحبه، اغتلمت حليلته، وطلبت الرجال، ومنه قول الشاعر:[3]

إذا عرق المهقوع بالمرء أنعظت حـليلتـه وازداد عـجـانهـا

ويشبه أبو دؤاد حصانه بالمرأة تتهالك على الرجال؛ طلبا للجنس، يقول:[4]

غدونا بــه كسـوار الهلـو ك مضطمرا حالباه اضطمارا

ولعل في بيت أبي زبيد الطائي ما يشير إلى شبقية الحصان، حين يصف رغبة الحصان الشديدة لفرس أنثى، يقول:[5]

أقبل يردي معا ردي الحصان إلى مستعسـب أرب منــه بتمهيـر

؛ لذا حكى الجاحظ أن للفرس عند معاينة الحجر هيجا وصياحا، وقلقا وطلبا.[6] وهو يتشمم أنثاه على قاب غرض أو غرضين، أو غلوة، أو غلوتين.[7]

---

[1] ديوانه، ص227.

[2] ديوانه،ص374.

[3] النويري،ج3،ص126. وأنعظ الرجل والمرأة: علاهما الشبق واشتهيا الجماع، وهاجا. التاج، ج20، مادة: نعظ، تحقيق، عبدالكريم الزباوي، الكويت 1983م. وعجان المرأة: الوترة التي بين قُبلها وثعلبتها. التاج، ج35، مادة: عجن، تحقيق مصطفي حجازي، الكويت 2001م

[4] ديوانه، ص 352

[5] ديوانه،ص81.

[6] الحيوان،ج5،ص314.

[7] المصدر السابق،ج2،ص141.

وزعم أن الفرس يحتلم، وأنه قد عُوين منه ذلك.[1]

ومن ثم يأتي الحمل عند أفنون، صريم بن معشر بن ذهل، في يوم حـاجر، حين يشبه أنين الخيول في الحرب بأنين النساء الحاملات، يقول:[2]

تئن أنين الحاملات وتشتكي عجاناتها من طول نكب الدوائر

وينظر بشر بن أبي خازم من زاوية أخرى إلى المرأة الحامل، حـين يـشبه شهوة الخيل للجري وحرصها عليه، بشدة شهوة المرأة الحامل عندما ترغـب فـي شيء ما، يقول:[3]

تراهن من أزمهـا شـزباً إذا هـن آنسن منها وحاما

وحين تحمل النساء بالمقاتلين، تحمل الخيل بالأمهار، فيرتبط كـلا الحملـين بالآخر في أرض المعركة، وهما بدورهما يشكلان الخصوبة للقبيلة، يقول أبو دؤاد:[4]

بكرت بأيديهـا توجـس حـرة نفساء شاخصـة تلفـع بالسلـى

يقفونهـا بالـزاد وهـي أثيـرة معصوبة الحقوين من حذر الخوى

2.2.4 الخيل والماء:

إن الفكرة المركزية التي تدور حولها ثنائية الخيل والماء تنطلق مـن جملـة "نستمطرها فتمطرنا" ولا يمكننا أن نفهم ما تمطره الأصنام وما تغدقه على العـرب من هبات، بمنأى عن تلك الصحراء المحرقة، وتلك الرمال الملتهبة، التي كثيراً مـا وصفها الشعراء الجاهليون في قصائدهم، ومن هؤلاء الأعشى، في قوله:[5]

تدلت عليه الشمس حتى كأنها من الحـر ترمي بالسكينة قورها

وعند المتلمس الضبعي، في قوله:[6]

وجناء قد طبخ الهواجر لحمها وكـأن نقبتهـا أديـم أملـس

---

[1] الحيوان، ج2، ص216.

[2] الشمشاطي، ص 108.

[3] ديوانه، ص 189.

[4] ديوانه، ص 349.

[5] ديوانه، ص273.

[6] ديوانه، ص183.

من خلال منظر الصحراء المرعب، والحرارة المهلكة، نظر الإنسان الجاهلي إلى الماء بإكبار وتقديس، وأحاطه بصلواته وأدعيته "فاتخذ المطر في أذهانهم صورة المغيث من الهلاك، فسموه غيثا، وصورة أصل الحياة فسموه حيا، وصورة المنجي من العذاب فسموه رحمة "[1] فلا عجب إذاً أن نشاهد هذا الترقب الجماعي لنزول المطر في الشعر الجاهلي، وقد عبر عنه الشعراء في قصائدهم، وهو تعبير عن الرغبة في المطر، وتعبير عن التوتر والقلق الذي يعانيه الإنسان الجاهلي من انحباس المطر، وهذا التوتر وليد الحدس الجماعي والشعور العام، والرغبة في ماء الحياة.[2]

ويعبر عبيد بن الأبرص عن تلك الرغبة، بقوله:[3]

يا من لبرق أبيت الليل أرقبه   من عارض كبياض الصبح لماح

والأعشى في قوله:[4]

يا من يرى عارضاً قد بت أرقبه   كأنما البرق في حافاته الشعل

ولقد تجسدت صور الماء في القرآن الكريم، على أنها منبع الحياة ومادتها، وفي المقابل مادة الموت، وصورة للنقمة والعذاب، ومما ورد في القرآن الكريم ما يدل على تلك الصورة الباعثة من الموت، قوله تعالى:﴿ والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور﴾[5]

والماء أصل الحياة، قال عز وجل: ﴿ وجعلنا من الماء كل شئ حي﴾.[6]

وحكى الآلوسي "أن طائفة تعبد الماء من دون الله، وتزعم أن الماء كان أصل كل شيء وبه كل ولادة ونمو ونشوء وطهارة وعمارة وما من عمل في الدنيا إلا يحتاج إلى الماء..."[7]

---

[1] أنور أبو سويلم، المطر في الشعر الجاهلي، ص33، ط1، دار الجيل، بيروت 1987.

[2] أنور أبو سويلم، المطر في الشعر الجاهلي، ص39.

[3] ديوانه، ص34.

[4] ديوانه، ص57.

[5] سورة فاطر، الآية 9.

[6] سورة الأنبياء، الآية 30.

[7] نهاية الأرب، ج2، ص128.

وكان الماجيانيون يقدسون الأنهار خوفا وفزعا منها؛ لظنهم أنها كائنات مشخصة قوية أو أنها مأوى لأرواح قوية.[1]

وقد اكتشف في الجزيرة العربية بعض الرسومات التي تشير إلى رقصات بأقنعة الخيل، يذهب الظن إلى أنها طقوس استمطار.[2]

وفي المعتقدات الإغريقية يوجد العديد من الينابيع، تزعم هذه المعتقدات أنها تنبعث من ضربة حافر"بيجاس" الحصان المجنّح.[3]

وهناك أيضا من نظر إلى المطر بتلك القدسية، فقد كانت الشعوب القديمة تستخدم طقوسا سحرية لإنزال المطر، ومن ذلك مثلا، أنهم إذا أرادوا أن يسقط المطر قاموا بمحاكاة سقوطه برش الماء، أو محاكاة تجمع الغيوم والسحب، أما إذا أرادوا إيقافه، وإحداث الجدب، فإنهم يتفادون الاقتراب من الماء، ويعمدون إلى الدفء، وإلى النار"[4]

وفي المقابل كانت النار عند العرب مجلبة للمطر، حيث يعمدون إلى البقر فيصعدونها جبلا وعرا، فيشعلون فيها النيران، ويضجون بالدعاء والتضرع؛ اعتقادا منهم بنزول المطر".[5]

وكما كانت الخيل في الحضارات القديمة تجسد الجنس والخصب وتستنزل المطر أحيانا، فقد ارتبطت هذه العلاقة بين الفرس والمطر في المعتقد العربي، ولعل البحث عن دلالة الأسماء في المعجم العربي، والتي تحملها خيول العرب في العصر الجاهلي، يؤكد تلك العلاقة الميثولوجية القائمة في ذهن الإنسان العربي آنذاك.

ومن هذه الأفراس "سكاب"[6]

[1] فريزر، الفولكلور في العهد القديم، ج2، ص 238.

[2] أطلال، ع11، ص81، 1988م.

[3] انظر فكرة: الخيل رمز للخصب والجنس، في الفصل الأول من الباب الأول.

[4] فريزر، الغصن الذهبي، ص250.

[5] النويري، ج1، ص109 ـــ 110.

[6] الرسولي، ص323.

والسكب: الهَطَلانُ الدائم كالأسكوب. وسكب اسم فرس تشبيها بفيض الماء وانسكابه.[1]

وفرس "سبل"[2]. وأسبلت السماء: أمطرت، وأسبل المطر: أرسل دفعه، وتكاثف. والسبل: المطر بين السحاب والأرض، حين يخرج من السحاب، ولم يصل إلى الأرض.[3]

وفرس "الغراف"[4]. وغرف الماء بيده: أخذه بيده، وخيل مغارف، كأنها تغرف الجري غرفا. وبئر غروف، وغريف: كبير، أو كثير الأخذ للماء. وأنشد صاحب التاج قول البراء بن قيس، صاحب "الغراف":[5]

فإن يك غراف تبدل فارسا   سواي، فقد بدلت منه سميدعا

و"ثادق" فرس فحل لحبيب بن قيس، وفيه يقول:[6]

وباتت تلوم على ثادق   ليُشرى وقد جد عصيانها

وسحاب ثادق، أي: سائل. وثدق المطر: خرج من السحاب خروجا سريعا، وجدَّ نحو الودق.[7]

ولعله من الأفراس الأصيلة، إذ يذكره أبو دؤاد في شعره، بقوله:[8]

جلب الجياد من العراق شوازبا   قب البطون يجلن بالألباد

نجل الغمامة والصريح وثادقٍ   وبنات قيد، نجل كل جواد

و"فياض" فرس أنثى مشهورة لبني جعدة.[9] و"الفيض" فرس لبني ضبيعة بن

---

1 التاج، ج3، مادة: سكب، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، ط2، الكويت 1987م.

2 الرسولي، ص297.

3 التاج، ج29، مادة: سبل، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، الكويت 1997م.

4 الرسولي، ص207.

5 التاج، ج24، مادة: غرف، تحقيق: مصطفى حجازي، الكويت 1987م.

6 الرسولي، ص313.

7 التاج، ج25، مادة: ثدق.

8 ديوانه، ص312.

9 الرسولي، ص328.

نزار.[1] وفرس أخرى لعتبة بن أبي سفيان.[2] وفاض الماء والدمع وغيرهما، أي كثر حتى سال كالوادي. والفيض الكثير الجري من الخيل. ونهر فياض: كثير الماء.[3]

و"الهطال" فرس زيد الخيل الطائي، ذكره بقوله:[4]

أقرب مربط الهطـــال إنـــي   أرى حـــربا ستلقح عن حيال

والهطل: المطر الضعيف الدائم المتفرق العظيم القطر، وقيل: هو الدائم مـــا كـــان. والهطل: تتابع المطر. ومطر هطل وسحاب هطل: كثير الهطلان.[5]

ويرى أحدهم أنه لمجرد أن يلفظ الشاعر اسم فرسه الهطال، يـــستدعي فـــي الحال أفكار الخصوبة والتلقيح أو مقابلاتها.[6]

والفرس "المتمطر"، لحيان بن مرة.[7]

ومن هنا ننظر إلى كلمة "الجواد" في المعجم، ومنه الجواد: السخي والسخية. والجود: المطر الواسع الغزير، والجود من المطر: الذي لا مطر فوقه البتة.[8] فإذا روى المطر كل شيء، فهو الجود.[9]

ولعل الجود والمطر كلمتان مترادفتان للنوال والعطاء، فكما كـــان الحـــصان الجواد كريماً، كان الرجل الجواد كريماً، يقول العباس بن مرداس:[10]

وقد يعلم الحي عند السؤا   ل أني أجـــود وأستمطـــر

لذا فإن الشعراء الجاهليين كثيرا ما أطلقـــوا علـــى أفراســـهم " الـــسوابح"؛ لارتباطها بالماء، يقول قيس بن زهير:[11]

حـــذار الردى إذ رأوا خيلنا   مقدمهـــا ســـابـــح أدهـــم

---

1 التاج، ج18، مادة: فيض، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، الكويت 1979م.

2 الرسولي، ص302.

3 التاج، ج18، مادة: فيض.

4 ديوانه، ص89.

5 التاج ج31، مادة: هطل.

6 ياروسلاف (الحاشية) ص199.

7 الرسولي، ص312.

8 التاج، ج7، مادة: جود.

9 النويري، ج1، ص76.

10 ديوانه، ص76.

11 ديوانه، ص44.

وعند امرئ القيس، في قوله:[1]

سـبوحا جموحا وإحضارها   كمعـمعة السـعف الموقد

وفي قوله أيضا:[2]

أشق شخيص طامح الطرف سابح   جواد إذا هيجتـه عانـد الهـوى

وقوله:[3]

تقدمـني نهدة سـبـوح   صلـبها العض والحيـال

والبرق الذي يكشف السحب في السماء، يشبهه الشاعر بخيول بلـق تحمـي أمهارها، وكلتا الصورتين تحملان دلالة الخصب والعطاء، يقول خفاف بن ندبة:[4]

أصاح ترى البرق لم يغتمض   إذا زعزعته الجنوب استطارا

كـأن تـكشـفه بالنشـاص   بلـق تكشـف تحـمي مهارا

أما عروة بن الورد فيشبه البرق في سواد الغيم ببياض الفرس، فينزل المطر بعد ذلك، يقول:[5]

تكـشف عـائذ بـلقاء، تنفي   ذكـور الخيل عن ولد، شفور

سقى سلمى، وأين ديار سلمى   إذا حلـت مجـاورة الـسرير

وتتكرر صورة لمعان البرق، والسحاب الذي يتكشف عن خيول بلق، يقـول امـرؤ القيس:[6]

هل تأرقان لبـرق بت أرقبـه   كمـا تكشف عنها البلق أجلالا

ويشبه الأعشى الغبار الذي تثيره الخيل بالسحاب، من ثم تأتي الغنيمة، كما يأتي السحاب بالأمطار والخصب، يقول:[7]

فترى سوابقها يثرن عجاجة   مثل السحاب إذا قفوت رعالها

---

1 ديوانه، م2، ص645.

2 المصدر السابق، م2، ص727.

3 نفسه، م2، ص597.

4 ديوانه، ص78 ـ 79.

5 ديوانه، ص56.

6 ديوانه، م2، ص695.

7 ديوانه، ص33.

متــباريات في الأعنة شزبا　　حتــى تفئ عشــية أنـــفالها

"فلا عجب ــ إذن ــ أن يرتبط الفرس بصورة دفعات المطر التي تنثال فــي عتمة الليل، فهي لذلك أشد عنفا وأكثر برودة ودائما ينثال مطر الفرس (عشية) بمــا يوحي بالمباغتة والمداهمة غير المتوقعة..."[1]، يقول امرؤ القيس:[2]

خفاهــن من أنفاقهــن كأنمــا　　خفــاهن ودق مــن عشي محلب

ويقول:[3]

فأدركهــن ثانيا مــن عنانــه　　كغيــث العشــي الأقهب المتودق

وكثيرا ما شبهوا هذه الأفراس بالغيث الذي ينزل على الأرض، وبالشؤبوب.

"وكأنما الفرس مرسل "الغيث" الذي يتوقعه الشاعر الجاهلي دون قنوط"[4]

يقول زهير بن أبي سلمى:[5]

فأتبــع آثــار الشيــاه وليدنــا　　كشؤبوب غيث يحفش الأكم وابله

ويقول علقمة الفحل:[6]

خفى الفأر من أنفاقه فكأنما　　تخلله شؤبوب غيث منقب

ويقول امرؤ القيس:[7]

فقفى على آثارهن بحاصب　　وغبية شؤبوب من الشد ملهب

ونظر الشعراء إلى العرق الذي يرشح به جسد الحصان، فــصوروه بالمــاء الذي يهبط من السماء، وكأن الخيل هي صانعة المطر، يقول خفاف بن ندبة:[8]

إذا ما استحمت أرضه من سمائه　　جرى وهو مودوع وواعد مصدق

---

1 أنور أبو سويلم، المطر في الشعر الجاهلي، ص199.

2 ديوانه، م1، ص395.

3 المصدر السابق، م2، ص638.

4 مصطفى ناصف، قراءة ثانية لشعرنا القديم، ص83، دار الأندلس، بيروت.

5 ديوانه، ص108.

6 ديوانه، ص95.

7 ديوانه، م1، ص391.

8 شعره، ص33.

ويقول امرؤ القيس:[1]

أقب كسرحان الغضى متمطر ترى الماء من أعطافه قد تحدرا

ويقول أيضا:[2]

فآب إيـــابا غير نكد مواكل وأخلف ماءً بعد ماءٍ فضيـض

كما شبه الشعراء سرعة الخيل ببكرة البئر التي ترفع دلو الماء، ولا شـك أن هذه الأداة وسيلة رئيسة لجلب الماء من قعر البئر، كما الخيل وسيلة مـن وسـائل استنزال المطر، يقول امرؤ القيس:[3]

يديـر قطـاة كالمحالة أشرفت إلى سند مثل الغبيط الـمذأب

وصورة الدلو الذي يهوي بمائه من العلياء، يرصدها سـلامة بـن جنـدل؛ ليصف بها سرعة الخيل، يقول:[4]

يهوي إلى الخيل جازته وثار لها هوي سجل من العلياء مصبـوب

ويقول عدي بن زيد، مشبها سرعة الفرس بدلو انقطعت سيوره:[5]

فهو كالدلو بكف المـستقي خذلت منه العراقي فانـجذم

أما البئر نفسها، فقد رصدها امرؤ القيس؛ ليصور بها فرسه، قائلا:[6]

يجم على الساقين بعـد كلالـه جموم عيون الحسي بعد المخيض

" إن فكرة الماء ـ سواء في شكل مطر أم في شكل ماء استقي مـن البئـر وحملته الدلوـ لا تزال من الأفكار المهمة التي تجعل الفرس مثلا للحياة الدنيا التـي تقرن في الكتاب العزيز بماء نزل من السماء".[7]

"وهذا الارتباط بين الحصان والمطر يكاد يصبح نوعا من التوحد، فإذا جرى أو بذل جهدا انساب منه المطر كما ينساب الذي في السماء"[8]، يقول عدي بن زيد:[1]

---

[1] ديوانه، م2، ص430.

[2] المصدر السابق، م2، ص470.

[3] نفسه، م1، ص386.

[4] ديوانه، ص230.

[5] ديوانه، ص75.

[6] ديوانه، م2، ص468.

[7] مصطفى ناصف، ص83.

[8] محمد عبد المطلب، ص41.

يرأب الشد بـــسح مرسل كاحتفال الغيث بالمزن اليفن

ويصور امرؤ القيس فرسه بالمطر الذي يصيب أرضا ذات حجارة صغيرة، يقول:[2]

فـــصوبته كأنه صــوب غبيــة على الأمعز الضاحي إذا اشتد أحضرا

وكذلك في قوله:[3]

تفـيض على المــرء أردانـــها كفـيض الأتيِّ على الجـــدجـــد

وبرزت صورة الصخرة التي تتدفق منها السيول، وهي تمثــل ذلــك الــسيل العاتي ليعبروا ــ ربما ــ عن معاني النقمة والعذاب[4]، لاسيما عند امــرئ القــيس، يقول:[5]

لهــا عـــجز كصفاة المسيـــ ـــل أبرز عنها جحاف مضر

ويقول لبيد بن ربيعة:[6]

وعلاه زبد المحـــض كمـــا زل عن ظهر الصفا ماء الوشل

ولعل حصان امرئ القيس يحتاج إلى قوة خارقة، أشبه بالأسطورة لاستنزال هذا السيل المدمر، فيصنعه من حركتين متناقضتين في لحظة واحدة "معاً" ليجــرف كل شئ في طريقه، يقول:[7]

مكـــر مفـــر مقبـــل مدبـــر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل

كميت يزل اللبد عن حال متنـــه كما زلــت الصفــواء بالمتنـــزل

لذا "فإن السيل يشبع في امرئ القيس الحاجة إلـــى القـــوة (توكيــد الـــذات) والحاجة إلى الوفرة والخصب والسعادة".[8]

" فعالم الفرس أشبه بعالم المطر ليس بينهما فرق كبير".[9]

---

[1] ديوانه، ص174.

[2] ديوانه، م2، ص688.

[3] المصدر السابق، م2، ص645.

[4] أنور أبو سويلم، المطر في الشعر الجاهلي، ص201.

[5] ديوانه، م2، ص625.

[6] شرح ديوانه، ص187.

[7] ديوانه، م1، ص247 ــ 249.

[8] يوسف اليوسف، تحليل معلقة امرئ القيس، ع165، ص105 ــ 106، المعرفة، دمشق 1975م.

[9] مصطفى ناصف، ص79.

وقد كان الفرس في معظم القصائد الجاهلية، صانع المطر، وكان الشعراء يروون "قصة الفرس الذي يجاهد من أجل المطر".[1]

3.2.4 الخيل والنخلة:

لقد كانت النخلة أحد رموز "عشتار" إلهة الخصب والجنس، لما تمثله النخلة من خصب وخير على الإنسانية،وقوة الصبر على عوادي الزمن،وغزارة العطاء والجود حين تشح العطايا، وتقل المؤن.

والنخلة شجرة (عشتروت المقدسة)، فمن "ثمرها" تسمت عشتروت، كما أن من اسم ثمرها جاء اسم الإله "دامور" أو "تامور" أو " تامير " أي التمر،ووجدت آثار هذا الإله في جزر البحر المتوسط التي استعمرها الفينيقيون،فكان يصك على النقود شعار نخلة وافرة الثمار.[2]

ودخلت النخلة الميثولوجيا الإغريقية، فكل من الآلهة، أبولو، ونبتون، ودلين، ولدوا تحت نخلة.[3]

وفي القرآن الكريم،جاء مخاض مريم البتول بعيسى عليه السلام إلى جذع النخلة: ﴿فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة﴾[4]

واعتقد الإنسان القديم بتجسيد الشجرة لروح الخصوبة.[5]

وتصور أشجار النباتات على أنها كائنات حية لها نفوس يؤدي بالضرورة إلى معاملتها على أنها ذكور وإناث يمكن أن تتزوج بعضها من بعض بالمعنى الدقيق للكلمة وليس بالمعنى المجازي أو الشعري.[6]

ولقد عرف الأقدمون الفرق بين الذكر والأنثى في نخيل البلح وكانوا يخصبونها صناعيا عن طريق نقل بذور اللقاح من النخلة الذكر إلى أزهار النخلة

---

[1] مصطفى ناصف، ص81.

[2] شوقي عبد الحكيم، موسوعة الفولكلور والأساطير العربية، ص665،مكتبة مدبولي، القاهرة.

[3] المصدر السابق، ص666.

[4] سورة مريم، الآية 23.

[5] فراس السواح، لغز عشتار، ص113.

[6] فريزر، الغصن الذهبي، ج1، ص397.

الأنثى. وكان أهالي حران الوثنيون يسمون الشهر الذي تتم فيه عملية التلقيح باسم "شهر البلح"، وفيه كانوا يحتفلون أيضا بأعياد زواج جميع الأرباب والربات.[1]

ولم يكن تقديس الأشجار بين عرب الجاهلية بأقل من تقديس الحيوانات، وخاصة شجرة النخيل التي كانت تؤلف قواماً من مقومات حياتهم، والتي لابد أن تكون قد عبدت وقدست لهذه الميزة.[2]

ويروي المسعودي أن للعرب في قلوب الزنج هيبة عظيمة،فإذا عاينوا رجلا منهم سجدوا له، وقالوا هذا ابن مملكة تنبت في بلادهم شجر التمر.[3]

وكان العرب يعتقدون أن روح العزى استقرت بثلاث سمرات ببطن نخلة،فلما افتتح النبي ﷺ مكة، أرسل خالد بن الوليد، فاجتثها.[4]

ولعل تقديس النخل عند العرب،له علاقة بكونه من رموز الخصوبة والأنوثة، لذلك كانت النساء الجاهليات يضعن حليهن وأثوابهن على جذوع نخلة نجران؛ابتغاء للذرية،من الآلهة "عشتار" التي كانت تلبس القلائد والقروط.[5]

وترتبط صورة الحصان بالنخلة منذ القديم،حيث عثر في شبه جزيرة البيرينة على نقود لا كتابة عليها،تحمل صورة رأس حصان ونخلة[6] لارتباط الاثنين معا بالخصب.

وقد ظهرت في بعض العملات في منطقة الخليج صورة امرأة تحمل حصانا فوق يدها الممدودة،مع شجرة نخيل.[7]

---

[1] فريزر، الغصن الذهبي، ج1، ص398.

[2] محمود الحوت، ص109.

[3] أخبار الزمان، ص41.

[4] الكلبي، ص25.

[5] انظر: ابن هشام (عبد الملك بن هشام بن أيوب 218هـ): السيرة النبوية،تحقيق: مصطفى السقا وآخرون،ج1،ص33،المكتبة العلمية،بيروت.

[6] بولي تسيركين، ص99.

[7] دانيال ت. يوتس،الخليج العربي في العصور القديمة،ترجمة: إبراهيم خوري،ج2،ص736،المجمع الثقافي،أبو ظبي 2003م.

وظهر ارتباط المرأة بالنخلة في الشعر الجاهلي،دليلا على الخصب والأنوثة،ومن ذلك ما نجده عند امرئ القيس،في قوله:[1]

فلما تنازعنا الحديث وأسمحت هصرت بغصن ذي شماريخ ميّال

ويشبه الشاعر نفسه،شعر المراة الكثيف بعذق النخلة المتداخل، قائلا:[2]

وفرع يزين المتن أسود فاحم أثيث كقنو النخلة المتعثكل

ويقول أبو دؤاد:[3]

وتراهن في الهوادج كالغز لان ما إن ينالهن السهام

نخلات من نخل بيسان أينعـ ـن جميعا ونبتهن تؤام

"فالمرأة والنخلة يجمعهما عنصر الخير و"الخصوبة الأنثوية" في قوله: (نبتهن تؤام)".[4]

أما ارتباط الخيل بالنخلة عند العرب،فقد ظهر في أسماء بعض أفراسهم،وهو ما يؤكد صورة الخصوبة في أذهانهم، ومدى اشتراك الجنسين، الخيل والنخل، في حمل هذه الخصوبة الأنثوية. ومن هذه الأفراس: ذو الشمراخ،[5] والشمراخ، العثكال الذي عليه بسر، وأصله في العذق.[6]

وقد شبه أوس بن حجر غرة الفرس بشمراخ النخل، يقول:[7]

وخارجي يزم الألف معترضا وهونة ذات شمراخ وأحجال

ويشبه امرؤ القيس غرة الفرس الكثيرة الشعر،بشمراخ عذق النخلة،يقول:[8]

وناصية غماء كالفرع رسلة على خط شمراخ له غير أمعرا

---

[1] ديوانه،م1،ص329.

[2] المصدر السابق،م2،ص741.

[3] ديوانه، ص338.

[4] أنور أبو سويلم، مظاهر من الحضارة والمعتقد في الشعر الجاهلي، ص70.

[5] الرسولي، ص301.

[6] التاج، ج7، مادة: شمرخ.

[7] ديوانه، ص103.

[8] ديوانه، م2، ص687.

وأطلقوا على بعضها اسم، سوادة[1]،والسواد جماعة النخل والشجر؛لخضرته واسوداده، وقيل: إنما ذلك لأن الخضرة تقارب السواد.[2]

كما وصفوا أفراسهم بالشطبة، وذلك عند الأعشى،في قوله:[3]

كم فيهم من شطبة خيفق وسابح ذي ميعة ضابر

والشطب:السعف الأخضر الرطب من جريد النخل، واحدته: شطبة[4]

ويبرز هذا الارتباط العميق بين الخيل والنخلة في الشعر الجاهلي، إذ يدور على ألسنة الشعراء تشبيه عنق الفرس بجذع النخلة لصلابته وقوته، في حماية النخلة وثمرها ،وهو فكرة تكثر كثرة مفرطة عندهم، مما يدل على الهاجس الجماعي لتلك الخصوبة، يقول الأعشى:[5]

وكل كميت كجذع الخصا ب يرنو القناء إذا ما صفن

سما بتليل كجذع الخصا ب حر القذال طويل الغسن

وقوله:[6]

وكل كميت كجذع الخصا ب يردي على سلطات لثم

وأكثر ما يبرز في أشعارهم ،الجذع المشذب ،ويقول امرؤ القيس:[7]

له جؤجؤ حشر كأن لجامه يعالي به في رأس جذع مشذب

وقوله:[8]

ومستفلك الذفرى كأن عنانه ومثناته في رأس جذع مشذب

ويتحدث أبو داؤد عن فرسه، فيشبه عنقه بجذع شذب من الكرب،يقول:[9]

وهاد تقدم لاعيب فيه كالجذع شذب عنه الكرب

بينما نجد امرأ القيس يتحدث عن فرسه، مشبها به جذع نخلة شذب عنه ليفه، يقول:[1]

---

1 الرسولي، ص324.

2 التاج،ج8، مادة: سود، تحقيق، عبدالكريم العزباوي، ط2، الكويت1987م.

3 ديوانه، ص 147.

4 التاج، ج8،مادة: شطب.

5 ديوانه ، ص21

6 ديوانه ، ص39

7 ديوانه، م1 ، ص385

9 ديوانه، ص292

له عنق كالجذع شذب ليفه إذا ما دنا قنوانه ثم أبسرا

وكذلك عامر بن الطفيل،الذي يشبة عنق فرسه بجذع نخلة أملس،لا ليف عليه، يقول:[2]

وكأن هاديه إذا استعرضته جذع تحسـر ليفـه مجرود

ويتحدث لبيد بن ربيعة عن الخيل التي تحمل سلاحه،ويشبه طولها بنخلة عاليـة جرداء، يقول:[3]

ولقد حميت الحي تحمل شكتـي فرط،وشاحي إذا غدوت لجامها

أسهلت وانتصبت كجـذع منيفـة جرداء يحصر دونها جرامهـا

إن تشبيه الخيل بنخلة جرداء عند لبيد،يرمز ــ عند بعضهم ــ إلى العـابر المندمج باعتبار الخيل طاقة طبيعية فقيدة لخدمة المجتمع البـشري. وهـي أيـضا صورة أخرى للطبيعة المتحضرة.[4]

ولقد لفت انجراد الفرس من الشعر وضموره بعض الشعراء،فأحالته تلك الصورة إلى عسيب النخل الذي أزيل عنه خوصه، ومن هؤلاء الشعراء،المرقش الأصغر في قوله:[5]

غدونا بصاف كالعسيب مجلل طويناه حينا فهو شزب ملوح

ويقول مرة بن همام:[6]

لبعثت في عرض الصراخ مفاضة وعلوت أجرد كالعسيـب مشذبـا

ويقول عامر بن الطفيل:[7]

فمـا أدرك الأوتـار مثل محقق بأجرد طـاو كالعسيب المـشذب

والصورة نفسها عند المسيب بن علس، في قوله:[1]

---

[1] ديوانه، م2،ص687.

[2] ديوانه، ص333.

[3] شرح ديوانه، ص315 ــ 316.

[4] سوزان ستيتكيفيتش، القصيدة العزبية وطقوس العبور، م60،ج1، ص71، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق 1985.

[5] المفضليات، ص242.

[6] المصدر السابق، ص303.

[7] ديوانه، ص346.

يهــب الجيــاد كأنها عسب   جــرد أطال نسيلها البقــل

ويرى أبو سويلم أنه لم يذكر في أشعار الجاهليين تشبيه أنثى الخيل بالعسيب؛ لأن العسيب غير مخصب، ولا يحمل ثمرا، وهو مذكر اللفظ يناسب فحــول الخيــل دون سواها.[2]

ونظر الشعراء إلى الشعر في مقدمة الخيل، فشبهوه بسعف النخيل،كما هــي الحال عند امرئ القيس، يقول:[3]

وأركــب في الروع خيفانــة   كســا وجههــا سعف منتشــر

ويشبه طفيل الغنوي أذناب الخيل، بسعف صغار النخل الكثيف، يقول:[4]

وأذنابها وحف كأن ذيولها   مجر أشاء من سميحة مرطب

"كما شبهوا نسور الخيل بالنوى، والنوى يتضمن فكرة الخصوبة وأصــل الحيــاة"،[5] يقول دريد بن الصمة:[6]

وتخطو على صــم كــأن نســورها   نوى القسب يستوقدن من الظرب الصلد

ويقول علقمة الفحل:[7]

سلاءة كعصــا النهــدي غــل بها   ذوفيئــة مــن نوى قران معــجوم

وكذلك عند سلمة بن الخرشب، في قوله:[8]

غدوت به تدافعني ســبــوح   فراش نسورها عــجم جريــم

ويشبه الأعشى أولاد الفرس بلفيظ العجم، وهو النوى، يقول:[9]

مقادك بالخيل أرض العــدو   وجذعانهــا كلفيظ العجــم

---

[1] المسيب بن علس، زهير بن علس بن مالك بن عمرو،شعره،تحقيق: أنور أبو ويلم،ص124، ط1، نشورات جامعة مؤته، الأردن 1994.

[2] مظاهر من الحضارة والمعتقد في الشعر الجاهلي،ص83.

[3] ديوانه، م2،ص624.

[4] ديوانه، ص24.

[5] أنور أبو سويلم، مظاهر من الحضارة والمعتقد في الشعر الجاهلي، ص84.

[6] ديوانه، ص57.

[7] ديوانه، ص74.

[8] المفضليات، ص39.

[9] ديوانه، ص37.

"فالنوى أصل النخل، وإذا كان الأصل قويا صلبا تأتي فروعه مثله، وقد أدركوا بفطرتهم أن ثبات الفرس وبقاءه واستمرار حياته مرتبط بثبات نسوره ومنعتها ودوامها".[1]

4.2.4 الخيل والجن:

لم يكتف الفكر الجاهلي بالطبيعة، يتخذ من عناصرها إلهــا أو معبــودا لــه، فتوسع في معتقداته، وأخذ يفتش في ما وراء الطبيعة،فاستأنس بمخلوقات الجن في عبادته، فتعبدها بعض العرب، يروي الكلبي، أن بني مليح بن خزاعة ــ وهم رهط طلحة الطلحات ــ يعبدون الجن وفيهم نزلت الاية الكريمة:﴿ إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم﴾.[2]

وقال تعالى، إشارة إلى تلك العبادة: ﴿ بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم يؤمنون﴾[3] وقد كان جماعة من العرب إذا صاروا في تيه من الأرض، وتوسطوا بلاد الحوش خافوا عبث الجان والسعالي والغيلان والشياطين، فيقوم أحدهم فيرفع صوته: إنا عائذون بسيد هذا الوادي! فلا يؤذيهم أحد، وتصير لهم بذلك خفارة. [4] وفي القرآن الكريم ما يؤكد هذا القول: ﴿ وإنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا ﴾.[5]

وربما كان لكل امة قديمة جن وشياطين، لهم دور في حياتهم، لا يقل أحيانا عن دور الآلهة. وهي تختلف بالأسماء والأفعال بحسب عقلية الشعب وما ورثته من معتقدات وموروثات وقصص.[6] وقد كان عرب الجاهلية ينسبون الأعمال العظيمة، كالأبنية العجيبة،إلى الجن، يقول الجاحظ: " ولكنكم إذا رأيتم بنيانا عجيبا، وجهلتم موضع الحيلة فيه،أضفتموه إلى الجن، ولم تعانوه بالفكر "[7]

---

[1] أنور أبو سويلم، مظاهر من الحضارة والمعتقد، ص84.

[2] الأصنام، ص34، وسورة الأعراف الآية 194.

[3] سورة سبأ، الآية 41.

[4] الجاحظ، الحيوان، ج6، ص217.

[5] سورة الجن، الآية ص6.

[6] محمود سليم الحوت، ص208.

[7] الحيوان، ج6، ص186.

ويقارب المعنى عدي بن زيد، في قوله:[1]

شاعنا ذو ميعة يبطرنا خمر الأرض وتقديم الجنن

وتبرز صورة الخيل التي تنطلق بسرعة هائلة، كأن بها مسا وجنونا، في قول أحدهم:[2]

كأنه لما تدانى مقربه وانقطعت أوذامه وكربه

وجاءت الخيل جميعا تذنبه شيطان جن في هواء يرقبه

أذنب فانقض عليه كوكبه

ولعل السعلاة من أكثر أصناف الجن تشبيها بالخيل عند شعراء الجاهلية، ويرى المسعودي أن الله خلق الجان من نار السموم وخلق منه زوجته، وأن الجان غشيها، وحملت منه وأنها باضت إحدى وثلاثين بيضة، وأن السعالي، من بيضة أخرى، سكنوا الحمامات والمزا بل.[3]

ويقول الآلوسي: إن أكثر تواجد السعلان في الغياض، وهي إذا ظفرت بإنسان ترقصه وتلعب به كما يلعب القط بالفأر. وهي إذا أفترسها الذئب ترفع صوتها، وتقول: أدركوني فإن الذئب قد أكلني، وربما تقول: من يخلصني، ومعي ألف دينار يأخذها، والقوم يعرفون أنه كلام السعلاه فلا يخلصها احد فيأكلها الذئب.[4]

وروى الجاحظ أن رجلا من العرب تزوج السعلاة، وأنها كانت عنده زمانا، وولدت منه، حتى رأت ذات ليلة برقا على بلاد السعالي، فطارت إليهن. فمن هذا النتاج المشترك، وهذا الخلق المركب عندهم، بنو السعلاة، من بني عمر بن يربوع، وبلقيس ملكة سبأ.[5]

ويرى "خان" أن العربي لا يستطيع أن يتخيل صورة الجن كما يتخيلها اليونان والهند والفرس، فصورة الجن عند غير العرب من الأمم رهيبة

---

[1] ديوانه، ص174.

[2] الجاحظ، ج6، ص172.

[3] المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، شرح، مفيد قميحة، ج2، ص171-172، دار الكتب العلمية،بيروت.

[4] نهاية الأرب، ج2، ص349

[5] الحيوان، ج6، ص184.

ومخيفة،ومبنية على مغالاة بعيدة عن القياس..لكن العرب توهموا الجن دائما في صورة الحيوان،مثل الحية والنعامة.."[1]

ومهما يكن من أمر فقد آمن العرب في العصر الجاهلي بالجن إيمانا تاما، يخضعون لهم في جوانب كثيرة من حياتهم، وينسبون الخوارق وعوامل الطبيعة إليها، ويرون أن الخيل مرتبطة بالجن، لا سيما عندما تكون في أوج نشاطها،ولقد صور الشعراء الجاهليون الخيل بالسعالي لطبيعتها الخارقة في اعتقادهم، ومن هؤلاء عمرو بن قميئة، في قوله:[2]

أليسوا الفوارس يوم الفرا　　ت، والخيل بالقوم مثل السعالي

ويصور الأعشى الجياد التي تطوي الأرض بسرعتها، بالسعالي، ويقول:[3]

تروح جياده مثل السعالي　　حوافرهن تهتضم السلاما

ويهدد الأشتر النخعي ابن حرب بغاره شعواء، تعدو خيولها كالسعالي في سرعة نفاذها وقوتها، يقول:[4]

إن لم أشن على ابن حرب غارة　　لم تخل يوما من نهاب نفوس

خيلا كأمثال السعالي شزبا　　تعدو ببيض في الكريهة شوس

ويشبه عنترة بن شداد خيول الخصم بالسعالي،عليها فرسانها، فيكون ظفره بهم أفخر له لشدة هذه الخيل وفرسانها، يقول:[5]

أمارس خيلا للهجيم كأنها　　سعالي بأيديها الوشيج المقوم

ويشبه لبيد بن ربيعة الخيول التي عليها الولدان في السباق، بالسعالي؛ لسرعة نفاذها إلى الغاية،يقول:[6]

عليهن ولدان الرهان كأنها　　سعال وعقبان عليها الرحائل

---

1 الأساطير والخرافات عند العرب، ص40.

2 عمرو بن قميئة، ديوانه، تحقيق، حسن كامل الصيرفي، ص58، ط2، معهد المخطوطات العربية، القاهرة 1997م

3 ديوانه، ص199.

4 حماسة المرزوقي، ج1، ص149-150.

5 ديوانه، ص318.

6 شرح ديوانه، ص259.

وقال دريد بن الصمة، عندما ثأر لأبيه،مادحا فرسان قبيلته:[1]

دعوت الحي نصرا فاستهلـوا   بشبـان ذوي كـرم وشيـب
على جـرد كأمثـال السعالـي   ورجل مثل أهميـة الكـثيب

وقال أيضا يتوعد أحدهم:[2]

فانظروها كالسعالـي شزبـا   قبل رأس الحـول إن لم أختزم

3.4 البعد الرمزي:

لعل الرمز من أكثر الأفكار النقدية المطروحة، في معالجة قضايا الشعر الجاهلي، وهو أحد وجوه التعبير بالصورة؛ ذلك أنه لا يلامس الحقيقة أو الواقع بشكل مباشر، بل يحتاج الأمر إلى الكشف عن الوجه المقنع، الذي يحمل خلفه كثافة دلالية.

وما من رمز في السياق إلا وينقل المشاعر المصاحبة للموقف، ويحدد الأبعاد النفسية للذات الشاعرة،[3] فضلا عن أنه يتآزر مع الانفعال لحظة تداخل المعطيات الشعورية واللاشعورية.[4]

وقد تتنوع الرموز في التجربة الشعرية من إنسان وحيوان ونبات وجماد، بحسب الموقف أو القضية، وبحسب الذات الشاعرة وموقفها من مجتمعها وعصرها. ولقد كانت للخيل أحد الرموز التي كشفت الصراع القائم، بين الذات ومجتمعها، أو بين الذات وعصرها؛ ذلك أن الخيل تشكل مفردات القوة والصلابة، والجنس والخصب، والبقاء والفناء. مما حدا بالشاعر الجاهلي أن يركن إلى هيكلها للتحصن والمواجهة، وإلى سرعتها للتجاوز والهروب، وإلى الاثنين معا للولادة المتجددة، ولادة الحرية عند عنترة بن شداد العبسي، وولادة البقاء والثبات عند ابن مقبل.

---

1 ديوانه،ص36.

2 المصدر السابق، ص112.

3 عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، ص200، ط2، دار العودة، ودار الثقافة، بيروت 1972م.

4 رجاء عيد، دراسة في لغة الشعر، ص35، منشأة المعارف، الإسكندرية.

1.3.4 الخيل والحرية:

ولعل الحديث عن قضية عنترة يبدأ من السكون الموحش، الذي يلف الديار، والنداء الذي يبدو كالصلاة أمام دار علبة، يقول:[1]

أعياك رسم الدار لم يتكلم　　　حتى تكلم كالأصم الأعجم

يا دار عبلة بالجواء تكلمي　　　وعمي صباحا دار عبلة واسلمي

إن عنترة يحاول أن يرسم الطبيعة بعناصرها، رموزا معبرة عن القضية الأم "الحرية"، ومعاناته الأساسية " الاغتراب في المجتمع". ولعله لم يشغل شاعر أو فارس من السود بالعتق والحرية كما شغل عنترة بها. وتشكل عبلة رمزا من رموز تلك الحرية، كونها مصدرا للخصب والولادة المتجددة، وهي " أعظم رمز للحياة، يعكس حاجة الإنسان الأصيلة للامان في عالم لا نتصالح مع مخاوفه. وحيثما يظهر التوتر بين الخير والشر والتجدد والفناء، يظهر رمز المرأة "[2] لكن عبلة بعيدة المنال، يقول:[3]

وتحل عبلة بالجواء وأهلنا　　　بالحزن فالصمان فالمتلثم

حييت من طلل تقادم عهده　　　أقوى وأقفر بعد أم الهيثم

شطت مزار العاشقين فأصبحت　　　عسرا علي طلابك ابنة مخرم

وبالمقابل نجد رمزا آخر، وهو القبيلة، يقف حائلا دون تحقيق هذه الأمنية، حيث تمثل القبيلة العدو الدائم للحرية والانطلاق، يقول:[4]

علقتها عرضا وأقتل قومها　　　زعما ورب البيت ليس بمزعم

وعلى الرغم من التعلق الشديد الذي يبديه الشاعر للحبيبة، إلا أننا نلحظ صور الفراق، تجثم على مخيلة الشاعر، ليبقى عنترة خارج نطاق القبيلة من الناحية الفعلية، وهو خارج دائرة القرار القبلي. ويبرز التعبير بالاغتراب، والاضطراب النفسي الذي يعانيه الشاعر، من خلال التنويع في الخطاب، فمرة يخاطبها "ولقد

---

[1] ديوانه، ص 182ـ183.

[2] حسنة عبد السميع، الرمز الفني والجمعي والأسطوري في شعر ذي الرمة، م14، ع2، ص59، فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1995.

[3] ديوانه، ص185-186.

[4] ديوانه، ص187.

نزلت" و "إن كنت أزمعت" ومرة يتحدث عن أهلها، أعداء الذات، "وقد تربع أهلها " و "ما راعني إلا حمولة أهلها"

فيخرج الشاعر من دائرة المشاركة في المجتمع، ليعيش على هامش الحياة، يقول:[1]

ولقد نزلت فلا تظني غيره منى بمنزلة المحب المكرم

كيف المزار وقد تربع أهلها بعنيزتين وأهلنا بالغيلم

إن كنت أزمعت الفراق فإنما زمت ركابكم بليل مظلم

ماراعني إلا حمولة أهلها وسط الديار تسف حب الخمخم

إن المجتمع القبلي لا يعي موقف عنترة الأسود، الذي تنفر قبيلته منه، وهذا ما جعله أشبه بأعجمي يعيش مغتربا بين قومه، ولعل علاقة الشاعر بالقبيلة، ترصد الصورة الرمزية التالية، يقول:[2]

يأوي إلى حزق النعام كما أوت حزق يمانية لأعجم طمطم

لكن هذا الفخر كان يعني "تعويضا عن النقص بسبب إحساسه بهوان منزلته وبضعة مكانته في هذا المجتمع".[3]

وهكذا يعيش الشاعر في المجتمع،خارج الإطار النظري والعملي، فما هو إلا أداة تعمل، متى أرادت القبيلة لها أن تعمل، على الرغم من الفخر الرمزي الذي تظهره الصورة الشعرية، وهي تنقل حاجة القبيلة الملحة للفارس الشاعر، عند الحرب، يقول:[4]

يتبعن قلة رأسه وكأنه زوج على حرج لهن مخيم

وتتطلع الذات إلى الحرية،كما يتطلع هذا الظليم إلى بيضه. والبيض دلالة على ميلاد أسرة، وحياة مختلفة، يتأبط فيها الأب المسؤولية والقرار، فيصبح كالسيد الذي يحكم مجتمعه، وهكذا تطلع عنترة نحو القيادة، من خلال الحرية، يقول:[5]

صعل يعود بذي العشرة بيضه كالعبد ذي الفرو الطويل الأصلم

---

[1] المصدر السابق، ص 187 ـ 188.

[2] ديوانه، ص200.

[3] عبد الرزاق الخشروم، الغربة في شعر الجاهلي، ص 97، منشورات اتحاد والكتاب العرب، دمشق 1982م.

[4] ديوانه، ص 200.

[5] المصدر السابق، ص201.

وإذا الشاعر في سياق دلالات الفراق، يهيئ نفسه لاحتضان المعشوقة. إن الحرية في مخيلة الشاعر "لذيذة المتبسم" و "مقبله لذيذ المطعم"، يقول:[1]

دار لآنسة غضيض طرفها   طوع العناق لذيذة المتبسم

ويقول:[2]

إذا تستبيك بأصلتي ناعم   عذب مقبله لذيذ المطعم

لكن الذات الشاعرة ما زالت تجد في طريقها المنغصات والعوائق،التي تحرمها من الوصول إلى الحرية، والمشاركة في القرار القبلي ،كعضو منتج في المجتمع، وبالتالي نجد النفور من هذا المجتمع الظالم، الممزق للحقيقة الإنسانية، يقول:[3]

شربت بماء الدحرضين فأصبحت   زوراء تنفرعن حياض الديلم

وكأنما ينأى بجانب دفها الـ   وحشي بعد مخيلة وتزغم

هر جنيب كلما عطفت له   غضبى اتقاها باليدين وبالفم

وعلى الرغم من قوة الذات وصلابتها، والتي ظلت عاتية على عواصف الدهر، في قوله:[4]

أبقى لها طول السفار مقرمدا   سندا ومثل دعائم المتخيم

فإنها ما تزال تشعر بالعطش الشديد نحو الحرية، وتتطلع إليها، يقول:[5]

بركت على ماء الرداع كأنما   بركت على قصب أجش مهضم

وحين تظهر المرأة والخيل كعنصرين من عناصر الجنس والخصب والولادة المتجددة، فضلا عن أن الخيل رمز للبقاء والفناء في المجتمع الجاهلي، فهذا يعني رغبة الشاعر الجاهلي في تكثيف القوة الإنتاجية، فكلا العنصرين، المرأة والخيل، منتجان، وكان العرب يحتفلون لولادتهما.

---

[1] ديوانه، ص 184.

[2] المصدر السابق، ص 194.

[3] نفسه، ص 201 ـــ202.

[4] نفسه، ص 203.

[5] ديوانه ص 203.

وهذا يعني أننا نقف على عتبة حالة إنتاجية تتمخض عنها صورة حركية، أقوى من صورة الديار العجماء، والظليم الضعيف، والناقة العطشى.

حيث نقف على عتبة حالة، تحاول فيها الذات أن تشارك المجتمع، حين "يصبح الفرس إشارة إلى اندماج هذه الذات في المجتمع كعضو منتج "[1] يقول[2]:

هلا سألت الخيل يابنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلمي
إذ لا أزال على رحالة سابح نهد تعاورة الكماة مكلم
طورا يعرض للطعان وتارة يأوي إلى حصد القسي عرمرم
يخبرك من شهد الوقائع أنني أغشى الوغى وأعف عند المغنم

حيث تشكل الخيل رمزا منتجا لقبيلة الشاعر "وأعف عند المغنم".

والرمز يستطيع أن يعين الشاعر على أن يعبر عن دلالات داخلية عن طريق الصورة المحسوسة، ويستطيع الولوج إلى عالم الرؤية الفنية عن طريق الصورة المحسوسة.[3]

ولعل ارتباط الخيل المتكرر في الشعر الجاهلي بالمرأة، هو استمرارية لارتباط "عشتار" بحصانها الذي يمثل أحد رموزها، المرادفة للجنس والخصب، فالمرأة تمسي وتصبح على فراشها لتلد المقاتلين، والفارس يجوب بخيله ليلد النصر، وينتج الغنيمة، يقول:[4]

تمسي وتصبح فوق ظهر حشية وأبيت فوق سراة أدهم ملجم
وحشيتي سرج على عبل الشوى نهد مراكله نبيل المحزم

أما الخيل بالنسبة للذات الشاعرة، فهي كينونتها الغائبة والممزقة، التي تأمل أن تستعيدها من خلال قهر أعداء القبيلة، على الرغم من صورة الدماء التي تسيل على جسدها، والتي تتكرر في شعره، يقول:[5]

ما زلت أرميهم بثغرة نحره ولبانه حتى تسربل بالدم

---

[1] سوزان ستيتكيفيتش، م60، ج 1، ص 71.
[2] ديوانه ص207 – 209.
[3] رجاء عيد، ص42.
[4] ديوانه، ص198-199.
[5] المصدر السابق، ص217.

ويقول:[1]

ولقد كررت المهر يدمى نحره حتى اتقتني الخيل بابني حذيم

إن الدماء التي تسيل على جسد الخيل، أشبه بقربان يقدم في طقس العبور هذا.

ولم لا وقد شبه سلامة بن جندل تلك الدماء التي تسيل على أعناق الخيول، بالحجارة التي تنصب ليذبح عليها، يقول:[2]

والعاديات، أسابي الدماء بها كأن أعناقها أنصاب ترجيب

لذالك نجد منظر الدماء يتكرر في الشعر الجاهلي، ويتكرر عند عنترة بالذات، لأن اللون الأحمر هو لون هجومي يرمز إلى القوة والقدرة والصمود "[3] والدماء التي تتدفق من الخيل، هي نفسها دماء الحياة التي يقدمها عنترة قربانا في ممارسة طقس العبور،وتجاوز الواقع، يقول:[4]

أكر عليهم مهري كليما قلائده سبائب كالقرام

ويقول:[5]

وأكرهه على الأبطال حتى يرى كالأرجواني المجوب

ذلك أن الحرية ثمنها غالٍ بالنسبة لرجل مثل عنترة، يتطلع لدفع ثمنها، يقول:[6]

يا شاة ما قنص لمن حلت لـه حرمت علي وليتها لم تحرم

فبعثت جاريتي فقلت لها اذهبي فتحسسي أخبارها لي واعلمي

لكن الصراع قائم بين القبيلة والذات الشاعرة، يقول:[7]

قالت رأيت من الأعادي غرّة والشاة ممكنة لمن هو مرتم

---

[1] نفسه، ص221.

[2] ديوانه، ص96.

[3] ساسين سيمون عساف،الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس،ص30،ط1،المؤسسة الجامعية للدارسات والنشر والتوزيع،بيروت 1982 م.

[4] ديوانه،ص244.

[5] المصدر السابق، ص322.

[6] نفسه، ص213.

[7] ديوانه، ص214

"وإذا كان الوجود الإنساني الصحيح هو في صحيحه وجود اجتماعي، والتاريخ البشري هو تاريخ الرغبات المرغوب فيها. وبالتالي هو تاريخ الصراع من أجل اعتراف الآخرين بحرية الذات واستقلالها، وهذا الصراع على مستوى الشخصية صراع من أجل إثبات الذات والحصول على اعتراف الآخرين بالأنا" [1]

ولم يبرز هذا التطلع للحرية،إلا بعد أن أدركت الذات أنها تحيا تحت وطأة الهوان والعبودية، وأنها تعيش على هامش الحياة،هذه الهامشية نجدها واضحة في قوله:[2]

المال مالكم والعبد عبدكم فهل عذابك عني اليوم مصروف

وإذن فظهور الخيل على مسرح الأحداث، هو ضرورة ملحة أملاها الواقع لأجل الثورة والتغيير، وظهورها هنا هو محاولة تسلق الذات هرم الحرية؛ لذا فإن الخيل تصبح الوعاء الذي تفرغ فيه الذات مشاعرها، وتتقاسم مع الخيل تلك المعاناة، يقول:[3]

لو كان يدري ما المحاورة اشتكى أو كان يدري ما جواب تكلمي

إن "اللغة الرامزة تستخدم وحدات العالم الخارجي في الرمز إلى عالمنا الداخلي ووجودنا الروحي والعقلي"[4] فحين تمتنع الخيل عن الحديث في المعركة، يعني ذلك أن تمتنع الذات الشاعرة عن الحديث والمشاركة في مجتمعها، أيام الذل والعبودية. وعلى الرغم من الحديث الفخري الذي يبطن به ذلك الهوان، حين ينادى باسمه في ساحة الحرب خاليا من أي دلالة، تضعه في مكانة متطرفة من المجتمع، يقول:[5]

يدعون عنتر والرماح كأنها أشطان بئر في لبان الأدهم

إلا أننا نلحظ الرغبة الشديدة عند الذات، المتمثلة في الحمحمة، والتطلع المستمر نحو الغاية المثلى؛ ذلك أن الصهيل هو تعبير عن انفعالات الخيل تغيره

---

[1] السيد علي شتا، نظرية الاغتراب من منظور علم الاجتماع، ص44، ط1، دار عالم الكتب، الرياض 1984.

[2] ديوانه، ص270.

[3] المصدر السابق، ص 218.

[4] حسنة عبد السميع، ص 57.

[5] ديوانه، ص 216.

وفق كل منها، والحمحمة هي صهيل الرغبة في شيء.[1] وما هذه الرغبة سوى رغبة الانعتاق، والمشاركة في المجتمع كعضو منتج، يقول:[2]

فازور من وقع القنا بلبانه　　وشكا إلي بعبرة وتحمحـم

ولننظر إلى هذه الأبيات الشعرية، يقول:[3]

يدعون عنتر والرمـاح كـأنها　　أشطـان بئر في لبان الأدهـم

مـازلت أرمـيهم بثغرة نحره　　ولبانه حتى تـسربل بالـدم

فـازور مـن وقـع القنا بلبانـه　　وشـكا إلي بعـبرة وتـحمحم

لو كان يدري ما المحاورة اشتكى　　أو كـان يدري ماجواب تكلمي

والخيل تقتحـم الخبـار عوابسا　　ما بيـن شيظمـة وأجرد شيظـم

ولقـد شفـى نفسي وأبرأ سقمها　　قيـل الفوارس ويك عنـتر قـدم

تتداخل العناصر في الأبيات الشعرية السابقة، فهناك عنصر واحد يمثل البقاء بالنسبة للذات، وهو "الأدهم"، بينما تمثل "الرماح" و "القنا" عناصر الفناء.

إن عناصر البقاء والفناء تلك، تصور مشهد معركة يخوضها عنترة بفرسـه، وقـد نطلق عليها معركة "الكرامة واسترداد الذات".

تشكل "الرماح والقنا" القبيلة التي تحاول النيل مـن ذات الـشاعر وسـلب إراداتها، وعزلها عن المجتمع، وبالمقابل يمثل "الأدهم" رمزا للذات المعزولة، يصد الفناء بصدره كالهيكل الضخم، استعصى على رياح الدهر. فقد ظلت الذات تحدوها رغبة شديدة في توكيد مكانتها في المجتمع، وأن "تقتحم الغبار "لأجل ذلـك، علـى الرغم من الدماء "القربان الطقسي" والعبرات والصيحات، حتـى تكتفـي بالنـشوة القادمة، وهو الاعتراف الصحيح من القبيلة في نهاية المطـاف، بمـشاركة الـذات الفعلية في المجتمع، يقول:

ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمهـا　　قيل الفـوارس ويك عنتر قدم

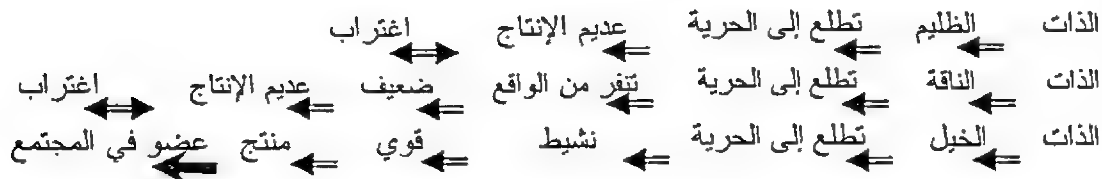
---

[1] س. ط، كتاب نباهة الحيوان، تقديم عبد اللطيف شرارة، ص 236، دار ابن زيدون، بيروت.

[2] ديوانه، ص 217.

[3] المصدر السابق، ص216 ـــ 219.

ولعل البيت السابق يعكس الحالة النفسية التي يعانيها الشاعر بسبب ظلم المجتمع له، وتهميش دوره في الحياة القبلية.ولقد كان هذا الاعتراف أشبه ببطانة يخبئ بداخلها الوجه الحقيقي لمشاعره.



2.3.4 الخيل والشيخوخة:

لعل قضية الموت من أكثر القضايا التي أرقت الإنسان الجاهلي، وقضّت هجعته، فالشيخوخة أشبه بسرداب يفضي بالإنسان إلى ذلك المضجع الأخير،والإحساس بالعجز عن التفاعل مع الآخرين يفضي بالفرد، إلى الشعور بالاغتراب، وبالتالي يؤثر في سلوكه وانفعالاته، "فالخوف من تقدم العمر،هو مفهوم مجرد، لكنه حقيقة مادية وفعل واقعي".[1]

وابن مقبل من الشعراء الذين جثم على صدرهم هاجس الخوف والقلق من المصير في هذه السنة المتأخرة من العمر، وكما هي عادة الشاعر الجاهلي الذي تكثر عنده تلك الهواجس من المصير المجهول؛ لذا صوّروا الموت بوحش ينشب مخالبه في جسد الفريسة، كما قال أبو ذؤيب الهذلي:[2]

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع

فاكتظت القصائد الجاهلية بتصوير هذا الصراع المرير بين الحياة والموت، بين الإنسان والدهر الذي يفني الصغير والكبير على السواء. "إن الإنسان يخاف من الموت ويقلق منه، وهذا الخوف أو القلق يحرك كثيرا من سلوك الإنسان بشكل مباشر أو غير مباشر".[3] وإذ الشاعر الجاهلي يبحث عن ولادة متجددة، والمرأة هي الحمل الأبدي والميلادي المتجدد، دائما ما يركن إليها الشاعر؛ليشعر بالأمان والسلام

---

[1] انظر: أحمد محمد عبد الخالق، ع111، ص41، قلق الموت، عالم المعرفة، الكويت 1987م.

[2] السكري، شرح أشعار الهذليين، ج1، ص8.

[3] أحمد محمد عبد الخالق، ص41.

مع الدهر، وتتكرر رموز الولادة تلك؛ للتأكيد على هاجس الخوف والقلق من الدهر،يقول:[1]

يا حر أمسيت شيخا قد وهى بصري   والتاث ما دون يوم الوعد من عمري
يا حر من يعتذر من أن يلم به   ريب الزمان فإنني غير معتذر
يا حر أمسى سواد الرأس خالطه   شيب القذال اختلاط الصفو بالكدر
يا حر أمست تليات الصبّا ذهبت   فلست منها على عين ولا أثر

إن تكرار"حر" – وهو يحمل دلالة عامة لكل امرأة حرّة، وعدم البوح باسم محدّد– يجعل النداء مفتوحا وموجها لكل امرأة تحمل ولادة متجددة، والخطاب الذي يكشف عن المأساة عند ابن مقبل، غالباً ما يتوجه للمرأة،رمز الولادة والخصب، وهي مأساة الشيخوخة التي تواجه بعجزها وحش الدهر المتربص، يقول:[2]

قالت سليمى ببطن القاع من سرح   لا خير في العيش بعد الشيب والكبر

وهو كثيرا ما يتعالى على الدهر، حين يجرّ الماضي، متمثلا في شبابه وقوته، ولكنه تعال مفعم بالأسى والحزن،يتوجه به إلى المرأة، قائلا:[3]

يا جارتيّ على ثاج طريقكما   سيرا حثيثا، ألمّا تعلما خبري
أني أقيدّ بالمأثور راحلتي   ولا أبالي،ولوكنّا على سفر

ويقول:[4]

أكبيش ما يدريك أن رب منهل   يرمي بعرمضه على الأجوال
نفرت عنه آمنات سباعه   غلس الظلام بعيهل مرقال

ولعل خطاب الشاعر للمرأة، مصالحة مع الذات، وولادة داخلية متجددة، في زحمة المشاعر المتأزمة عنده، يقول:[5]

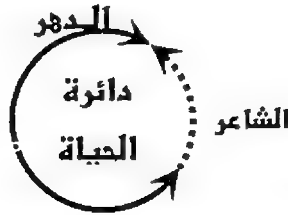
ليت الليالي ياكبيشة لم تكن   إلا كليلتنا بخبت طحال
في ليلة جرت النحوس بغيرها   يبكي على أمثالها أمثالي

---

[1] ديوانه، ص72 ــ 73.
[2] المصدر السابق، ص76.
[3] نفسه، ص77–78.
[4] ديوانه، ص256–257.
[5] المصدر السابق، ص257.

بتنا بديـــرة يضـــئ وجوهنـــا   رســم السليط على فتيل ذبال

لكنها ولادة ما زالت تعيش خطورة الموقف تجاه الدهر؛ لأن الــصلابة والثبــات لا يزالان ينقصانها.



المرأة: ولادة متجددة

شكل رقم (1)

وحين تكثر المقابلات في الخطاب الشعري بين الأمس والحاضر، يعنــي أن الشاعر يعيش حالة الفقد، فقد الحاضر والتشبث بالماضي، ولعل "أمسيت شـيخاً" و "أمسى سواد الرأس خالطه شيب القذال " و " أمست تليات الصبا ذهبت"،كــل هــذه التراكيب تحمل دلالة الفقد، وعدم السيطرة على الواقع. وفي المقابل نجد أن " كنت" و "كان" يحملان دلاله التشبث بالماضي والوهم باستمرارية الثبات، في قوله:[1]

قد كنت أهدي ولا أهدى، فعلمّني   حسن المقادة أني فاتني بصري

كان الشباب لحاجات، وكن لــه   فقــد فرغت إلى حاجاتي الأخر

وبين الشيب والشباب،بين الماضي والحاضر،يأتي التمني حاملا في طياته مــرارة الفقد،ومعاناة الشاعر المستمرة من الدهر، يقول:[2]

يا ليت لي سلوة يشفى الفؤاد بها   من بعض ما يعتري قلبي من الذكر

إنه الشباب الذي تمنى الشاعر رجوعه؛ ليقف به أمام تيار الدهر، الوحش الذي يفرق الأصحاب، ويقتل الأحباب،ويمضي بالعمر إلى المصير المجهول، يقول:[3]

أوليت أن النوى قبل البلى جمعت   شعبي نوى مصعـد منا ومنحدر

وتكثر الحسرات على الشباب عنده، يقول في قصيدة أخرى:[4]

ألهفي على عز عزيز وظهرة   وظــل شبــاب كنت فيه فأدبرا

---

[1] ديوانه، ص74.

[2] المصدر السابق، ص81.

[3] نفسه، 81.

[4] نفسه، ص140.

إن الدهر قضية كبيرة عند شعراء الجاهلية، لم يجدوا لها حلا،ولم يستطع واحد منهم أن يوقف سريان الدهر في عروقه، يقول النابغة:[1]

تكلفني أن يفعــل الدهــر همهــا وهل وجدت قبلي على الدهر قادرا

ولأن الحجر صلب لا يتأثر بالدهر، ولايفنى، تمنى ابن مقبل أن يكون كصلابته أمام مخالب الدهر، يقول:[2]

ما أطيب العيش لو أن الفتى حجر تنبو الحوادث عنه وهو ملموم

لكن هذه الصلابة الجامدة ينقصها عنصر الحركة والحياة.

قد لا نبالغ إذا قلنا إنه لم يكن هناك شاعر، من شعراء الجاهلية، أعمل فيــه الــدهر سيوفه،وأنفذ فيه سهامه، كما فعل مع ابن مقبل، وهذا واضح في شعره:[3]

طرقت وقد شحط الفؤاد عن الصبا وأتى المشيب فحــال دون شبابي

وقوله:[4]

وزاجره اليوم المشيب،فقــد بدا برأسي شيب الكبــرة المتوضــح

وقوله:[5]

فأمسيت شيخاً لا جميعا صبابتي ولا نازعا مــن كل ما رابني يدا

وقوله:[6]

وفي الفتى بعد شيب الرأس معتمل في الصالحين، وإفضال على الجار

والدهر يختل الإنسان،كما يختل الصائد الطريدة، ولا يشعر به أحد، يقول:[7]

إن ينقض الدهر مني مرّة لبلى فالدهــر أرود بالأقوام ذو غير

لكن ابن مقبل، يكثر من وقفة المكابرة التي يروح بها النفس، فــي ظــل الأزمــة، ليمنحها قوة الشباب، ونشوة الماضي إنه يستظل بالذكريات مــن وهــج الحاضــر،

---

[1] ديوانه، ص115.
[2] ديوانه، ص273.
[3] المصدر السابق، ص1.
[4] نفسه، ص48.
[5] نفسه، ص65.
[6] ديوانه، ص104.
[7] المصدر السابق، ص77.

وكثيرا ما نجد تلك الرجعة النفسية في شعره، وكثيرا ما يبكي الماضي، علـــى أنـــه الملجأ الذي يهرب إليه، وإذا الشعر عنده ليس تعبيرا عن انفعـــالات وجدانيـــة فـــي شخصيته، بقدر ما هو هروب من الشخصية التي تعاني الآن حالة انكسار تام، فليس الشعر إطلاقا للمشاعر الحبيسة وإنما هو فرار منها ".[1]

وفي بكائه أجداده وإخوانه،بكاء لتلك اللوحة الجميلة المعلقة في ذاكرته، يقول:[2]

ياعين بكي حنيفا رأس حيهم   الكاسرين القنا في عورة الدبر
والحاملين إذا ما جر جارمهم   بحامل غير خوار ولا ضجر

ويقول:[3]

ويذكرني حيّي حنيف كليهما   حمام ترادفن الركي المعورا
ومالي لا أبكي الديار وأهلها   وقد حلها رواد علكّ وحميرا

ويقول:[4]

ذرِ العين تسفح في الديار فلا أرى التـــ   ـــعزي يشفيهـــا ولا تركهـــا الجهلا
تذكـــرت إخوانـــي الذيـــن هجرتهـــم   كأن لم يكن شكلي لهم مـــرة شكـــلا

ويقول:[5]

وقد قلت من فرط الأســـى إذ رأيته   وأسبـــل دمعـــي مستهـــلا أوائله
ألا يا لقـــــوم للـــــديار ببـــــدوة   وأنى مراح المرء،والشيب شامله

---

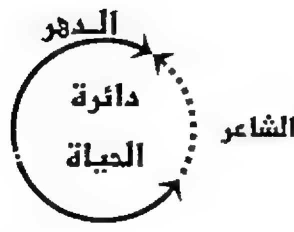
[1] ديفد ديتشس / مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق، ترجمة،محمد يوسف نجـــم،ص374، دار صـــادر، بيروت 1967م.

[2] ديوانه، ص82.

[3] نفسه، ص141.

[4] ديوانه، ص202.

[5] المصدر السابق، ص239.



الحجر: صلابة ثابتة

شكل رقم (2)

إن الماضي لا يفرض قيودا على الشاعر، كما اللحظة الحاضرة التي يعيشها في الإسلام وتكبله بشروط الحلال والحرام. إن اللحظة الحاضرة، هي لحظة اغتراب بالنسبة للشاعر، لا تتوافق ونفسية ابن مقبل، وعقليته المرتبطة بالحياة الجاهلية وعاداتها وقيمها؛ومن هنا يأتي الحنين إلى الماضي، لاسيما في هذه المرحلة المتأخرة من العمر.

وإذا كانت المرأة ولادة متجددة، ومصدراً للخصب والعطاء، والحجر رمزاً للصلابة والقساوة، فإن الخيل مصدر للولادة والخصب ورمز للقوة والصلابة.

وولادة المرأة، وصلابة الحجر، لا يشكل كل منهما حاجزا منيعا أمام عوادي الدهر ومصائبه، أما الخيل فهي تجمع تلك القوى حين تلد الثبات والبقاء، أي تلد تلك الذكريات، وتحافظ عليها في ذاكرة الشاعر بصلابتها وقوتها،وتتجاوز بسرعتها شبح الدهر، وكأن الخيل تتشكل معادلا موضوعيا للذات الشاعرة، تستقبل تلك الإسقاطات النفسية، فتترجم ذلك الشعور المجرد حقيقة محسوسة.

ولعل الدهر تتغير صورته بتغير وسيلة المواجهة معه، وهو يفرض منغصاته وعوائقه في طريق الحياة، ويتحول "الهر" إلى "ذبان"، يتساقط بمجرد النخير، يقول:[1]

فيهم تجاوب أفلاء الوجيه إذا صام الضحى تقدع الذبان بالنخر

إن السرعة والقوة عنصران إيجابيان في مواجهة سرعة الدهر وقوته، والحصان يشكل هذين العنصرين، حين يسقط عليه ابن مقبل صورة الذئب لمواجهة انقضاض الدهر، وكما الدهر لا يعرف النظام في زمن مجيئه، كذلك لا يعرف الحصان في سرعته نظاما. والمواجهة تكون بالسرعة اللانظامية واللامحددة الوجهة، يقول:[2]

[1] ديوانه، ص86.

[2] المصدر السابق، ص87.

جرد تباري الشبا،أرق مراكلها   مثل السراحين من أنثى ومن ذكر

من كل أهوج سرداح ومقربة   تقات يـوم لكاك الـورد بالغمر

والذئب في سرعته وخبثه وقوته،تركيب نفسي،لمواجهة الشر بالشر،يسقطه على ذاته المتمثلة في الحصان، يقول في قصيدة أخرى:[1]

أقب كسرحان الغضا راح مؤصلا   إذا خـاف إدراك الطوالـب شمرا

هكذا تأتي صورة الذئب في هذا الموضع، وهي صورة تكاد تكـون ثابتـة، تجمع السرعة والخبث والقوة في الافتراس، ولعل المجيء به إلى سـاحة الـدهر، يكمن في رغبة المواجهة، وتفريق مشاعر اليأس والإحباط التي يعاني منها الشاعر، واستبدال حالة اليأس بحالة الانتصار،والذئب دلالة على تغير الأحوال، يقـول فـي قصيدة أخرى:[2]

وبدل حالا بعـد حـال وعيشـة   بعيشتنا ضيـق الركاء فعاقلـه

سخاخا يزجي الذئب بين سهوبها   وفحـل النعـام رزه وأزاملـه

إن الحصان الذي يردي حمار الوحش القوي الشديد، المعـادل الموضـوعي للدهر، هو القوة الأسطورية التي يرغب الشاعر في تملكها، كي يوقف تسرب الزمن إلى جسده، لأن الحصان يمتلك الضخامة "هيكل" والولادة والخصب "سابح"، والطول "في خلقه طنب"، والإشراف على صورة أخرى من الحياة، صورة الثبـات والبقـاء "حابي الشراسيف"، يقول:[3]

وهيكل سابح في خلقـه طنـب   حابي الشراسيف،يردي مارد الحمر

ضخم الكراديس، لم تغمز أباجله   مهرت الشدق،سامي الهم والنظـر

والحصان غالبا ما يكون الحل الأمثل لإعادة التوازن، بين ذكريات الماضي وحقيقة الواقع،يقول:[4]

كأن لم تبوئنا عناجيج كالقنـا   جنابا تحاماه السنابك أخضرا

---

[1] ديوانه، ص140.

[2] المصدر السابق، ص240 – 241.

[3] ديوانه، ص93.

[4] المصدر السابق، ص140.

ولم يجر بالأخبار بيني وبينهم أشق سبوح لحمه قد تحسرا

إن الرغبة في خلق ذلك الحصان الصلب، هو الرغبة في التغلب على الدهر الذي أشاب الشاعر، وتجاوز الواقع، بالهروب من الذات في لحظتها الآنية، ورصد أكبر طاقة لهذا الهروب، يقول:[1]

وهيكل كشجار القسر مطرد في مرفقيه وفي الأنساء تجريم
كأن ما بين جنبيه ومنقبه من جوزه ومقط القنب ملطوم
بترس أعجم لم تنخر مثاقبه مما تخير في آطامها الروم

وإذ تظهر لوحة الصيد، معادلا موضوعيا للوحة الصراع في الحياة،من أجل الثبات والبقاء، يظهر الحصان "وصاحبي وهوة" معادلا موضوعيا للذات الشاعرة، ويظهر "حمار الوحش" معادلا موضوعيا للدهر،ويصور الشاعر هذا الصراع،قائلا:[2]

وصاحبي وهوةٌ مستوهل زعل يحول بين حمار الوحش والعصر
فقمت ألجمه،فقام مشترفا على سنابكه، في شائل يسر
أرخي العذار وإن طالت قبائله عن حشرة مثل سنف المرخة الصفر
يفرفر الفأس بالنابين يخلعه في أفكل من شهود الجن محتضر
أقول والحبل مشدود بمسحله مرخىً له: إن يفتنا مسحه يطر
وللفؤاد وجيب تحت أبهره لدم الوليد وراء الغيب بالحجر
كأن دباءة شد الحزام بها في جوف أهوج بالتقريب والحضر

أما اللوحة الأخيرة، فنشاهد فيها. نجاة الذات من شرك الدهر،ويصور الشاعر رحلة الحياة متداخلة بعناصر القوة والسرعة والنشاط،حتى لا تشل حركتها عوائق الدهر، فيعود بحصانه إلى مراحل الطفولة،مرحلة الثبات والقوة،يقول:[3]

يردي الحمار لزاما وهو مبترك كالأشعب الخاضع الناجي من المطر
المستضاف ولما تقن شرته من الكلاب وضيف الهضبة الضرر

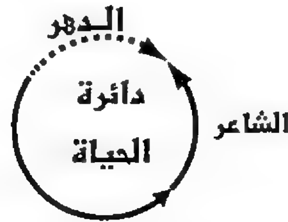
---

[1] نفسه، ص276 ــ 277.

[2] ديوانه، ص96 ــ99.

[3] المصدر السابق، ص100 ــ 101.

كأنــه متــن مريــخ أمــر بـــه زيــغ الشمـــال وحفز القوس بالوتر
يكاد ينشــق عنه سلــخ كاهلــه زل العثار، وثبــت الوعــث والغدر



شكل رقم (3)

الفصل الخامس

الخاتمة

ناقش البحث في الصفحات السابقة موضوع "الخيل في الشعر الجاهلي في ضوء الميثولوجيا والنقد الحديث" وتوزع البحث في ثلاثة أبواب، تضمن الباب الأول فصلين، عالجت في الفصل الأول صورة الخيل في الحضارات القديمة، ولقد أظهرت الدراسة في هذا الفصل الأفكار العقائدية التي كانت تحملها تلك الشعوب القديمة لصورة الخيل، بدءا من الشعوب البدائية وحتى شعوب الحضارات السابقة للإسلام، وتبين أن من هذه الشعوب من كان يعبد الحصان ويقدسه، ومنهم من كان ينظر إليه على أنه رمز للجنس والخصب، وصانع للمطر وواهب للحياة. ومنهم من نظر إليه عكس ذلك، حيث تشكل رمزا للموت. وبالمقابل اختلط بهذه الأفكار العقائدية الأساطير والخرافات التي تحدثت عن الخيل البشر، والخيل النارية، والشمسية.

بحسب المعطيات الثقافية لتلك الشعوب والحضارات المختلفة. وهذا يعني أن النظرة لم تكن واحدة من حيث الشكل، لكنها متشابهة وتكاد تكون واحده من حيث المضمون الميثولوجي والعقائدي.

والعرب مثلهم مثل الشعوب والأمم الأخرى، نظروا إلى تلك الخيل في العصر الجاهلي، نظرة ميثولوجية عقائدية، ناقشها البحث في فصله الثاني من هذا الباب، وهي نظرة تكاد تشبه رؤية الأمم السابقة، من حيث المضمون الميثولوجي، على الرغم من اختفاء كثير من تلك النظرات في غياهب الزمن، إلا أن البحث لم يعدم أن يجد بعض النظرات التي تضئ جوانب البحث، منها ما روته المصادر من أن الصنم "يعوق" الذي عبده العرب في الجاهلية، كان على هيئة حصان، وكذلك الصنم "يعبوب"؛ ذلك أن العرب استمدوا من واقعهم المادي المحسوس، معبوداتهم الكونية، من شمس ونجوم وغيرها، فأصبحت الخيل عندهم رمزا للجنس والخصب والاستمطار، بل إن الفرس عندهم من الحيوانات المقدسة التي كان يقدمها الناذرون على شكل تماثيل لمعبودتهم الشمس، حتى أصبحت الفرس رمزا لها، لذا فقد تابع البحث تلك النظرة من خلال اهتمام العرب بالخيل.

وفي الفصل الثاني ناقشت الدراسة صورة الخيل في الصيد، إذ كان الصيد في معظمه عند العرب في العصر الجاهلي رياضة يمارسها الملوك والعامة على السواء. وتحدث الشعراء في بداية قصائدهم عن الرياض التي يقطعونها بخيولهم للبحث عن الطرائد، ووصفوا سرعة خيولهم التي تلحق الطريدة وتسبقها، كما وصفوا أنواع الطرائد، وكان من عادتهم أنهم يحملون الغلمان على ظهور الخيل؛ لخفتهم على ظهورها كما ظهر الرقيب الذي كان يرقب الصيد، وفكرة المخاتلة ونفورهم منها. وقد يطيل الشاعر في منظر المطاردة وقد يقصر، وبرزت الدماء من أثر طعن الطريدة، وبرز في النهاية منظر الشواء واحتفال الشاعر وأصحابه بهذه المناسبة.

وتحدثت الدراسة في الفصل الثالث عن صورة الخيل في السباق والمرعى، ففي الصورة الأولى تحدثت الدراسة عن هذه الرياضة، وكيف أن العرب قعدوا القواعد لها، ووضعوا الشروط، وتراهنوا في سبقها على الطريقة التي ورد النهي عنها في الإسلام بعد ذلك.

وتمادحوا وتفاخروا بحيازة قصب السبق. وسموا خيول السبق ورصدوا الجوائز لها. إلا أن هذه الرياضة أدت في بعض الأحيان إلى نشوب حروب مستمرة ودامية بينهم، كما حدث في حرب داحس والغبراء، كما ضربوا الأمثال والحكم بخيل السباق.

أما الصورة الثانية فقد اختلفت عن الأولى، إذ لم نر مناظر حروب وطعن وقتل ودماء، فكل ما هنالك، خيل آمنة، تعدو في المراعي، وتأكل من أعشابها، وتتغذى من بقولها، وتشرب من مياهها. فوصف الشعراء الجاهليون الروضة الجميلة التي يقطعونها بخيولهم، وبرزت صورة الطبيعة الجميلة، وغناء الذباب فيها، دليلا على المرعى الخصب.

أما الباب الثالث، وهو موضوع الدراسة الفنية، فقد تضمن فصلين اثنين، ناقشت الدراسة في الفصل الأول البعد التصويري، واختص بمصادر الصورة الفنية، وقد جاءت هذه المصادر في شعر الخيل متنوعة ومتوزعة في الجانب الإنساني، والحياة اليومية، والحيوان، والطبيعة.

أما الفصل الثاني فقد تحدث عن البعدين الميثولوجي والرمزي، ناقش البعد الميثولوجي الفكرة الميثولوجية للخيل والمرأة، وأظهرت الفكرة أن العلاقة بين الآلهة عشتار في المعتقدات الكنعانية ورمزها الحصان، هي نفسها العلاقة القائمة بين المرأة في الجاهلية والخيل، فالمرأة التي تلد المقاتلين هي رمز للخصب والخير في المجتمع الجاهلي، والخيل التي تهزم العدو، وتظفر بالغنيمة، هي رمز للخصب والخير أيضا.

وتبين في فكرة الخيل والماء أن العرب في العصر الجاهلي نظروا إلى الماء بإكبار وتقديس، وأحاطوه بصلواتهم وأدعيتهم، وهذا ما يبرر ذلك الترقب الجماعي لنزول المطر في الشعر الجاهلي، وقد عبر عنه الشعراء في قصائدهم، وهو تعبير عن الرغبة في المطر. كما أكدت أسماء الأفراس عندهم، على تلك النظرة الميثولوجية، فارتبط الفرس في الشعر الجاهلي بصورة دفعات المطر التي تنثال في عتمة الليل، وجاء الفرس مرسلا للغيث، وصانعا للمطر.

أما فكرة الخيل والنخلة، فتبين أن العرب كانوا يقدسون النخلة، كما قدسها القدماء، وقد ارتبطت النخلة بصورة المرأة والحصان في بعض الحضارات، كما ارتبطت بالصورة نفسها عند العرب في العصر الجاهلي، ولعل في أسماء بعض أفراسهم، ما يؤكد على صورة الخصوبة في أذهانهم، ومدى اشتراك الجنسين، الخيل والنخلة في حمل هذه الخصوبة الأنثوية.

وشبهوا انجراد الفرس من الشعر وضموره بعسيب النخل، وشبهوا ذيول الخيل بسعف النخل، وغيرها من التشبيهات التي تؤكد على صورة الخصوبة في أذهانهم من خلال ارتباط الخيل بالنخلة.

أما صورة الخيل والجن، فقد ناقشت الدراسة هذه الفكرة، وخلصت إلى أن الجن قامت بدور هام في حياة العرب في الجاهلية، ونسبوا إليها الأعمال الخارقة، واعتقدوا أن الجن تحضر الفرس، وشبهوا خيولهم السريعة والهوجاء بالجن لسرعة نفاذهم، وقيامهم بالأعمال الخارقة. وأكثر ما ظهر من صور الجن، صورة السعالي، ولقد شبه الشعراء الجاهليون الفرس بالسعلاة لطبيعتها الخارقة في اعتقادهم.

أما البعد الرمزي، فقد ناقش قضية الخيل والحرية عند عنترة بن شداد العبسي، وقضية الخيل والشيخوخة عند ابن مقبل. ولقد خلصت الدراسة في قضية عنترة بن شداد إلى أن الشاعر كان يعاني في مجتمعه مأساة الاغتراب، وأن عبلة والظليم والناقة، هي عبارة عن رموز محسوسة، عبر بها الشاعر عن مأساته، في مجتمعه وتطلعه إلى الحرية، وبالمقابل كانت الخيل وسيلة الذات للوصول إلى هرم الحرية، بينما نجد ابن مقبل يعاني من هاجس تقدم العمر، وإحساسه بالعجز عن التفاعل مع الآخرين، مما جعله يعيش حالة اغتراب في مجتمعه، ولقد أبرزت صور الماضي والحاضر في شعره، هذا التناقض الحاد الذي يجثم على صدره، وإذ المرأة تظهر مصالحة مع الذات، وولادة داخلية متجددة، في زحمة المشاعر المتأزمة. لكن الخيل تصبح الحل الوحيد والأخير لنجاة الذات من شرك الدهر.

المراجع

آبـــــه زاو، محمـــد جمـــال صـــادق، 1996م، **موســوعة تـــاريخ القفقـــاس والجركس**، منشورات دار علاء الدين، دمشق.

أحمـــد خليل، خلـــيل،1980م، **مضـــمون الأسطورة في الفكر العربي**، ط2، دار الطليعة، بيروت.

أحمـــد علـــي، عـــبد اللطـــيف، التاريخ اليوناني **(العصر الهللادي)**، دار النهضة العربية بيروت.

الأســــــدي، بشـــر بـــن أبي خازم، 1972م **ديـــوانه**، تحقيق، عزة حسن، ط2، منشورات وزارة الثقافة، دمشق.

إســـــــماعيل، عزالدين، 1972م، **الشعر العربي المعاصر**، ط2، دار العودة، ودار الثقافة، بيروت.

الأعشى الكبير، ميمون بن قيس، **ديوانه**، تحقيق، محمد حسين، مكتبة الآداب، مصر.

الأفوه الأودي، صلاءة بن عمرو بن مالك، 1998م، ديوانه، تحقيق، حمد التونجي، ط1، دار صادر، بيروت.

انســــــــمجر، 1983،**الخيل والفروسية**، ترجمة، نجيب توفيق غزال، ج1، مطبعة جامعة الموصل.

الأنصــــــاري، حسان بن ثابت، **ديوانه**، تحقيق، سيد حنفي حسنين، دار المعارف، مصر.

الأنصــــــاري، عـــبد الرحمن الطيب، **قرية الفاو صورة مشرقة للحضارة العربية قبل الإسلام في المملكة العربية السعودية**، جامعة الرياض.

أوفـــــــــيد، 11992، **مسخ الكائنات**، ترجمة، ثروت عكاشة، ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ايلينـــــــيك، بـــان، 1994م، **الفـــن عند الإنسان البدائي**، ترجمة، جمال الدين الخضور، دار الحصاد، سورية.

ميدان، أيمن محمد، 1995م، **شعر تغلب في الجاهلية**، معهد المخطوطات العربية، القاهرة.

بابلون، أرنست، 1987م، **الآثار الشرقية**، ترجمة، مارون عيسى الخوري، ط1، دار جروس، دار حكمت شريف، لبنان.

بارندر، جفري، 1993م، **المعتقدات الدينية لدى الشعوب**، ترجمة، إمام عبد الفتاح إمام، ع173، عالم المعرفة، الكويت.

بارو، أندري، 1980م، **بلاد آشور نينوى وبابل**، ترجمة، عيسى سلمان وسليم التكريتي، دار الرشيد، بغداد.

البخاري (محمد بن إسماعيل، 256هـ / 869م): **صحيح بخاري**، ج11 ط 2، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

بروكوفيتش تسيركين بول، 1988م ،**الحضارة الفينيقية في اسبانيا**، ترجمة، يونس أبو فاضل، ط1 ، جروس برس، بيروت.

بريري، محمد أحمد، 1995م، **الليل والنهار في معلقة امرئ القيس**، م14، ع2، فصول.

البطل، علي، **الصورة في الشعر الجاهلي**، مطبعة الفجر العربي بيروت.

البكري، طرفة بن العبد، 1975م، **ديوانه**، تحقيق، درية الخطيب، ولطفي الصقال، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق.

بوتس، دانيال، 2003م، **الخليج العربي في العصور القديمة**، ترجمة، إبراهيم خوري، ج2، المجمع الثقافي، أبو ظبي.

بورنز، جورج، 1992م، **معجم الحضارات المصرية القديمة**، أمين سلامة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

البيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، 458هـ / 1065م): **السنن الكبرى**، تحقيق، محمد عبد القادر عطا، ج5، دار الكتب العلمية،بيروت.

التغلبي، عمرو بن كلثوم، 1991م، **ديوانه**، تحقيق، ايميل بديع يعقوب، ط 1، دار الكتاب العربي، بيروت.

ابن تولب، النمر بن تولب بن زهير، **شعره**، تحقيق، نوري القيسي، مطبعة المعارف، بغداد.

التيفاشي، (شرف الدين أحمد بن يوسف بن أحمد، 651هـ / 1253): **سرور النفس بمدارك الحواس الخمس**، تحقيق، إحسان عباس، شركة الفجر العربي، بيروت.

الثعالبي، (أبو منصور عبد الملك بن محمود بن إسماعيل، 429هـ/ 1037م): **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر.

الجاحظ، (أبو عثمان عمرو بن بحر،255هـ/ 868م) 1969م، **الحيوان**، تحقيق عبد السلام هارون، ج6، ج7،ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

جرو، عبد محمد، 1983م، **القبور المكتشفة في آشور**، م42، ج1، 2، مجلة سومر، بغداد.

الجزائري، محمد بن عبد القادر الحسني، 1985م، **نخبة عقد الأجياد في الصافنات الجياد**، ط2، دار الفكر، دمشق.

ابن جزي، (عبد الله بن محمد، القرن الثامن الهجري) 1986م، **كتاب الخيل، مطلع اليمن والإقبال في انتقاء كتاب الاحتفال**، تحقيق، محمد العربي الخطابي، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

ابن جندل، سلامة، 1987م، **ديوانه**، تحقيق، فخر الدين قباوة، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت.

الجوزو، مصطفى،1980م ، **من الأساطير العربية والخرافات**، ط2، دار الطليعة، بيروت.

ابن حبيب، (الحسن بن عمر 779هـ / 1377م) 1996م، **المقتفى من سيرة المصطفى**، تحقيق، مصطفى الذهبي، ج1، ط1، دار الحديث، القاهرة.

حتــــــــي، فيلــيب، 1982م، **تــاريخ سوريا ولبنان وفلسطين**، ترجمة جواد حداد، وعبد الكريم رافق، دار الثقافة، بيروت.

الحجاجـــــي، أحمد شمس الدين، 1984م، **الأسطورة والشعر العربي**، المكونات الأولى، م4، ع4، فصول.

ابــن حجــر، أوس، **ديوانه**، تحقيق، محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت.

حســــــين، مرتضــى الشــيخ، 1989م، **لمحــة مــن حياة البابليين وعادتهم** للمؤرخ الإغريقي هيرودوت، ع1، مجلة آفاق عربية، كانون الثاني

الحطيـــــئة، جرول بن أوس، 1987م، **ديوانه**، تحقيق، نعمان محمد أمين طه، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة.

حــــــلاق، حسان، 1986م، **ملامح من تاريخ الحضارات**، الدار الجامعية.

حلمــــــي، أحمــد كمــال الدين، 1985م، **شاهنامة الفردوسي**، ملحمة الفرس الخالدة، م16، ع1، عالم الفكر، الكويت.

الحمـــــوي (شـــهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، 626هـ / 1228م): **معجــم الــبلدان**، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، ج5، دار الكتب العلمية، بيروت.

الحنايـــــنة، خــولة قسوس، 1990م، **عصر الهكسوس في الأردن وفلسطين**، مطبعة وزارة السياحة والآثار، دائرة الآثار العامة،.

خــــــان، مجــيد، 1988م ،**التركيب والشكل في الرسوم الصخرية في شمال المملكة العربية السعودية**، ع11، ق2، أطلال، السعودية.

خـــــان، محمد عبد المعيد،1982م، **الأساطير والخرافات عند العرب**، ط4، دار الحداثة، بيروت.

الختلـــــــي (محمــد بــن يعقوب، القرن الثالث الهجري) 1996م ،**عون أهل الجهاد من الأمراء والأجناد**، تحقيق، عارف أحمد عبد الغني، دار كنان، سورية.

الخـــــرنق، بـنت بدر بن هفان، 1996م، **ديوانها**، تحقيق، حسين نصار، دار الكتب المصرية، القاهرة.

الخشـــــروم، عبد الرزاق، 1982م، **الغربة في الشعر الجاهلي**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق.

الخطـــــيب (أبو العباس أحمد بن أحمد 810هـ / 1407م) 1984م، **وسيلة الإســلام بالنبــي (ص)**، تحقــيق، سليمان الصيد، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

الخنســـــاء، تماضر بنت عمرو بن الحارث السلمية، 1988م، **ديوانها**، تحقيق، أنور أبو سويلم، ط1، دار عمار، الأردن.

أبـــــو دؤاد، جارية بن الحجاج الإيادي، 1959م، **ديوانه**، ضمن كتاب دراسات في الأدب العربي، تحقيق، غوستاف فون غرنباوم، ترجمة، إحسان عباس وآخرون، مكتبة الحياة، بيروت.

أبـــــو داود (سـليمان بن الأشعث السجستاني، 275هـ / 888م): **سنن أبي داود**، كتاب الجهاد.

الــــــدايل، خالــد عــبد العزيز، 1986م، **دومة الجندل**، ق1، ع10، أطلال، السعودية.

أبـــــو درك، حامد إبراهيم، 1990م، **حفرية موقع الصناعية**، ع13، ق2، أطلال، السعودية.

ديتــــــيش، ديفـيد، 1967م ،**مــناهج الــنقد الأدبــي بين النظرية والتطبيق**، ترجمة، محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت.

ديـــــروش، كريســتيان، 1990م، **الفن المصري القديم**، ترجمة، محمود خليل النحاس، وأحمد رضا، مصر.

ديســـــــو، رينه، 1959م ،**العرب في سوريا قبل الإسلام**، ترجمة، عبد الحميد الدواخلي، لجنة التأليف والترجمة والنشر.

الذبيانـــــي، الشــماخ بــن ضــرار، **ديوانه**، تحقيق، صلاح الدين الهادي، دار المعارف.

الرباعـــــي، عــبد القــادر، 1999م، **الصــورة الفنية في شعر أبي تمام**، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

الرســــــولي (علي بن داود بن يوسف بن عمر، 764هـ / 1362م) 1987م، **الأقوال الكافية والفصول الشافية في الخيل**، تحقيق، يحيى وهيب الجبوري، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت .

ابــن رشــيق القيرواني (أبو علي الحسن بن رشيق الأزدي، 456هـ/ 1063م): **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، ج1، دار الجيل، بيروت.

الطائــــــــي، أبــو زبــيد، حــرملة بن المنذر، 1967م، **شعره**، تحقيق، نوري القيسي، مطلعة المعارف، بغداد.

الـــــــزبيدي (محمــد مرتضى الحسيني، 1205هـ / 1790م) 1987م، **تاج العــروس**، ج2، مادة: ذأب، مادة: ذنب، تحقيق، علي هلالي، ط2، الكويت.

الـــــــزبيدي (محمــد مرتضى الحسيني، 1205هـ / 1790م) 1987م، **تاج العــروس**، ج3، مــادة: ســكب، مادة: شطب، تحقيق عبد الكريم العرباوي، ط2، الكويت.

الـــــــزبيدي (محمــد مرتضى الحسيني، 1205هـ / 1790م) 1969م، **تاج العروس**، ج5، مادة: خنث، تحقيق مصطفى حجازي، الكويت.

الـــــــزبيدي (محمــد مرتضى الحسيني، 1205هـ / 1790م) 1994م، **تاج العروس**،ج6، مادة: صبح، تحقيق، حسين نصار، الكويت.

الـــــــزبيدي (محمــد مرتضى الحسيني، 1205هـ / 1790م) 1994م، **تاج العــروس**، ج7، مادة: قدح، مادة: شمرخ، مادة: جود، تحقيق، عبد السلام هارون، الكويت.

الـــــــزبيدي (محمــد مرتضى الحسيني، 1205هـ / 1790م) 1987م، **تاج العــروس**، ج8، مــادة، سود، تحقيق، عبدالكريم العزباوي، ط2، الكويت.

الـــــــزبيدي (محمــد مرتضى الحسيني، 1205هـ / 1790م) 1971م، **تاج العروس**، ج9، مادة: نهد، تحقيق: عبدالستار فراج، الكويت.

الـــــــزبيدي (محمــد مرتضى الحسيني، 1205هـ / 1790م) 2004م ،**تاج**

العـروس، ج16، مـادة، شمس، تحقيق، محمود محمد الطنامي، الكويت.

الـــــزبيدي (محمـد مرتضى الحسيني، 1205هـ / 1790م) 1979م، **تاج العـروس**، ج18، مـادة، فـيض، تحقـيق: عبدالكريم العزباوي، الكويت.

الـــــزبيدي (محمـد مرتضى الحسيني، 1205هـ / 1790م) 1983م، **تاج العروس**، ج20، مادة، لفظ، تحقيق، عبدالكريم العزباوي، الكويت.

الـــــزبيدي (محمـد مرتضى الحسيني، 1205هـ / 1790م) 1986م، **تاج العروس**، ج23، مادة، خذرف، تحقيق، عبدالفتاح الحلو، الكويت.

الـــــزبيدي (محمـد مرتضى الحسيني، 1205هـ / 1790م) 1987م، **تاج العـروس**، ج24، مـادة: غـرف، مادة، قرف، تحقيق، مصطفى حجازي، الكويت.

الـــــزبيدي (محمـد مرتضى الحسيني، 1205هـ / 1790م) 1989م، **تاج العـروس**، ج25، مـادة: ثدق، مادة: خفق، مادة، زحلق، تحقيق، مصطفى حجازي، الكويت.

الـــــزبيدي (محمـد مرتضى الحسيني، 1205هـ / 1790م) 1990م، **تاج العـروس**، ج26، مـادة، عـوق، تحقـيق، عبدالكريم العزباوي، الكويت.

الـــــزبيدي (محمـد مرتضى الحسيني، 1205هـ / 1790م) 1997م، **تاج العروس**، ج29، مادة، سبل، تحقيق، عبدالفتاح الحلو، الكويت.

الـــــزبيدي (محمـد مرتضى الحسيني، 1205هـ / 1790م) 1998م، **تاج العـروس**، ج30، مـادة: قـرزل، مـادة: مثل، تحقيق، مصطفى حجازي، الكويت.

الـــــزبيدي (محمـد مرتضـى الحسـيني،1205هـ/1790م)2000م،**تـاج العروس**،ج31،مادة:هطل،مادة،هكل،تحقيق:عبدالعليم الطحاوي.

الـــــزبيدي (محمـد مرتضى الحسيني، 1205هـ / 1790م) 2000م، **تاج**

العـروس، ج32، مـادة: حمـم، مـادة: حمم، تحقيق، عبدالكريم العزباوي، الكويت.

الـــزبيدي (محمـد مرتضى الحسيني، 1205هـ / 1790م) 2001م، **تاج العروس**، ج34، مادة، حصن، تحقيق: علي الهلالي، الكويت.

الـــزبيدي (محمـد مرتضى الحسيني، 1205هـ / 1790م) 2001م، **تاج العروس**، ج35، مادة: عجن، تحقيق، مصطفى حجازي، الكويت.

الـــزبيدي (محمـد مرتضى الحسيني، 1205هـ / 1790م) 2001م، **تاج العـروس**، ج38، مـادة: ذكو، تحقيق، عبدالصبور شاهين، ط1، الكويت.

الزمخشـري (أبـو القاسـم بن محمود بن عمر، 538هـ / 1143م): **أساس الـبلاغة**، تحقـيق: عبدالرحيم محمود، مادة: دمي، دار المعرفة، بيروت.

زهـــدي، بشير، 1973م ، لمحة **عن النقود التدمرية المحفوظة في المتحف الوطنـي بدمشـق**، م23، ج1، 2، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، دمشق.

زهـــدي، بشير، 1976م، **لمحة عن النقود الدمشقية ونماذجها في المتحف الوطني**، م26، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، دمشق..

ابـن زهيـر، قيس، **شعره**، تحقيق، عادل جاسم البياتي، مطبعة الآداب، العراق.

زيـد الخـيل، زيـد بن المهلهل بن يزيد الطائي، **ديوانه**، تحقيق، نوري القيسي، مطبعة النعمان، العراق.

س. ط، كتاب **نـباهة الحـيوان**، تقـديم عـبد اللطيف شرارة، دار ابن زيدون، بيروت.

ســاعاتي، أمـين،1982م، **الرياضة عند العرب في الجاهلية وصدر الإسلام**، ط1، مطبوعات تهامة، جدة.

ســتيتكيفيتش، ســوزان، 1985م، **القصيدة العربية وطقوس العبور**، م60، ج1،

مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق.

ستتيتكيفيتش، ياروسلاف، 1995م، الاسم والنعت، **لغة الاصطلاح في تسميات الحيوان ورموزه في الشعر العربي القديم**، م14، ع2، فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ابن سعيد (أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك، 685هـ / 1286م) 1982م، **نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب**، تحقيق، نصرت عبد الرحمن، ج1، مكتبة الأقصى، عمان.

السكري (أبو سعيد الحسن بن الحسين، 275هـ / 888م): **شرح أشعار الهذليين**، تحقيق، عبد الستار أحمد فراج، ج1، دار العروبة، القاهرة.

ابن أبي سلمى، زهير، شرح **شعره**، تحقيق، فخر الدين قباوة، ط1، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

السلمي، خفاف بن ندبة، 1967م، **شعره**، تحقيق، نوري القيسي، مطبعة المعارف، بغداد.

السلمي، العباس بن مرداس، **ديوانه**، تحقيق، يحيى الجوري، مؤسسة الرسالة، بيروت.

السهيلي (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد، 581هـ / 1185م) 2000م، **الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام**، ج1، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

السواح، فراس ، 1985م، **لغز عشتار، الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة**، ط1، دار علاء الدين، دمشق.

السواح، فراس ، 2002م، **دين الإنسان**، ط3، دار علاء الدين، دمشق 1998م. خ- جلجامش، ط2، دار علاء الدين، دمشق.

أبو سويلم، أنور،1991م، **مظاهر من الحضارة والمعتقد في الشعر الجاهلي**، دار الجيل، بيروت.

أبــو ســـويلم، انور، 1987م،**المطر في الشعر الجاهلي**، ط1، دار الجيل، بيروت

ســــــيرنج، فيلــيب، 1992م، **الرموز في الفن، الأديان، الحياة**، ترجمة، عبد الهادي عباس، ط1، دار دمشق للطباعة والنشر.

الســــــيوطي (جـــلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، 911هـــ / 1505م)،**الدر المنثور في تفسير المأثور**، ج6، دار الكتب العلمية، بيروت.

الســـــــيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، 911هـــ / 1505م)، **تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك**، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت.

السيـــــــوطي (جـــلال الـــدين عـــبد الرحمن بن أبي بكر، 911هـــ / 1505م)، 1985م، **كفاية الطلب اللبيب في خصائص الحبيب**، ج1، ط1، دار لكتب العلمية بيروت.

شـــــتراوس، كلود ليفي، 1995م، **الأسطورة والمعنى**، ترجمة، صبحي حديد، ط 2، دار الحوار، سورية.

شــــــعلان، ســميح عبد الغفار، 2000م، **الموت في المأثورات الشعبية**، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة.

الشمشـــــاطي (أبو الحسن علي بن محمد بن المطهر العدوي (380هـــ / 990 م) 1987م، **الأنـــوار ومحاســـن الأشـــعار**، تحقيق، صالح مهدي العزاوي، ط2، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.

الشـــــــواف، قاســـم، 2001م، **ديـــوان الأساطير**، سومر وأكاد وآشور، الكتاب الرابع، ط1، دار الساقي، بيروت.

الشـــــــيباني (أحمد بن أبي الفتح (702هـــ / 1302م) 2002م، **رسالة رصف الفــريد فـــي وصف البريد**، دراسة وتحقيق، سمير الدروبي، ط1، دار البشير، عمان.

صــــــــالح، عبد العزيز، 1984م، **الشرق الأدنى القديم**، (مصر والعراق)، ط 4، مكتبة الأنجلو المصرية.

صبرة، زينب عبد الفتاح، 1987م، **حرفة السروجية عبر العصور**، ع18، مجلة الفنون الشعبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ابن الصمة، دريد بن معاوية بن بكر بن علقمة، **ديوانه**، تحقيق، محمد خير البقاعي، دار قتيبة.

الضبي (المفضل بن محمد بن يعلى، 178هـ / 794م): **المفضليات**، تحقيق، أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، ط8، دار المعارف، القاهرة.

الطائي، حاتم بن عبد الله، **ديوانه**، تحقيق، عادل سليمان جمال، مطبعة المدني، القاهرة.

الطبرسي (أبو علي الفضل بن الحسن، القرن السادس): **مجمع البيان في تفسير القرآن**، تحقيق هاشم الرسولي المحلاتي وفضل الله اليزدي الطباطبائي، ج9، دار المعرفة، بيروت.

الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير 310هـ / 922م): **تفسير الطبري**، م 11، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن الطفيل، عامر، 1996م، **ديوانه**، تحقيق، أنور أبو سويلم، ط1، دار الجيل، بيروت.

الطلحي، ضيف الله مضيف، 1996م، **تقرير مبدئي عن نتاج حفرية الحجر**، ع14، أطلال، السعودية.

العامري، لبيد بن ربيعة، 1984م، **ديوانه**، تحقيق، إحسان عباس، ط2، الكويت.

العبادي، عدي بن زيد، 1965م ،**ديوانه**، تحقيق، محمد جبار المعيبد، دار الجمهورية، بغداد.

عبد الخالق، أحمد محمد، 1987م، **قلق الموت**، ع111، عالم المعرفة، الكويت.

عبد الحكيم، شوقي، 1994م ،**مدخل لدراسة الفولكلور والأساطير العربية**، ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

عبد الحكيم، شوقي، **موسوعة الفولكلور والأساطير العربية**، مكتبة مدبولي، القاهرة

ابن عبد ربه (احمد بن محمد، 328هـ / 939م) 1989م ،**العقد الفريد**، ج1، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

عبد الرحمن، إبراهيم، **الصورة الفنية في الشعر العربي**، الشركة العربية، السعودية.

عبد الرحمن، إبراهيم،1981م، **التفسير الأسطوري للشعر الجاهلي**، م1، ع3، فصول.

عبد السميع، حسنة، 1995م،**الرمز الفني والجمعي والأسطوري في شعر ذي الرمة**، م14، ع2، فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

عبد الفتاح، إمام، **معجم ديانات وأساطير العالم**، م1، مكتبة مدبولي، القاهرة.

عبد الفتاح، سيد صديق، 1994م، **أغرب الأعياد وأعجب الاحتفالات**، ط1، دار الأمين، القاهرة.

عبد الواحد، فاضل، 1986م، **عشتار ومأساة تموز**، ط2، دار الشؤون العامة، بغداد.

عبد الوهاب، لطفي، 1979م ،**العرب في العصور القديمة، مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ط2، دار المعرفة الجامعية، مصر.

العبسي، عنترة بن شداد، **ديوانه**، تحقيق، محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، مصر.

أبو عبيدة (معمر بن مثنى التميمي، 209هـ / 824م) 1986م، **كتاب الخيل**، تحقيق، محمد عبد القادر أحمد، ط1، القاهرة.

أبو عبيدة (معمر بن مثنى التميمي، 209هـ / 824م) 1998م ،**نقائض جرير والفرزدق**، وضع حواشيه، خليل عمران المنصور، ج1، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت.

عصفور، جابر، 1992م، **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب**، ط3، المركز الثقافي العربي، بيروت.

عكاشـــة، ثـروت،1994م ، **الإغـريق بين الأسطورة والإبداع**، ط2، الهيئة المصرية للكتاب.

علـــي، جواد، 1993م، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج5، ج6، ج7، ط2، بغداد.

عســاف، ساسين سايمن، 1982م، **الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نـواس**، ط1، المؤسســة الجامعـية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.

عــوض، ريـتا، 1999م، **بنـية القصيدة الجاهلية، الصورة الشعرية لدى امرئ القيس**، ط1، دار الآداب، بيروت.

عــيد، رجاء، **دراسة في لغة الشعر**، منشأة المعارف، الإسكندرية.

غالـــي، واصف بطرس، **تقاليد الفروسية عند العرب**، ط2، دار المعارف، القاهرة.

الغــنوي، طفـيل بن عوف بن ضبيس، 1968م، **ديوانه**، تحقيق، محمد عبد القادر أحمد، ط1، دار الكتاب الجديد.

الفحـــل، علقمة بن عبدة بن النعمان، **ديوانه**، تحقيق، لطفي الصقال، ودرية الخطيب، دار الكتاب العربي، حلب.

فريشـــاور، بول،1993م ، **الجنس في العالم القديم**، ترجمة، فائق دحدوح، ط1 ، دار علاء الدين، دمشق.

القتال الكلابي، عـبادة بـن مجيب، 1961م، **ديوانه**، تحقيق، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.

قطايـــة، سـلمان، 1989م، **بين المرأة والفرس العربية**، مجلة آفاق عربية، شباط.

القرطبـــي (يوسـف بـن عـبد الله بـن محمد، 463هـ / 1070م): **بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس**، تحقيق، محمد

مرسي الخولي، ق2، دار الكتب العلمية، بيروت.

القزويني (زكريا بن محمد بن محمود، 628هـ / 1283م): **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، بيروت.

ابن قميئة، عمرو بن قميئة بن سعد بن مالك، 1997م، **ديوانه**، تحقيق، حسن كامل الصيرفي، ط2، معهد المخطوطات العربية، القاهرة

القيسي، نوري، 1982م، **البطل في التراث العربي**، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد.

القيسي، نوري، 1984م، **الطبيعة في الشعر الجاهلي**، ط2، مكتبة النهضة العربية، بيروت.

الكباوي، عبد الرحمن، 1986م، **تقرير مبدئي عن المرحلة الثانية عن المسح الشامل للنقوش والرسوم الصخرية في المنطقة الشمالية**، ق2، ع10، أطلال، السعودية.

كمال، صفوت، 1986م ،**التصور الأسطوري في التراث الشعري**، السنة الأولى، ع4، مجلة المأثورات الشعبية، مصر.

الكندي، امرؤ القيس بن حجر بن الحارث، 2000م، **ديوانه**، تحقيق، أنور أبو سويلم، ومحمد الشوابكة، م1، م2، ط1، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين.

الماجدي، خزعل، 2001م، **المعتقدات الكنعانية**، ط1، دار الشروق، عمان.

الماجدي، خزعل، 2004م ،المعتقدات الإغريقية، ط1، دار الشروق، عمان.

الكلاعي (أبو الربيع سلمان بن موسى، 634هـ/ 1236م) 1997م ،**الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء**، تحقيق، محمد كمال الدين عز الدين علي، ج2، ط1، عالم الكتب، بيروت.

الكلبي (هشام بن محمد السائب، 206هـ / 821م): **الأصنام**، تحقيق، أحمد زكي، الدار القومية للطباعة والنشر.

المبـــــــرد (أبـــو العباس محمد بن يزيد، 286هــ / 899م) 1997م، **الكامل فـــي اللغـــة والأدب**، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، ج3، دار الفكر العربي، القاهرة.

المســـــيب، زهير بن علس بن مالك بن عمرو، 1994م، **شعره**، تحقيق، أنور أبو سويلم، ط1، منشورات جامعة مؤتة، الأردن.

مظهـــــــر، سليمان، 2000م، **أساطير من الشرق**، ط1، دار الشروق، القاهرة.

يكـــــــرب ابـــن معـــد ، 1974م، عمـــرو، **شعره**، تحقيق، مطاع الطرابيشي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق.

المعينـــــــي، عـــبد الحميد محمود، 1982م، **شعر بني تميم في العصر الجاهلي**، منشورات نادي القصيم الأدبي، السعودية.

المولـــــــى، محمد جاد، **أيام العرب في الجاهلية**، دار إحياء التراث العربي.

ابـــن مقـــبل، تمـــيم بـــن أبي، 1962م، **ديوانه**، تحقيق، عزة حسن، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق.

المرزوقـــــــي (أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن، 421هــ / 1030م): **شـــرح ديوان الحماسة**، تحقيق، عبد السلام هارون وأحمد أمين، ج1، ط1 ، دار الجيل، بيروت.

المســـــعودي (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، 346هــ / 957م) 1938م ،**أخبار الزمان**، ط1، مطبعة عبد الحميد أحمد، مصر.

المســـــعودي (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، 346هــ / 957م) 1938 م، **مـــروج الذهب ومعادن الجوهر**، شرح، مفيد قميحة، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت

المهلهـــــــل، عـــدي بـــن الربيعة بن الحارث، 1995م، **ديوانه**، تحقيق، أنطوان محسن القوال، ط1، دار الجيل، بيروت.

ابـــن مـــنظور (أبـــو الفضـــل جمال الدين محمد بن مكرم، 711هــ / 1311م): **لســـان العـــرب**، م2، مـــادة: ضيح، م3، مادة: مدد، دار صادر،

بيروت.

مغنـــــية، محمد جواد، **التفسير الكاشف**، م7، دار العلم للملايين، بيروت.

الــــنابغة الذبيانـــي، زيـــاد بن معاوية بن ضباب، 1976م، **ديوانه**، تحقيق، محمد الطاهر ابن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع.

ناصـــف، مصطفى، **قراءة ثانية لشعرنا القديم**، دار الأندلس، بيروت.

النســـائي (أحمد بن علي، 303هـ/ 915م): **سنن النسائي**، ج5، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

النويـــري (شـــهاب الـــدين بـــن أحمد بن عبد الوهاب، 733هـ/ 1332م): **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ج2، دار الكتب، مصر.

ابـــن هـــذيل (علـــي بن عبد الرحمن الأندلسي، القرن الثامن الهجري) 2001م ،**حلـــية الفرسان وشعار الشجعان**، تحقيق، عبد الإله نبهان ومحمد فاتح صالح، ط1، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين.

هـــويلن، نـــورمان، 1983م، **تقرير عن التنقيب في المواقع الآشولية قرب صفاقة**- بالدوامي، ع7، ق1، أطلال، السعودية.

ابـــن هشـــام (عـــبد الملـــك بـــن هشـــام بن أيوب، 218هـ/ 833م): **السيرة النـــبوية**، تحقـــيق، مصطفى السقا وآخرون، ج1، المكتبة العلمية، بيروت.

هوميـــروس، 2004م ،**الإلـــياذة**، إعداد، أحمد عثمان وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.

اليشـــكري، سويد بن كاهل، 1972م، **ديوانه**، تحقيق، شاكر العاشور، ط1،.

اليعقوبـــي (أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب، 292هـ/ 904م) 2002م ،**تاريخ اليعقوبي**، ج1، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت.

يـــونس، عـــبد الحميد، 1986م، **الأدب الشعبي المقارن**، السنة الأولى، ع2، مجلة المأثورات الشعبية، مصر.

اليوســـف، يوسف، 1975م، **تحليل معلقة امرئ القيس**، ع165، مجلة

المعرفة، دمشق.

ابن يعفر، الأسود، **ديوانه**، تحقيق، نوري القيسي، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد.